المنحة الوهبية في رد الوهابية

لداود بن السيد سليمان البغدادي

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست
مكتبة الحقيقية



HAKÎKAT KİTÂBEVİ
Darüşşefeka Cad. 57 P.K.: 35 34262
Tel: 0212 523 45 56 Fax: 0212 525 59 79
http://www.hakikatkitabevi.com
e-mail: bilgi@hakikatkitabevi.com
Fâtih-İSTANBUL
2003

اَلمِنْحَةُ الْوَهْبِيَّةِ فِي رَدِّ الْوَهَّابِيَّةِ

جمع الفقير إلى ربّه العليّ القدير داود بن السّيد سليمان
البغدادي النقشبندي الخالدي عفا الله عنه وعن اسلافه آمين

ويليه

كِتَابُ اَشَدّ الْجِهَادْ فِي إِبْطَالِ دَعْوَى الْإِجْتِهَادْ

أيضا للعلامة المتقدم اعني شيخ الإسلام الشيخ داود عليه رحمة الودود
توفي سنة ١٢٩٩ هـ. [١٨٨١ م.] في بغداد

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

مكتبة الحقيقة



يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول–تركيا

هجري قمري	هجري شمسي	ميلادي
١٤٣٥	١٣٩٢	٢٠١٤

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**) وقال ايضا (**خذوا العلم من افواه الرجال**)

ومن لم تتيسّر له صحبة الصالحين وجب له ان يذكّر كتبا من تأليفات عالم صالح وصاحب إخلاص مثل الإمام الرباني المجدد للألف الثاني الحنفي والسيد عبد الحكيم الارواسي الشافعي واحمد التيجاني المالكي ويتعلم الدين من هذه الكتب ويسعى نشر كتب أهل السنة بين الناس ومن لم يكن صاحب العلم أو العمل أو الإخلاص ويدعي أنه من العلماء الحق وهو من الكاذبين من علماء السوء واعلم انّ علماء أهل السنة هم المحافظون الدين الإسلامي وأمّا علماء السوء هم جنود الشياطين[1]

---

(١) لاخير في تعلّم علم مالم يكن بقصد العمل به مع الإخلاص (الحديقة الندية ج ١ ص: ٣٦٦، ٣٦٧ والمكتوب ٣٦، ٤٠، ٥٩ من المجلّد الأوّل من المكتوبات للإمام الرّبّاني المجدّد للألف الثاني قدّس سرّه)

تنبيه إنّ كلاّ من دعاة المسيحية يسعون إلى نشر المسيحية والصهاينة اليهود يسعون إلى نشر الادعاءات الباطلة لحاخاماتها وكهنتها ودار النشر - **الحقيقة** - في استانبول يسعى إلى نشر الدين الاسلامي وإعلائه اما الماسونيون ففي سعي لإمحاء وازالة الاديان جميعا فاللبيب المنصف المتصف بالعلم والادراك يعي ويفهم الحقيقة ويسعى لتحقيق ما هو حق من بين هذه الحقائق ويكون سببا في إنالة الناس كافة السعادة الابدية وما من خدمة اجلّ من هذه الخدمة اسديت إلى البشريّة

Baskı: İhlâs Gazetecilik A.Ş.
Merkez Mah. 29 Ekim Cad. İhlâs Plaza No: 11 A/41
34197 Yenibosna-İSTANBUL Tel: 0.212.454 30 00

المنحة الوهبية في ردّ الوهابية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

أحمد الله الّذي اذل البدعة واهلها واعزّ السّنّة ومن استأهلها فقيض لها في كل زمان طايفة لا يضرها من خذلها مسلطة سيوف الادلة على من حرف الشريعة او بدلها واصلى واسلم على سيّدنا محمّد صاحب السّنّة السنية الدافع بصولته جيشان الاباطيل الخارجية وعلى آله الذين من نفاهم او انتقصهم غرق وما نجى وعلى اصحابه الذين كل منهم باسنة هممهم للمارقين دجى اما بعد فيقول الفقير الى مولاه داود بن السيّد سليمان البغدادي قد ظهر في زماننا اناس يخالفون اهل السّنّة والمذاهب فيضللون الامة المحمّديّة ويستبيحون دمائهم واموالهم في شبهات خاب من هو اليها ذاهب فاستعنت الله على ردهم بهذه الورقات القليلة لعل الله يهديهم فتكون نعم الوسيلة.

اعلم ايها المؤمن ان المنكر للتوسّل والتشفع من الانبياء والأولياء من عباد الله الصّالحين والاستغاثة بهم على طريق التسبب مما يقدره الله تعالى على ايديهم بنوع كرامة من الله تعالى او بدعاء منهم لله في دار برازخهم في حصول خير من الله للطالب منهم تشفعا او دفع شر انما اتاه الانكار من اعتقاده ان الميّت إذا مات صار ترابا لا يسمع ولا يرى وليس له حياة برزخية في قبره فهو يستغرب حينئذٍ الطلب منه على طريق الوسيلة والتسبب به كما يتسبب بالأحياء اهل الدّنيا ولو كان معتقدا ان سائر اهل القبور أحياء حياة برزخية يعلمون بها ويعقلون ويسمعون ويرون ويعرفون من زارهم ومن سلم عليهم ويردون السّلام ويتزاورون بينهم ويتنعمون او يعذبون وان النعيم والعذاب على الروح والجسد وان اعمال الأحياء تعرض عليهم فما رأوا من خير حمدوا الله واستبشروا ودعوا لفاعله بالزيادة والثبات وإن رأوا شرا دعوا الله لهم وقالوا اللّهمَّ راجع بهم الى الطاعة واهدهم كما هديتنا وغير ذلك من احوال اهل البرزخ لما وسعهم الانكار فإن دار البرزخ هي نقلة من دار الى دار وقد ثبت كل ما ذكرناه من هذه الاحوال بنص الكتاب والسّنّة واجماع الامة وان من لم

يعتقد ذلك فقد ترك من واجب الإيمان شيئاً يجعله من المبتدعين الخارجين عن سنة سيّد المرسلين وملتحق من بعض الوجوه بالكفّار المنكرين فإن البعث بالقيام للحشر من اركان الإيمان الّذي يكفر منكره وانكار حياة القبر للنعيم والعذاب انكار للبعث الاصغر الّذي هو انموذج البعث على ان هذا الجاهل المنكر لما اجمعت عليه الامة لو قلنا بموجب قوله ان اهل القبور تكون اجسادهم ترابا لا يسمعون ولا يرون ولا يعرفون ولا نعيم ولا عذاب للاجساد يقال له إذا ثبت ذلك للرّوح فما المانع من ان الروح يثبت لها ما ذكرناه من الاحوال المتقدمة وان التشفع والتوسّل والطلب منها على طريق التسبب كطلب الشفاعة والدعاء ونحو ذلك وهي حية حياة دائمة لا تفنى كما عليه جميع اهل الملل فهي ايضاً يمكن لها التسبب فيما يقدره الله تعالى على يدها ولما كان هذا الحال الّذي هو سبب الانكار صار حال اكثر الناس حتّى ممن يدعي العلم وهو من جنس الجهال العوام لانه في زماننا يسمي الرجل عالماً وهو ما عرف الأحاديث النبوية وتفسير الآيات القرآنية ولا اطلع على اقوال الصّحابة والتابعين وآثارهم بل قصارى أمره أن يكون قراء بعض مقدمات في العلوم فوقف عندها واشتهر عند الناس ان فلاناً عالم افندى فاكتفى بذلك فصار يقول العوام قال فلان العالم كذا وكذا وهو من عقله وبهذا ذهب العلم واتخذ الناس رؤساً جهالاً فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا كما في البخاري فوجب على من اطلع البيان فإن الناس بهذه الاحوال اقرب ما يكون الى حال الجاهلية لأنّهم إذا أنكروا نعيم القبر وعذابه وأنّه على الروح والجسد على ما هو واجب الاعتقاد قال صاحب نظم الشيبانية:

وان عذاب القبر حق وأنّه * على الروح والجسم الّذي فيه الحدا

اي ونعتقد ان عذاب القبر حق اي ونعيمه فهو من باب الاكتفاء كقوله تعالى (**سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ** * النحل: ٨١) اي والبرد فالنعيم والعذاب على الروح والجسم وإن لم نره نحن لانه من الإيمان بالغيب يحتمل أنّه يجرهم هذا على انكار البعث الاكبر لأن الكل راجع الى قدرة الله وهذا بالنسبة الى العقل واما بالنسبة الى النقل فالآيات والأحاديث

واقوال سلف الامة مطبقة على الاحوال التى ذكرناها سابقاً لاهل البرزخ فإن كان الانسان يجهلها فها نحن نذكرها اولا مفصلاً بابا بابا ثم نتبع ذلك بالأحاديث الصّحيحة الواردة في التوسل والتشفع والطلب منهم للشفاعة على طريق التسبب لا أنّهم الفاعلون استقلالا فإن هذا يعتقده اكثر الناس من الوهّابيّة وغيرهم في الأحياء لمشاهدتهم لافعالهم وحركاتهم فلا يخطر ببال المتسبب بهم نسبة فعلهم الى الله تعالى فيشركون الا نادرا جدا واما الاموات من الانبياء والأولياء الأحياء عند ربهم فإن الناس يعلمون أنّهم لا قدرة لهم الا بالله تعالى وان الله تعالى يسببهم بقدرة من عنده خارقة للعادة او يفعل تعالى لاجلهم او بجاههم وحرمتهم فالناس وإن نسبوا لهم الفعل فليس مرادهم الحقيقة بل المجاز والتسبب فاعلم ذلك وتحققه لتعلم ان ما باء به المنكرون نزغة شيطانية خارجة عن الدلايل العقلية والنقلية وبعض الناس يعتقد ما ذكرنا من احوال اهل البرزخ لكن يغفل عن تسببهم واكرام الله لهم بنوع الكرامة او يفعل لاجلهم فيستبعد حصول التسبب منهم والتوسل بهم او يدعى ان الطلب منهم وسؤالهم الشفاعة لم يرد في الشّرع وهؤلاء القسم اهون من القسم الاول فهو ناش اما من عدم اطلاعهم على الوارد او من تعصبهم وعنادهم لأنّهم يتحيزون الى فئة او شخص قال بذلك فهم يثابرون على اثبات قولها او قوله ولو بالباطل او عناد لمن يأتيهم بحق او تكبرا عليه واحتقاراً لشأنه وعند الله تتبين الحقايق وتبدو ذرات النيات والدقايق فعليك ايها الموفق بالانصاف واترك العناد للحق والاعتساف لعلك تحظى بالمدد من الله تعالى والاسعاف.

باب اثبات حياة الانبياء عليهم الصّلاة والسلام في قبورهم وانها حياة حقيقية

قال الله تعالى (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اَمْوَاتًا بَلْ اَحْيَآءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** * آل عمران: ١٦٩) قال العلماء فإذا اثبت هذا في الشهداء وهم من سائر الامة في كل زمان ولا شكّ ان الانبياء اولى واعلا على أنّهم قالوا ما من نبيّ الا وقد رزق الشهادة وهذا ظاهر واما قول الحلبى[١] في السيرة قد يقال أنّه قد يكون في المفضول ما

---

(١) مؤلف السيرة علي بن ابراهيم برهان الدّين الشّافعي الحلبى توفي سنة ١٠٤٤ هـ. [١٦٣٤ م.]

لا يكون في الفاضل فلايلزم القياس فممنوع بأن ذلك ممكن فيما لم يرد به نص يوافق هذا القياس وقد ورد من الأحاديث الصّحيحة المتّفق عليها ما يوافق ذلك ففى البخاري او مسلم (**مررت ليلة اسري بي على موسى وهو قائم في قبره يصلّي**) وروى البيهقي وغيره باسانيد صحيحة عنه صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال (**الانبياء أحياء في قبورهم يصلّون**) وورد (**إنّ الله حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء**) وقد اطبق العلماء على ذلك وورد في الصّحيحين ان الله بعث لنبيّنا جميع الانبياء ليلة الإسراء فصلى بهم اماما ركعتين والصّلاة ذات ركوع وسجود وهى تستدعى جسداً حيّاً كما قالوه في صلاة موسى في قبره قال في المشكاة ناقلا عن الصّحيحين وقد رايتنى في جماعة من الانبياء فإذا موسى قائم يصلّي فإذا هو رجل ضرب جعد يعني شعره غير سبط كأنه من رجل شنؤة وهم قوم من الزط سمر اللون قال الشّيخ عليّ القاري في شرحه قلت قد سبق أنّهم اي الانبياء أحياء عند ربهم وان الله حرم على الارض ان تأكل لحومهم ثم اجسادهم كارواحهم لطيفة غير كثيفة فلا مانع لظهورهم في عالم الملك والملكوت على وجه الكمال بقدرة ذى الجلال ومما يؤيد تشكيل الانبياء وتصورهم على وجه الجمع بين اجسادهم وارواحهم قوله في الحديث فإذا موسى قايم يصلّي فإن حقيقة الصّلاة وهي الاتيان بالأفعال المختلفة انما يكون للاشباح لا للارواح لا سيّما وكالتصريح في المعنى قوله فإذا موسى رجل ضرب نوع وسط من الرجال او ضعيف اللحم على ما في النهاية جعد كأنه من رجال شنؤة ثم قال ايضاً قلت وقد قدمنا ان الانبياء لا يموتون كساير الأحياء بل نقلوا من دار الفناء الى دار البقاء وقد ورد به الأحاديث والانباء انتهى قال الامام البيهقي في كتاب الاعتقاد الانبياء بعد ما قبضوا ردّت اليهم ارواحهم فغيبوا عنا وإن كنّا لا نراهم كالملايكة الا لمن اكرمه الله تعالى بنوع كرامة وكذلك ذكر الامام السّيوطي وهو قول الامام النووي والسبكي والقرطبى عن شيخه ونقله عنه ابن القيّم الحنبلي في كتاب الروح وابن حجر والرملى والقاضي زكريا واكمل الدّين الحنفى والشرنبلالى وابن أبي جمرة المالكي وتلميذه ابن

الحاج في المدخل والشّيخ ابراهيم اللقانى[١] في شرح جوهرة التوحيد وغيرهم وقد صح عن سعيد بن المسيب أنّه في وقعة الحرة لما خلى المسجد النبوي وتعطل عن الاذان والامامة صار يسمع الاذان والاقامة من الحجرة الشّريفة النبوية وذكره ابن تيميّة في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم وان كثيرا منهم سمع ردّ السّلام من قبره صلّى الله عليه وسلّم على المسلمين في كثير من الاوقات بل ثبت هذا من سائر الموتى كما سيأتى والحاصل ان حياة الانبياء ثابتة بالاجماع ولا يرد على هذا ما ورد في الحديث الصّحيح (**ما من احد يسلم عليّ الاّ ردّ الله عليّ روحى حتّى ارد عليه السّلام**) فإنّه بظاهره يقتضي ان روحه الشريفة تفارق جسده الشّريف وانها بالسّلام ترد واجاب عنه العلماء باجوبة اوصلها السّيوطي[٢] الى سبعة عشر وجها احسنها أنّه صلّى الله عليه وسلّم يكون مستغرقا بمشاهدة حضرة القدس فيغنى عن احساسه الشّريف فإذا سلم المسلم عليه ترد روحه من ذلك الاستغراق الى الاحساس لاجل المردّ المذكور ونحن نرى في الدّنيا بعض من هو مشغول البال بأمر من الامور الدّنيويّة او الاخروية ربما يتكلم احد معه وهو لا يشعر بكلامه لاشتغال باله واستغراقه فكيف من هو مشغول بمشاهدة جمال ذى الجلال وقد اختلف العلماء في رؤيته صلّى الله عليه وسلّم في المنام واليقظة هل هو لذاته او لمثاله بعد اتفاقهم على حياته في قبره فرجح الاكثر الاول للأحاديث الواردة الصّحيحة كما في البخاري (**من رأنى في المنام فسيرانى في اليقظة**) حتّى قال النووي ان رؤياه في المنام رؤية لحقيقة ذاته لقوله صلّى الله عليه وسلّم (**من رأنى في المنام فقد رأنى حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي**) ولو كانت الرؤية لمثاله لم يكن رأه حقاً قال اللقانى في شرح جوهرة التوحيد اتفق الحفاظ على رؤيته صلّى الله عليه وسلّم يقظة ومناما واختلفوا هل المرئى ذاته او مثال يحكيها ذهب الى الاول جماعات والى الثاني الغزالي والقرافى وجماعة ثم رجح الاول وممن قال بالاول

---

(١) ابراهيم اللقانى المصرى المالكي توفي سنة ١٠٤١ هـ. [١٦٣١ م.]

(٢) عبد الرّحمن جلال الدّين السّيوطي الشّافعي توفي سنة ٩١١ هـ. [١٥٠٥ م.] في مصر

اكثر من ثلاثين اماما من اكابر العلماء المحدثين وقد ذكرت عباراتهم في رسالة في هذه المسئلة مخصوصة وحررت لكل واحد منهم فيها نصوصه.

باب سماع الموتى ورؤيتهم

وهذا الباب معقود لغير الانبياء والشهداء والأولياء اما الاولان فاحياء كما تقدم يرزقون فرحين مستبشرين واما الأولياء فلان سماعهم ورؤيتهم على وجه الكرامة وهي أمر خارق للعادة يجريه الله لعباده الصّالحين وانما نذكر لك هذا الباب ليتضح لك ان الانبياء والأولياء والشهداء اعلا واسمى ولكن إذا كان سائر الناس ولو كفّارا يثبت لهم ذلك تعلم ما باء به بعض الجهلة من نفي السّماع والرؤية عن الانبياء لاسيّما نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم وعن الشهداء والأولياء روى البخاري ان الميّت إذا دفن وتولى عنه اصحابه أنّه ليسمع قرع نعال المشيعين له إذا انصرفوا عنه وفي الصّحيحين عنه صلّى الله عليه وسلّم من وجوه متعددة أنّه امر بقتلى بدر بعد ايام من موتهم فالقوا في قليب ثم بعد ايام جاء حتّى وقف عليهم وناداهم باسمائهم واسماء ابائهم يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان الى آخرهم هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فانّي وجدت ما وعدني ربي حقاً فقال له عمر رضي الله عنه يا رسول الله ما تخاطب من اقوام قد جيفوا فقال (**والّذي بعثني بالحق ما انتم بأسمع منهم**) وفي رواية (**لما اقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جوابا**) وفي الصّحيحين عنه صلّى الله عليه وسلّم (**إنّ الميّت ليعذب ببكاء اهله عليه**) قال النووي[١] في شرح صحيح مسلم معناه أنّه يعذب بسماعه بكاء اهله ويرق لهم والى هذا ذهب محمّد بن جرير الطبرى[٢] قال القاضي عياض وهو اولى الاقوال واحتجوا فيه ان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم زجر أمرأة عن البكاء على ابنها وقال ان احدكم إذا بكى استعير له صويحبه فيا عباد الله لا تعذبوا اخوانكم انتهى فهذا النقل يدل على ان الميّت ولو من بعد

---

(١) يحيى النووي الشّافعي توفي سنة ٦٧٦ هـ. [١٢٧٧ م. [في الشام]

(٢) محمّد بن جرير الطبرى الشّافعي توفي سنة ٣١٠ هـ. [٩٢٣ م.] في بغداد

يسمع بكاء اهله عليه فيؤذيه ذلك ويعذبه وقد شرع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لامته إذا سلّموا على اهل القبور ان يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول المسلم السّلام عليكم دار قوم مؤمنين وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولو لا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار بأن الميّت يعرف بزيارة الحيّ له ويستبشر قال ابو بكر عبد الله بن أبي الدّنيا في كتاب القبور.

باب معرفة الموتى بزيارة الأحياء

حدثنا محمّد بن عون حدثنا يحيى بن يمان عن عبد الله بن سمعان عن زيد بن اسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتّى يقوم)** حدثنا محمّد بن قدامة الجوهري حدثنا معن بن عيسى القزاز اخبرنا هشام بن سعد حدثنا زيد ابن اسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إذا مرّ الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه ردّ عليه السّلام وعرفه وإذا مرّ بقبر لا يعرفه فسلم عليه ردّ عليه السّلام ذكر ذلك ابن القيّم[١] في كتاب الروح ثم بعده ذكر آثارا كثيرة قال وهذا باب فيه آثار كثيرة عن الصّحابة ويكفى في هذا تسمية المسلم عليهم زايراً ولو لا أنّهم لا يشعرون به لما صح تسميته زايراً فإن المزور إذا لم يعلم زيارة من زاره لم يصح ان يقال زاره هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الامم وكذلك السّلام عليكم فإن السّلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم محال فهذا السّلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد وإن لم يسمع المسلم الرد وإذا صلّى الرجل قريباً منهم شاهدوه وعلموا صلاته وغبطوه على ذلك قال يزيد بن هارون اخبرنا سليمان التيمى عن أبي عثمان النهدى ان ابن ساسب خرج في جنازة في يوم وعليه ثياب خفاف فانتهى الى قبر قال فصليت ركعتين ثم اتكأت فو الله ان قلبى ليقظان إذ سمعت صوتاً من القبر اليك عنّي لا تئوذيني فانكم قوم يعملون ولا تعلمون ونحن قوم نعلم ولا نعمل ولأن يكون

(١) محمّد ابن القيّم الجوزية الحنبلي توفي سنة ٧٥١ هـ. [١٣٥٠ م.] في الشام

لي مثل ركعتيك احب اليّ من كذا وكذا فهذا قد علم باتكاء الرجل على القبر وبصلاته ثم ذكر على هذه المسئلة آثاراً واخبارا كثيرة ثم اعلم ان عائشة ام المؤمنين أنكرت سماع اهل القليب الكفّار فظن بعض من لا علم عنده انها أنكرت سماع الموتى مطلقا حتّى المؤمنين بل جعله بعض الجهلة سارياً حتّى على الشهداء وسيّد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم وذلك غفلة منهم عن تحرير محل النزاع وتشبث منهم بما ليس لهم فيه انتفاع فإن انكارها خاص بالكفّار فقط ظناً منها ان السّماع الثابت بنصه صلّى الله عليه وسلّم لأهل القليب هو السّماع المذكور في الآيتين (**اِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى** * النمل:٨٠) (**وَمَآ اَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ** * فاطر: ٢٢) وليس كذلك كما قاله اساطين العلماء لأن السّماع المنفي في الآيتين هو سماع القبول والاذعان للإيمان وقد شبه الله الكفّار الأحياء الذين لهم أسماع وابصار وعقول بالاموات لا من حيث انعدام الادراكات والحواس بل من حيث عدم قبولهم الهدى والإيمان وذلك ان الميّت من حين تصل روحه للغرغرة ويشاهد مترلته بشخوص بصره لمترلته الى الآخرة لا ينفعه الإيمان لو آمن فيقول الله تعالى ان الناس الذين كتب الله عليهم الشقاوة الازلية لا ينفعهم دعاؤك لهم الى الإيمان كما لا ينفع اهل القبور الإيمان لأن اهل القبور قد رأوا عياناً ما هو مطلوب منهم ان يؤمنوا بالغيب فإذا وصلوا الى الموت لا يقبل منهم الإيمان فالسماع هنا هو القبول تقول فلان امرته بكذا فما سمع اي ما قبل وان كان سامعا بحاسة اذنه فكذلك الكفّار نزلت الآيتان فيهم وهم أحياء لهم ابصار واسماع لكن لكونه تعالى ختم على قلوبهم بالشقاء اخبر تعالى انك يا محمّد لا تسمعهم اي لا يقبلون منك الإيمان كما ان اهل القبور لا يقبل منهم الإيمان فالسماع الثابت في الأحاديث الصّحيحة سماع الحاسة والسّماع المنفى في الآيتين سماع القبول وهذا ظاهر لمن القى السمع وهو شهيد والدليل على هذا ان الله تعالى بعد قوله (**اِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى**) قال ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فاثبت للمؤمنين السّماع الّذي هو بمعنى القبول فمن جعل السّماع المنفى في الآية بمعنى

سماع الحاسه قلنا له فقد اثبت الله على قولك للمؤمنين وهو مطلوبنا فيكون ثبوت السّماع بنص القرآن فكيف تجحد نص القرآن كما جحدت نص الحديث الّذي ما بعد كتاب الله اصح منه والدليل على أن عائشة انما أنكرت سماع الكفّار فقط ما ثبت عنها في الحديث المتقدم ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استأنس به ورد السّلام عليه حتّى يقوم**) فهذا اثبت له الرؤية المستلزمة للاستيناس ورد السّلام عليه المستلزم لسماع السّلام وقوله حتّى يقوم متعلق بإستأنس على ان عائشة رضي الله عنها نفت السّماع عن الكفار واثبتت لهم العلم فقالت ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال إنّهم الآن ليعلمون ان ما قلت حق وقال علماء الامة ان العلم يستلزم السّماع ولا ينافيه كما حققه ابن تيمية[١] وابن القيّم وابن رجب[٢] والسّيوطي وغيرهم لأن الموت لو كان عدماً محضاً كما يزعم الجهلة لا تنفي عن الميّت جميع الادراكات فإذا اثبتت عائشة العلم بالنص المروي عنها كما في البخاري تحقق انها تثبت الادراكات لكن ظنت ان السّماع الّذي اثبته الصّحابة عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم سماع القبول والهدى وهو لا ينفع اتفاقاً بل هو الحق الجامع بين اقوال الصّحابة وقولها والجامع بين قولها في روايتها حديث الزيارة فإن قلت فقد ذكر ابن الهمام[٣] في شرح الهداية ان اكثر مشايخة الحنفية ذكروا في باب الإيمان ان الميّت لا يسمع لو حلف لا يكلمه فكلمه ميّتاً لا يحنث فقال ملا الشّيخ عليّ القاري الحنفى[٤] في شرح المشكاة في شرح حديث اهل القليب اقول هذا منهم مبنيّ على ان مبنى الإيمان على العرف فلا يلزم منه نفي حقيقة السّماع كما قالوا فيمن حلف لا يأكل اللحم واكل السمك مع أنّه تعالى سمّاه لحماً

---

(١) أحمد ابن تيميّة الحرانى الحنبلي توفي سنة ٧٢٨ هـ. [١٣٢٨ م.] في الشام

(٢) عبد الرّحمن ابن رجب الحنبلي توفي ٧٩٥ هـ. [١٣٩٣ م.]

(٣) ابن الهمام كمال الدّين محمّد الحنفى توفي سنة ٨٦١ هـ. [١٤٥٦ م.]

(٤) ملا عليّ القاري توفي سنة ١٠١٦ هـ. [١٦٠٧ م.] في مكّة المكرّمة زادها الله شرفاً وكرما

طرياً اقول وهذا كذلك فإن من حلف لا يكلم زيدا وكان ميّتاً فكلمه لا يحنث لأن التكلم المراد منه المتعارف الّذي يكون فيه محاورة بأخذ الكلام ورده ولما كان الميّت يسمع ولا يرد ردا متعارفاً بل ردا نؤمن به ولا نسمعه غالبا لم يحصل حقيقة التكلم العرفي فلهذا قالوا لا يحنث لا لأن الميّت لا يسمع وهذا ظاهر قال ابن الهمام واجابوا عن هذا الحديث يعني حديث خطاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لاهل القليب وقسمه بالله ان الأحياء ليسوا بأسمع منهم تارة بأنّه مردود من عائشة قالت كيف يقول صلّى الله عليه وسلّم ذلك والله يقول وما انت بمسمع من في القبور انك لا تسمع الموتى قال الشّيخ عليّ القاري والحديث المتّفق عليه لا يصح ان يكون مردوداً لا سيّما ولا منافاة بينه وبين القرآن فإن المراد من الموتى الكفّار والنفى منصب على نفي النفع لا على مطلق السمع كقوله تعالى (**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ** * البقرة: ١٧١) يعني مع كونهم لهم اسماع وابصار لكن لكونهم لا يسمعون الإيمان والهدى ولا يرونه جعلهم الله كالصم والعمي او على نفي الجواب المترتب على السّماع قال البيضاوي في قوله تعالى (**لا تسمع الموتى**) وهم مثلهم لما سدوا مشاعرهم عن الحق ان الله يسمع من يشاء اي هدايته فيوفقهم لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما انت بسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناعهم (انتهى) فالآية من قبيل (**اِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ اَحْبَبْتَ ولَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَآءُ** * القصص: ٥٦) ثم قال ابن الهمام وتارة بأن تلك خصوصية له صلّى الله عليه وسلّم قال الشّيخ علي القاري ويرده ان الا ختصاص لا يصح الاّ بدليل وهو مفقود هنا بل السؤال والجواب ينافيانه وقال ابن الهمام وتارة بأنّه من ضرب المثل قال الشّيخ عليّ القاري ويدفعه جوابه صلّى الله عليه وسلّم ثم قال ابن الهمام ويشكل عليهم يعني مشايخه خبر مسلم (**إنّ الميّت ليسمع قرع نعال المشيعين إذا انصرفوا**) اللّهمَّ الاّ ان يخصوا ذلك بأول الوضع في القبر للسؤال جمعاً بينه وبين الآيتين فإنهما يفيدان تحقق عدم سماعهم فإنّه تعالى شبه الكفّار بالموتى لإفادة بعدم سماعهم وهو نوع عدم سماع

الموتى انتهى قال الشّيخ عليّ القاري وهو كما ترى فيه نوع نقض ووجهه أنّه إذا حصل السّماع لاهل القبور في بعض الاحوال ثبت في كلها إذ لا نص ينفي ذلك في بقية الاحوال ثم بثبوت البعض ينتقض عموم الآيتين فتتناقض مع الأخبار الصّحيحة على ان الحنفية قد اطبقوا على سنية السّلام على اهل القبور في كل وقت قال العلامة ابن ملك[١] في شرح المصابيح في شرح حديث السّلام على اهل القبور ما نصه ومما يرد على هذا البعض القائلين بعدم سماع الموتى ما ورد في الحديث الّذي اخرجه أحمد[٢] وأبو داود في سننه والحاكم في المستدرك وابن أبي شيبة في المصنف والبيهقي في كتاب عذاب القبر والطيالسى وعبد ابن حميد في مسنديهما وهناد ابن السرى في الزهد وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم من طرق صحيحة عن البراء بن عازب رضي الله عنه في فتنة القبر والسؤال وفي آخر الحديث في المؤمن (**ينادي مناد من السماء صدق عبدي فافرشوا له من الجنّة والبسوه من الجنّة وافتحوا له باباً من الجنّة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالّذي يسرك فيقول له من انت فوجهك الوجه الّذي يأتى بالخير فيقول انا عملك الصّالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتّى ارجع الى اهلي ومالي**) وفي الكافر عكس هذا فهذا يدل على ان الميّت يسمع ويبصر ويشم ويتكلم ويعقل ويفهم ويخاطب ويراجع الخطاب وكل هذه امور واقعة بعد السؤال وهي مما أجمع عليها العلماء وهذا حديث متواتر كما ذكره الامام السّيوطي.

وهذا يدل على ان السّلام عليهم كهو على الأحياء وأنّهم يسمعون انتهى وقال في الفتاوى الهندية ولا بأس بزيارة القبور وهو قول أبي حنيفة وظاهر قول محمّد يقتضي الجواز للنساء ايضاً وفي التهذيب يستحب زيارة القبور وكيفية الزيارة كزيارة ذلك الميّت في حياته من القرب والبعد كذا في خزانة المفتين وإذا اراد زيارة القبور يخلع نعليه

(١) ابن ملك عبد اللطيف الحنفى توفي سنة ٨٠١ هـ. [١٣٩٩ م.] في ازمير

(٢) الامام أحمد ابن حنبل توفي سنة ٢٤١ هـ. [٨٥٥ م.] في بغداد

ثم يقف مستقبلا لوجه الميّت مستدبراً للقبلة ويقول السّلام عليكم يا اهل القبور يغفر الله لنا ولكم انتم لنا سلف ونحن بالاثر كذا في الغرايب ولا بأس ان يقرأ على المقابر سورة الملك سواء اخفى او جهر واما غيرها فإنّه يقرأ في المقابر و لم يفرق بين الجهر والخفية كذا في الذخيرة في فضل قرائة القرآن عند القبور ان نوى ان يؤنسه صوت القرآن فإنّه يقرأ وان لم يقصد ذلك فإن الله يسمعه قرائة القرآن حيث كانت كذا في فتاوى قاضيخان[١] إنتهى وفي البزازية قطع الحشيش الرطب من المقابر يكره لانه يسبح ويندفع به العذاب عن الميّت ويستأنس به الميّت انتهى وكذا في امداد الفتاح للشرنبلالى[٢] وسائر كتب الحنفيّة فاذا اثبت ان الميّت يسمع تسبيح نحو الحشيش الّذي لا يدرك للاحياء بنص الأئمة الذين هم عمدة اهل الفتوى كيف ينفي السّماع عن صوت المنادي له بل مراد ذلك البعض منهم كما قال الشّيخ عليّ القاري انها مبنية على المتعارف فذهب الاشكال و لم يلزم التناقض في باب الإيمان في اقوالهم وحصل الإيمان بقول الرسول صلّى الله عليه وسلّم في الأخبار الصّحيحة الثابتة وحصل الاجماع ولله الحمد على أنّه لو فرضنا ان القائل بعدم السّماع هو الامام نفسه فهو قد ثبت عنه أنّه قال كما قال غيره من الأئمة اذا صح الحديث فهو مذهبى بل المشهور من مذهبه الاخذ بالمرسل والضعيف اعتناء بشدّة المتابعة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فكيف يمكن المخالفة للأحاديث الصّحيحة المستفيضة فهذا البعض من المشايخ يتبين عذره فلا يجوز لاحد ان يترك الحديث الصّحيح الوارد عنه صلّى الله عليه وسلّم ويأخذ بقول غيره ولقد احسن الحافظ الذهبى حيث يقول:

العلم قال الله قال رسوله * ان صح والاجماع فاجهد فيه

وحذار من نصب الخلاف جهالة * بين الرسول وبين رأى فقيه

وقد اطبق الأئمة الحنفيّة على سنية زيارة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وزيارة

([١]) قاضيخان حسن الفرغاني الحنفي توفي سنة ٥٩٢ هـ. [١١٩٦ م.]

([٢]) حسن الشرنبلالى الحنفى الازهرى توفي سنة ١٠٦٩ هـ. [١٦٥٩ م.] في القاهرة

صاحبيه رضي الله عنهما والسّلام عليهم وطلب الشفاعة منهم فلو كانوا قائلين بعدم سماع مثل النّبيّ والصاحبين لكان كلامهم متناقضا بل بقولهم بسنية زيارة القبور مطلقاً يحصل التناقض لكن كما قال الشّيخ عليّ القاري ان كلامهم في باب الإيمان مبني على المتعارف فارتفع الاشكال وزال التنافض (فائدة) قال ابن تيميّة في (**كتاب الانتصار للامام أحمد**) رضي الله عنه وانكار عائشة سماع اهل القليب الكفّار معذورة فيه لعدم بلوغها النص وغيرها لا يكون معذوراً مثلها لأن هذه المسئلة صارت معلومة من الدّين بالضّرورة انتهى فيلزم من قوله هذا ان الّذي ينكر سماع الكفّار يكفر لأن جاحد المعلوم من الدّين بالضّرورة يكفر كما في جميع كتب المذاهب على ان البعض الّذي أنكر انما هو في حق الكفّار كما قالته عائشة رضي الله عنها واما النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم والشهداء وأولياء امته فلم يقل احد بانكار سماعهم لا عائشة ولا غيرها وحينئذٍ تعلم سوء ما تجاهر به بعض الجهلة في زماننا من اطلاق عدم السّماع حتّى في حق النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم والامر لله الواحد القهار وقال ابن تيميّة ايضاً في الفتاوى مسئلة في الأحياء اذا زاروا الاموات هل يعلم الاموات بزيارتهم وهل يعلمون بالميت اذا مات من قرائبهم او غيره ام لا الجواب نعم قد جاءت الآثار بتلاقيهم وتسائلهم وعرض اعمال الأحياء على الاموات كما روى ابن المبارك عن أبي ايوب الانصاري[١] قال اذا قبضت نفس المؤمن تلقاها اهل الرحمة من عباد الله كما يتلقون البشير في الدّنيا فيقبلون عليه ويسئلونه فيقول بعضهم لبعض انظروا اخاكم يستريح فإنّه كان في كرب شديد قال فيقبلون عليه ويسئلونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة هل تزوجت الحديث واما علم الميّت بالحيّ اذا زاره ففي حديث ابن عبّاس قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه في الدّنيا فيسلم عليه الاّ عرفه وردّ عليه السّلام**) قال ابن عبد البر[٢] ثبت

---

(١) خالد بن زيد أبو ايوب الصّحابي الانصاري رضي الله عنه توفي سنة ٥٠ هـ. [٦٧٠ م.] في استنبول

(٢) ابن عبد البر يوسف المالكي توفي سنة ٤٦٣ هـ. [١٠٧١ م.] في شاطبه

ذلك عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وصحّحه عبد الحق صاحب الاحكام واما ما اخبر به الله من حياة الشهيد ورزقه وما جاء في الحديث الصّحيح من دخول ارواحهم الجنّة قد ذهب طوائف الى ان ذلك مختص بهم دون الصديقين وغيرهم والصّحيح الّذي عليه الأئمة وجماهير اهل السّنّة ان الحياة والرزق ودخول الارواح الجنّة ليس مختصاً بالشهيد كما دلّ على ذلك النصوص الثابتة واختص الشهيد بالذكر لكون الظان يظن أنّه يموت فينكل عن الجهاد فاخبر بذلك لتزول الشبهة المانعة عن الاقدام على الجهاد والشهادة كما نهى عن قتل الاولاد خشية الاملاق لانه هو الواقع وإن كان قتلهم لا يجوز مع عدم خشية الاملاق انتهى فهذا نص من شيخ هؤلاء الذين يزعمون أنّهم متبعون له وهم اجهل الخلق بنصوصه ومقاصده ان سائر الاموات حياتهم كحياة الشهداء ورزقهم رزق الشهداء فكيف الّذي يكون عيالا على اقواله يزعم شيئاً يخالف اقواله فيجعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا يسمع ولا يرى ولا يعلم ولا يعرف من زاره وناداه لكن هؤلاء غير متبعين لاحد بل هم متبعون هواهم وفقهم الله وهداهم اما نصوص رؤية الموتى للاحياء ففي البخاري (**ما من ميت الاّ يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من اهل الجنّة فمن اهل الجنّة وإن كان من اهل النّار فمن اهل النّار**) والعرض يقتضى الرؤية لمقامه قال الله تعالى في حق آل فرعون (**اَلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وعَشِيًّا ويَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ اَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ اَشَدَّ الْعَذَابِ** * المؤمن: ٦٤) فلو لم ير الميّت لم يحصل فائدة من العرض واخرج أبو نعيم[١] عن عمرو بن دينار ما من ميت يموت الا روحه في يد ملك ينظر الى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشي به ويقال له وهو على سريره اسمع ثناء الناس عليك واخرج ابن أبي الدّنيا[٢] عن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وأنّهم ليغسلونه ويكفنونه وأنّه لينظر اليهم وفي الحديث الصّحيح في البخاري ان منكراً

---

(١) أحمد أبو نعيم الاصفهاني الشّافعي توفي سنة ٤٣٠ هـ. [١٠٣٨ م.]

(٢) ابن أبي الدّنيا عبد الله توفي سنة ٢٨١ هـ. [٨٩٤ م.] في بغداد

ونكيراً يقولان للميت بعد المسايلة انظر الى مقعدك من النّار قد ابدلك الله به من الجنّة فيراهما جميعاً واخرج ابن أبي الدّنيا والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة قال (**إذا مرّ الرجل بقبر يعرفه فسلم ردّ عليه السّلام وعرفه وإذا مرّ بقبر لا يعرفه فسلم ردّ عليه**) انتهى ففهم من هذا الحديث ان الميّت يرى من يزوره ويقرب من قبره لانه لو لم ير لما عرف من كان يعرف وما عرف من لا يعرفه في الدّنيا ففي الاول يرد عليه ويعرفه وفي الثاني يرد عليه السّلام و لم يعرفه لانه في الدّنيا ما كان يعرفه واخرج أحمد والحاكم عن عائشة قالت كنت ادخل البيت فاضع ثوبي واقول انما هو أبي وزوجي فلما دفن عمر ما دخلته الا انا مشدودة على ثيابى حياء من عمر وفي الاربعين الطائية روي عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال (**آنس ما يكون الميّت في قبره اذا زاره من كان يحبه في دار الدّنيا**) فهذا يدل على رؤيته لمن يزوره والاّ فكيف يستأنس الميّت بمن لم يره وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص أنّه قال في مرض موته إذا دفنتموني فشنوا عليّ التراب شناً واقيموا عند قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها أنس بكم وانظر ماذا اراجع به رسل ربي وفي هذا الباب آثار كثيرة هذه عمدها فلا يحتاج الى الاطالة ويدل على هذا الباب باب عرض اعمال الأحياء على الموتى فإنهم لو لم تكن لهم الرؤية لما صح عرض الاعمال عليهم لأن الظاهر ان المراد بعرضها عرض صحايفها التى تكتبها الحفظة من الملائكة وذلك يستدعي نظراً فلأجل هذه المناسبة احببنا ارداف باب الرؤية بباب عرض الاعمال على الموتى (اعلم) ان هذا الباب اكثر الناس لا يعلمه لعدم اطلاعهم على السّنّة النبوية والأحاديث المروية في هذه القضية وكان بعض من يدعي العلم في زعمه وهو اجهل من هبنقة يقول كيف يعلم الانبياء والأولياء بمن يستشفع بهم ويناديهم فقلت له هم مكشوف لهم في الدّنيا وهم على ما هم عليه بعد موتهم او يكون ذلك على وجه الكرامة بخرق العادة وهي ثابتة لهم او بعرض الاعمال الواردة في الأحاديث فانكر ذلك فأتيته بكتب الحديث المصنفة في احوال اهل القبور فلما رآها وكان لا يعرفها قال هذا في الاقارب فقط فقلت في الأحاديث والآثار ما يدل على الاقارب

والاجانب فعاند حتّى مات فها نذكر لك الوارد وليس علينا غير تصحيح نقلنا فمن كان لا يصغى له فهو جاحد فاما عرض الاعمال من الامة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فروى البزاز[١] بسند رجاله رجال الصّحيح عن ابن مسعود عنه صلّى الله عليه وسلّم قال (**حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا انا متُّ كانت وفاتى خير لكم تعرض عليّ اعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت شراً استغفرت لكم**) روي مرفوعاً وله طريق آخر مرسلا عن بكر بن عبد الله المزنى[٢] عن ابن عبّاس وغيره واما عرض الاعمال على الاقارب فاخرج أحمد والحكيم التّرمذي في (**نوادر الاصول**) وابن منده قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**ان اعمالكم تعرض على اقاربكم وعشايركم من الاموات فإن رأوا خيراً استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا اللّهمَّ لا تمتهم حتّى تهديهم كما هديتنا**) واخرج الطيالسى في مسنده عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم (**ان اعمالكم تعرض على عشايركم واقاربكم في قبورهم فإن كان خيراً استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا اللّهمَّ الهمهم إن يعملوا بطاعتك**) واخرج ابن أبي شيبة في (**المصنف**) والحكيم التّرمذي وابن أبي الدّنيا عن ابراهيم بن ميسرة قال غزا أبوايوب القسطنطينية فمرّ بقاصّ وهو يقول إذا عمل العبد العمل في صدر النهار عرض على معارفه إذا امسى من اهل الآخرة وإذا عمل العمل في آخر النهار عرض على معارفه إذا اصبح من اهل الآخرة فقال أبو ايوب انظر ما تقول قال والله إنّه لكما اقول فقال أبو ابوب اللّهمَّ اني اعوذ بك أن تفضحني عند عبادة ابن الصامت وسعد بن عبادة بما عملت بعدهم فقال القاص والله لا يكتب ولايته لعبد الاّ ستر عوراته واثنى عليه باحسن عمله واخرج الحكيم التّرمذي في نوادره من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**تعرض الاعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله وتعرض على الانبياء وعلى الأولياء**

(١) بزاز محمّد الكردرى الحنفى توفي سنة ٨٢٧ هـ. [١٤٢٤ م.]

(٢) عبد الله المزني الشّافعي توفي سنة ٢٦٤ هـ. [٨٧٧ م.]

والامهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناهم وتزداد وجوههم بياضاً واشراقاً فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم) واما عرض الاعمال على الاجانب فاخرج ابن المبارك وابن أبي الدّنيا عن أبي ايوب قال (**تعرض اعمالكم على الموتى فإن رأوا حسنا استبشروا وإن رأوا سوءاً قالوا اللّهمَّ راجع بهم**) واخرج الحكيم التّرمذي وابن أبي الدّنيا والبيهقي في (**شعب الإيمان**) عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول (**اتقوا الله في اخوانكم من اهل القبور فإن اعمالكم تعرض عليهم**) وهذان الحديثان عامان في مطلق الموتى وعن أبي الدردآء قال (**إنّ اعمالكم تعرض على موتاكم ينسرون ويساؤن**) ويدل على ماقلنا من العموم ما ذكره ابن القيّم في كتابه الروح عن ابن أبي الدّنيا قال حدثني محمّد بن الحسين حدثني خالد بن عمرو الاموي حدثنا صدقة بن سليمان الجعفري قال كانت لي شرة سمجة فمات أبي فأبت وندمت على ما فرطت قال ثم زللت ايما زلة فرأيت أبي في المنام فقال اي بني ما كان اشد فرحي بك واعمالك تعرض علينا فنشبهها باعمال الصّالحين فلما كانت هذه المرة استحييت لذلك حياء شديداً فلا تخزني فيمن حولي من الاموات قال فكنت اسمعه بعد ذلك يقول في دعائه في السحر وكان لي جار بالكوفة اسألك انابة لا رجعة فيها ولا حور يا مصلح الصّالحين ويا هادي المضلّين ويا ارحم الراحمين ففي هذا الاثر دلالة ان الموتى الاجانب يطلعون على اعمال غير الاقارب لأن الّذي تعرض اعماله عليه هو ابوه فقال لولده لا تخزني فيمن حولي من الاموات فلو لا أنّهم يطلعون معه على عمل ابنه بالعرض لما قال ذلك وقد تقدم في حديث ايوب تعرض على معارفه وهم الذين يعرفونه اعم من الاقارب وفي هذا القدر كفاية لمن شرح الله صدره بالإيمان.

باب تزاور الموتى وتلاقيهم

اخرج الحارث ابن أبي اسامة[١] والوائلى[٢] في (**الابانة**) والمعقيلى عن جابر

([١]) الحارث ابن أبي اسامة البغدادى توفي سنة ٢٨٢ هـ. [٨٩٥ م.]

([٢]) عبيد الله الوائلى توفي سنة ٤٤٠ هـ. [١٠٤٨ م.]

قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**احسنوا اكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم**) وفي صحيح مسلم (**إذا ولى احدكم اخاه فليحسن كفنه**) يعني لعلة التزاور والتباهي به وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**احسنوا اكفان موتاكم فإنهم يتزاورون في اكفانهم**) واخرج التّرمذي وابن ماجة ومحمّد بن يحيى الهمدانى في (**صحيحه**) وابن أبي الدّنيا والبيهقي في (**شعب الإيمان**) عن أبي قتادة قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**إذا ولى احدكم اخاه فليحسن كفنه فإنهم يتزاورون في قبورهم**) وقال ابن تيميّة في الفتاوى في مواضع متعددة ويتزاورون سوآء كانت المداين متقاربة في الدّنيا او متباعدة قد تجتمع الارواح مع تباعد المداين انتهى وقد ذكر ذلك الأئمة الحنفية في كتبهم الفقهية وهو أنّه يسن تحسين الكفن لأن الموتى يتفاخرون به ويتزاورون بل قال به جميع فقهاء المذاهب وفي هذا الباب آثار كثيرة واخبار عجيبة غزيره ان اردتها فارجع الى (**شرح الصّدور**) للامام الحافظ السّيوطي فإنّه جمع فاوعى.

باب علم الموتى باحوال اهل الدّنيا من غير طريق عرض الاعمال

قال ابن القيم في كتاب الروح (**فصل**) وقد ترجم الحافظ أبو محمّد عبد الحق الاشبيلي على هذا فقال ذكر ما جاء ان الموتى يسئلون عن الأحياء ويعرفون اقوالهم واعمالهم ثم ذكر بعد ورقة فقال صح عن عمرو بن دينار أنّه قال ما من ميت يموت الاّ وهو يعلم بما يكون في اهله وأنّهم يغسلونه ويكفنونه وأنّه لينظر اليهم ثم بعد ورقة قال وصح عن حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب ان الصعب بن جثامة وعوف بن مالك كانا متواخيين فقال الصعب لعوف اي اخي اينا مات قبل صاحبه فليتراء له قال او يكون ذلك قال نعم فمات صعب فرآه عوف فيما يرى النائم كأنه قد اتاه قال قلت اي اخى قال نعم قلت ما فعل الله بك قال غفر لنا بعد المشارب ثم بعد كلام قال واعلم اي اخي أنّه لم يحدث في اهلي حدث بعد الاّ وقد لحق بي خبره حتّى هرة ماتت لنا منذ ايام واعلم ان بنتى تموت الى ستة ايام فاستوصوا بها معروفا ثم

كان كما اخبر ثم ذكر حديث ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه واتيانه لاحد من في عسكر خالد ابن الوليد وقوله له اني اوصيك بوصية فاياك ان تقول هذا حلم اني لما قتلت مرّ بي رجل من المسلين فأخذ درعي ومنزله في اقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله اي يرعى في رسنه الطويل وقد كفى على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالد بن الوليد فقل له يأخذ درعي فاخبر الرجل خالداً فوجد الدرع كما وصف فاخذه وقال الحافظ السّيوطي في شرح الصّدور.

باب تأذى الميّت بما يبلغه عن الأحياء

اخرج الديلمي[١] عن عائشة رضي الله عنها ان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال (**ان الميّت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته**) قال القرطبى[٢] في التذكرة يجوز ان يكون الميّت يبلغه من أفعال الأحياء واقوالهم ما يؤذيه بلطيفة يحدثها الله تعالى له من ملك مبلغ او علامة او دليل وما شاء الله وقال ابن القيّم في كتاب الروح وقد دلّ على التقاء ارواح الأحياء والاموات ان الحيّ يرى الميّت في منامه فيستخبره ويخبر الميّت بما لا يعلمه الحيّ فيصادف خبره كما اخبر في الماضي والمستقبل وربما اخبره بمال دفنه الميّت في مكان لم يعلم به سواه وربما اخبره بدين عليه وذكر له شواهده وادلته وابلغ من هذا أنّه اخبره بما عمله من عمل لم يطلع عليه احد من العالمين وابلغ من هذا أنّه يخبره انك تأتينا في وقت كذا فيكون كما اخبر وربما اخبره عن امور بقطع الحيّ أنّه لم يكن يعرفها غيره وقد ذكرنا قصة الصعب بن جثامة وقصة ثابت بن شماس الى آخر ما قال وذكر السّيوطي في شرح الصّدور عن محمّد بن سيرين رضي الله عنه قال ما اخبرك الميّت بشئ فهو حق لانه في دار الحق فهو لا ينطق الا بالحق انتهى وهذا من المجربات كما ذكره ابن القيّم وغيره وهذا من باب كشف الغطاء واطلاعه على ذلك من لطافة الروح فيعلم ذلك في تلك الدار التى هي محل العلم من الله تعالى

---

(١) أبو شجاع شهردار الديلمي توفي سنة ٥٥٨ هـ. [١١٦٤ م.]

(٢) محمّد القرطبى المالكي توفي سنة ٦٧١ هـ. [١٢٧٢ م.]

واخرج الحاكم والبيهقي في الدلايل عن سليمان قال دخلت على ام سلمة وهي تبكي فقلت ما يبكيك قالت رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام يبكي وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت ما لك يا رسول الله قال شهدت قتل الحسين آنفاً ذكره السّيوطي في (**شرح الصّدور**) وكذا الخطيب التبريزي[١] في (**مشكاة المصابيح**) واخرج ابن أبي الدّنيا من طريق أبي بكر بن عياش عن حفار من بني اسد قال كنت في المقابر ليلة إذ سمعت قائلا يقول من قبر يا عبد الله قال ما لك يا جابر قال غدا تأتينا اُمنا قال وما ينفعنا لا تصل الينا ان ابي قد غضب عليها وحلف ان لا يصلّي عليها فلما كان من الغد جائني رجل فقال احفر لي ههنا قبراً بين القبرين الذين سمعت منهما الكلام فقلت اسم هذا جابر واسم هذا عبد الله قال نعم فاخبرته بما سمعت قال نعم قد كنت حلفت ان لا اصلى عليها فلأكفرن عن يميني ولاصلينّ عليها.

باب ما ورد من تصرف الموتى وصدور امور منهم بقدرة الله تعالى

قال الحافظ السّيوطي في كتابه (**المتقدم**) قال الحافظ ابن حجر في فتاواه ارواح المؤمنين في عليين وارواح الكفّار في سجين ولكل روح بجسدها اتصال معنوي لا يشبه الاتصال في حياة الدّنيا بل اشبه شئ به حال النائم وإن كان هو اشد حالا من حال النائم اتصالا قال وبهذا يجمع بين ما ورد ان مقرها في عليين وسجين وبين ما نقله ابن عبد البر انها عند افنية قبورها قال ومع ذلك فهى مأذون لها في التصرف وتأوى الى محلها من عليين او سجين قال وإذا نقل الميّت من قبر الى قبر فالاتصال المذكور مستمر وكذا لو تفرقت الاجزاء انتهى قال السّيوطي قلت ويؤيد ما ذكره من الاذن بالتصرف مع كون المقر في عليين ما اخرجه ابن عساكر من طريق ابن اسحاق قال حدثنى الحسين بن عبد الله ابن عبّاس ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال بعد قتل جعفر (**لقد مرّ بي الليلة جعفر يقتفي نفراً من الملائكة له جناحان متخضبة قوادمهما بالدم يريدون بيشه بلداً باليمن**) واخرج ابن عدي[٢]

---

(١) محمّد ولي الدّين الخطيب التبريزي الشّافعي توفي سنة ٧٤٩ هـ. [١٣٤٨ م.]

(٢) عبد الله ابن عدى توفي سنة ٣٢٣ هـ. [٩٣٥ م.] في استرآباد

من حديث عليّ بن أبي طالب ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال (**عرفت جعفر في رفقة من الملائكة يبشرون اهل بيشة بالمطر**) واخرج الحاكم عن ابن عبّاس قال بينما النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم جالساً واسماء بنت عميس قريباً منه إذ ردّ السّلام وقال (**يا اسماء هذا جعفر مع جبرئيل وميكائيل مروا فسلموا علينا واخبرني أنّه لقى المشركين يوم كذا ويوم كذا قال فاصبت في جسدي من مقادمى ثلاثاً وسبعين من طعنة وضربة ثم اخذت اللواء بيدى اليمنى فقطعت ثم اخذته بيدى اليسرى فقطعت فعوضني الله من يدي جناحين اطير بهما مع جبرئيل وميكائيل انزل من الجنّة حيث شئت واكل من ثمارها ما شئت**) قالت اسماء هنيئاً لجعفر ما رزقه الله من الخير لكنى اخاف ان لا يصدقني الناس فاصعد المنبر فاخبر به الناس فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال (**ان جعفر ابن أبي طالب مرّ مع جبرئيل وميكائيل عوضه الله من يديه جناحين فسلّم عَلَيّ**) ثم اخبرهم بما اخبره به فهذه الأحاديث تدل على ان الله تعالى يأذن لعباده الشهداء وغيرهم من الصّالحين في بعض الامور التى ينتفع بها الناس وفي هذا آثار كثيرة ذكرها علماء الحديث عن السلف منها ما ذكره السّيوطي قال اخرج ابن أبي الدّنيا من طريق يزيد بن سعيد القرشي عن أبي عبد الله الشامي قال غزونا الروم فخرج منا ناس يطلبون اثر العدو فانفرد منهم رجلان قال احدهما فبينا نحن كذلك إذ لقينا شيخ من الروم فقال ابرزوا فحملنا عليه فاقتتلنا ساعةً فقتل صاحبي فرجعت اريد اصحابي فبينا انا راجع إذ قلت لنفسى ثكلتك امك سبقني صاحبي الى الجنّة وارجع هارباً الى اصحابي فرجعت اليه فضربته فاخطأته فحملني وضرب بي الارض وجلس على صدري وتناول شيئاً معه ليقتلنى به فجاء صاحبي المقتول فاخذ بشعر قفاه فالقاه عني واعانني على قتله فقتلناه جميعاً وجعل صاحبي يمشي ويحدثنى حتى انتهينا الى شجرة فاضطجع مقتولا كما كان فجئت الى اصحابي فاخبرهم وقد ذكر هذا الاثر الزندوسي[١] صاحب (**روضة العلماء**) من الحنيفة وصاحب زبدة

---

(١) الزندوسي حسين البخاري توفي سنة ٤٠٠ هـ. [١٠٠٩ م.]

الفقهاء[١] ايضاً واخرج المحاملى في اماليه عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة قال بينما رجل في اندرله بالشّام ومعه زوجته وقد كان استشهد ابن لهما قبل ذلك بما شاء الله إذ رأى الرجل فارساً قد أقبل فقال لإمرأته ابني وابنك يا فلانة قالت له اخسأ الشيطان ابنك قد استشهد منذ حين وانت مفتون فاقبل على عمله واستغفر ثم نظر ودنى الفارس فقال ابنك والله يا فلانة ونظرت وقالت هو والله فوقف عليهما فقال له ابوه اليس قد استشهدت يا بني قال بلى ولكن عمر بن عبد العزيز توفي هذه الساعة فاستاذن الشهداء ربهم في شهوده فكنت منهم واستاذنته في السّلام عليكما ثم دعى لهما وانصرف ووجد عمر قد توفي تلك الساعة قال السّيوطي فهذه آثار مسندة خرجها ائمة الحديث باسانيدهم في كتبهم اوردتها تقوية لما حكاه اليافعي وتصديقا له انتهى وقد كان ذكر في هذا الباب اشياء كثيرة من هذا النمط من اراد الاطلاع فليرجع اليه ثم قال قال اليافعي[٢] رؤية الموتى في خير وشر نوع من الكشف يظهره الله بشراً او موعظةً او لمصلحة للميت من ايصال خبر اليه وقضاء دين او غير ذلك ثم هذه الرؤية قد تكون في النوم وهو الغالب وقد تكون في اليقظة وذلك من كرامات الأولياء اصحاب الاحوال وقال في موضع آخر مذهب اهل السّنّة ان ارواح الموتى ترد في بعض الاوقات من عليين او سجين الى اجسادهم في قبورهم عند ارادة الله تعالى وخصوصاً ليلة الجمعة ويجلسون ويتحدثون وينعم اهل النعيم ويعذب اهل العذاب قال ويختص الارواح دون الاجساد بالنعيم والعذاب ما دامت في عليين او سجين وفي القبر يشترك الروح والجسد انتهى وقال ابن القيّم في كتاب الروح ومما ينبغى ان يعلم ان ما ذكرناه من شأن الروح يختلف بحسب حال الارواح من القوة والضعف والكبر والصغر فللروح العظيمة الكبيرة من ذلك ما ليس لمن دونها وانت ترى احكام الارواح في الدّنيا كيف تتفاوت اعظم تفاوت بحسب

---

(١) صاحب الزبدة ابراهيم المصري توفي سنة ٩٥٧ هـ. [١٥٥٠ م.]

(٢) عبد الله اليافعي الشّافعي توفي سنة ٧٦٨ هـ. [١٣٦٧ م.] في مكّة المكرّمة زادها الله شرفا وكرما

الارواح وكيفياتها وقواها وبطائها واسراعها والمعاونة لها فللروح المطلقة من اسر البدن وعلايقه وعوايقه من التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعة الصعود الى الله تعالى والتعلق بالله تعالى ما ليس للرّوح المهينة المحبوسة في علايق البدن وعوايقه فإذا كانت هكذا وهى المحبوسة في بدنها فكيف إذا تجردت وفارقته واجتمعت فيها قواها وكانت في اصل شأنها روحاً عليةً زكيةً كبيرةً ذات همة عالية فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر وقد تواترت الرؤيا من اصناف بني آدم على فعل الارواح بعد موتها ما لايقدر على مثله حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل ونحو ذلك وكم قد رؤى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في النوم قد هزمت ارواحهم عساكر الكفر والظلم فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وضعف المؤمنين وقلتهم انتهى ويوافق هذه النقول من فسر قوله تعالى والمدبرات أمراً بارواح الكمل بعد المفارقة كما ذكر جملة من المفسّرين منهم البيضاوي وتبعه على ذلك المحشون والله اعلم.

باب اطلاع بعض الأحياء على حال اهل القبور من نعيم او عذاب

فرآه بعين رأسه انموذجاً لما اخبر الله تعالى ورسوله فرأوا الاجساد منعمة او معذبة وقد اتفق اهل السّنّة والجماعة على نعيم القبر وعذابه وأنّه حق يجب اعتقاده وان النعيم والعذاب على الروح والبدن كما ذكر ذلك اهل علم العقايد ولا ينكر ذلك الا المعتزلة والخوارج ثم ورد في الأحاديث النبوية والآثار الصّحابية والسلفية ونحن نذكر مايقوي اعتقاد بعض الجهال ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم اما الانبياء فقد قدمنا أنّهم أحياء طريون في قبورهم يصلّون وورد في الصّحيحين أنّهم يحجّون واما غيرهم فقد اخرج أبو نعيم عن يوسف بن عطية قال سمعت ثابتاً البناني يقول لحميد الطويل هل بلغك ان احداً يصلّي في قبره الا الانبياء قال لا قال ثابت اللّهمَّ ان انت اعطيت لاحد ان يصلّي في قبره فأذن لثابت ان يصلّي في قبره واخرج ايضاً عن جبير قال انا والله الذي لا اله الا هو ادخلت ثابتاً البناني لحده ومعى حميد الطويل فلما سوينا عليه اللبن

سقطت لبنة فإذا انا به يصلّي في قبره واخرج ابن جرير في تهذيب الآثار وأبو نعيم عن ابراهيم بن الصامت المهلبي قال حدثني الذين كانوا يمرون بالحاصف في الاسحار قالوا كنّا اذا مررنا بجنبات قبر ثابت البناني سمعنا قراءة القرآن ومثله في صفة الصفوة لابن الجوزي واخرج الترمذي والحاكم والبيهقي عن ابن عبّاس قال ضرب بعض اصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم خبائه على قبر وهو لا يحسب أنّه قبر فإذا فيه انسان يقرء سورة الملك حتى ختمها فأتى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فاخبره فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هي المانعة هي المنجية تنجى من عذاب القبر قال أبو القاسم السعدى في كتاب الروح هذا تصديق من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأن الميّت يقرأ في قبره فإن عبد الله يعني ابن عمر وهو الذي ضرب خبأه وسمع او خبره بذلك وصدقه الرسول صلّى الله عليه وسلّم قال الحافظ زين الدّين بن رجب في كتاب اهوال القبور قد يكرم الله بعض اهل البرزخ باعماله الصّالحة في البرزخ وان لم يحصل له بذلك ثواب انقطاع عمله بالموت لكن انما يبقى عمله عليه ليتنعم بذكر الله وطاعته كما تتنعم بذلك الملائكة واهل الخير في الجنّة لأن نفس الذكر والطاعة اعظم نعيما عند اهلها من جميع نعيم اهل الدّنيا ولذتها فما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالى وطاعته ومثل ذلك ذكر ابن القيّم في كتاب الروح وابن تيميّة وغيرهم والسّيوطي في شرح الصّدور وروى أبو الحسن بن البرآء في كتاب الروضة عن عبد الله بن محمّد بن منصور حدثني ابراهيم الحفار قال حفرت قبراً فبدت لبنة فشممت رائحة المسك حين انفتحت اللبنة فإذا شيخ جالس في قبره يقرأ القرآن واخرج ابن منده[١] عن عاصم السّقطي قال حفرنا قبراً ببلخ فنفذ في قبر فنظرت فإذا شيخ في القبر متوجه الى القبلة وعليه ازار اخضر واخضر ما حوله وفي حجره مصحف وهو يقرأ فيه ثم ذكر آثارا كثيرة مثل ذلك في الكتاب المذكور واخرج الحافظ أبو محمّد الخلال[٢] في

---

(١) ابن منده محمّد توفي سنة ٣٩٥ هـ. [١٠٠٥ م.]

(٢) عبد الله الخلال المصري المالكي توفي سنة ٦١٦ هـ. [١٢١٩ م.]

كتابه كرامات الأولياء بسنده عن أبي يوسف الغسولي قال دخلت على ابراهيم بن ادهم بالشّام فقال لي لقد رأيت اليوم عجباً قلت وما ذاك قال وقفت على قبر من هذه المقابر فانشق لي عن شيخ خضيب فقال لي يا ابراهيم سل فإن الله احيانى من اجلك قلت ما فعل الله بك قال لقيت الله بعمل قبيح فقال قد غفرت لك بثلاث لقيتنى وانت تحب من احب ولقيتني وليس في صدرك مثقال ذرة من شراب حرام وولقيتني وانت خضيب وانا استحي من شيبة الخضيب ان اعذبها بالنار قال والتأم القبر على الشّيخ قال ابراهيم ويحك يا غسولي عامل الله يرك العجايب وفي صفة الصفوة لابن الجوزي في ترجمة معاذة بسنده الى ام الاسود بنت زيد العدوية وكانت معاذة قد ارضعتها قالت قالت لي معاذة لما قتل أبو الصهباء وقتل ولدها والله يا بنية ما محبتى للبقاء في الدّنيا للذيذ عيش ولا لروح يشم ولكني والله احب البقاء لاتقرب الى الله بالوسايل لعلّه يجمع بيني وبين أبي الصهباء وولده في الجنّة قال محمّد بن الحسين وحديثا روح ابن سلمة الوراق قال سمعت عفيرة العابدة تقول بلغني ان معاذة العدوية لما احتضرت للموت بكت ثم ضحكت فقيل لها مم البكاء ومم الضحك قالت اما البكاء الذي رأيته فانّي والله ذكرت مفارقة الصيام والقيام والذكر فكان البكاء لذلك واما الضحك فانّي نظرت الى أبي الصهباء وقد اقبل في صحن الدار وعليه حلتان خضراوان وهو في نفر والله ما رأيت لهم في الدّنيا شبهاً فضحكت اليه ولا ارانى ادرك بعد ذلك فرضاً فماتت قبل ان تدرك الفريضة ومعاذة ادركت عائشه رضي الله عنها وروت عنها وروى عن معاذة الحسن البصري وأبو قلابة[١] ويزيد الرّقاشي انتهى.

واما رؤية العذاب لبعض الموتى فاخبر الله تعالى عن آل فرعون فقال (**النار يعرضون عليها غدواً وعشياً**) وقال صلّى الله عليه وسلّم كما في الصّحيحين (**لو لا ان لا تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر ما اسمع**) ولا بد ان يكون العذاب على الروح والجسد لأن الفاعل للكفر او المعاصي انما هو الروح والجسد فلا

(١) أبو قلابة عبد الملك الرقّاشي توفي سنة ٢٧٦ هـ. [٨٨٩ م.] في بغداد

يمكن ان تعذب الروح وحدها بدونه لانه غير لايق بالحكمة والعدالة الالهية قال العلماء فالاجساد وان رؤيت متفتة لبعض الناس فهي في علم الله موجودة ونحن لا نشاهدها وقد رأى بعض الصّحابة العذاب عياناً لبعض الموتى بارواحهم واجسادهم ليكون تصديقاً لما اخبر الله ورسوله قال ابن القيّم في كتاب الروح والسّيوطي في شرح الصّدور وابن رجب في اهوال القبور عن ابن أبي الدّنيا عن الشعبي[١] أنّه ذكر رجلاً قال للنّبي صلّى الله عليه وسلّم مررت ببدر فرأيت رجلاً يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة حتى يغيب في الارض ثم يفعل به ذلك فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ذاك أبو جهل يعذب الى يوم القيامة وذكر من حديث حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله عن ابيه قال بينا انا اسير بين مكّة والمدينة على راحلة وانا محقب اداوة إذ مررت بمقبرة وإذا رجل خارج من قبره يلتهب ناراً وفي عنقه سلسلة يجرها فقال يا عبد الله اسقني يا عبد الله اسقني فلا ادري أعرف اسمي ام دعا بي كما يدعو الناس قال فحرج آخر فقال يا عبد الله لا تسقه يا عبد الله لا تسقه ثم اجتذب السلسة فاعاده في قبره قال ابن أبي الدّنيا وحدثني أبي حدثنا موسى بن داود حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه قال بينما هو راكب يسير بين مكّة والمدينة إذ مرّ بمقبرة فإذا رجل قد خرج من قبره يلتهب ناراً مصفداً بالحديد فقال يا عبد الله انضح وخرج آخر يتلوه فقال يا عبد الله لا تنضح يا عبد الله لا تنضح وغشى على الراكب وعدلت به راحلته الى العرج قال فاصبح وقد ابيض شعره فاخبر عثمان بذلك فنهى ان يسافر الرجل وحده ومثله روى في زمن عمر رضي الله عنه وفي الباب آثار كثيرة وفي هذا كفاية وهذا يدلك على ان اهل النار اذا خرجوا بأجسادهم على وجه الارض ورآهم من رآهم يقظة جهاراً فما المانع من ذلك في حق انبياء الله واوليائه بقدرة الله تعالى فهذه بعض احوال اهل القبور من سائر الناس فكيف بالأولياء والانبياء فإذا علمت ان سائر الموتى أحياء حياة برزخية وان الموت كما قال

---

(١) عامر الشعبي من أساتذة أبي حنيفة توفي سنة ١٠٤ هـ. [٧٢٢ م.] في الكوفة

جملة من السلف هو نقلة من دار الى دار وان الانبياء والأولياء المنقولين بسيف المجاهدة لله كالشهداء الوارد فيهم النص القرآني في حياتهم الحقيقية كيف يستغرب طلب التسبب منهم والتشفع والتوسّل بدعائهم الى ربهم او كرامتهم عليه او شفاعتهم عنده وهو وليهم في الدّنيا والآخرة ولهم فيها ما تشتهى انفسهم ولهم فيها ما يدعون نزلا من غفور رحيم فهل إذا عامل احد هؤلاء الذين هذا حالهم معاملة الأحياء يلام على ذلك او يعاب او يؤثم او يكفر او يشرك مع اعتقاده ان الفعل لله وحده خلقاً وايجاداً لا شريك له وأنّه يكون من اهل القبور من الانبياء والأولياء تسبباً وكسباً فهل ينكر ذلك الا من جعلهم تراباً وعظاماً وترك ما يجب لهم ويسند اليهم اكراما واعظاما الا جاهل بالشرع المحمّدي فحينئذٍ يقال لهذا المتعلم الجاهل احسن حالا منك في معرفته بالشرع والمقصود من هذا ان تعلم ان الأحاديث الواردة في الطلب من الموتى واجمع عليها العلماء مبني امرها على هذا الاصل فإذا جادل في هذه الاشياء بعض الاشقياء بعد اقامة هذه الادلة فاتركه وشقائه وأحمد الله الذي رزقك الإيمان بما جاء عن سيد الاكوان وسلف امته المتبعين له باحسان (**وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَينَا لِهَذَا ومَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ ان هَدَينَا اللهُ** * الاعراف: ٤٣) ولنذكر لك بعض الآيات الدّالة على طلب الوسيلة قال تعالى (**يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا اِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** * المائدة: ٣٥) وقال في الآية الاخرى (**اُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ اِلَىَ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ اَيُّهُمْ اَقْرَبُ** * الإسراء: ٥٧) فقد امر الله تعالى بابتغاء الوسيلة وفسرها تعالى في الآية الاخرى اعنى قوله أنّهم يبتغون ايهم اقرب فيتوسّلون به الى الله تعالى وهو عام سواء كان التوسّل بدعائه كما يقوله الخوارح او بشفاعته او بجاهه او بكرامته او بذاته ومن منع بالذات فقد افترى فإن التوسّل بالذوات قد صرحت به الآيات وقد وردت عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم به الأخبار الصّحيحات اما الآيات فمنها قوله تعالى (**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَاَنْتَ فِيهِمْ** * الانفال: ٣٣) فقد ذكر المفسّرون وذكره البخاري ان الكفّار استعجلوا العذاب فقال تعالى (**ما كان الله**

ليعذبهم وانت فيهم * الانفال: ٣٣) يعني حلول ذات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مانعة من نزول العذاب على الكفّار ولا يمكن ان يقال ان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم نفعهم بجاهه ولا بدعائه ولا بشفاعته لأن هذه الاشياء لا تكون للكفّار وقال بعض السلف في قوله تعالى (**وَمَاكَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** * الانفال: ٣٣) ان معناه ما كان لعذبهم وفي اصلابهم من يستغفر يعني من قدر الله ان يخرج من صلب الكافر من يستغفر وهو الذي مكتوب أنّه يؤمن بالله بعد خروجه من صلب الكافر فجعل الله بقدرته وارادته وجود النطف المؤمنة في اصلاب الكفّار اسبابا لدفع العذاب عنهم ومنها قوله تعالى (**وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ اْلاَرْضُ** * البقرة: ٢٥١) قال المفسّرون من السلف لو لا ان يدفع الله بالمؤمن عن الكافر وبالطائع عن العاصى لفسدت الارض فوجود ذوات هؤلاء مانعة من وجود الفساد وقال تعالى (**اِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى اُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ** * الانبياء: ١٠١) ولا يخفي على مسلم ان السعادة للذوات لا للاعمال ولهذا ورد في الحديث (**السعيد في بطن امه والشقي في بطن امه**) فليس للاعمال دخل في السعادة الا بحسب الدلالة ظاهراً لا حقيقة لقوله صلّى الله عليه وسلّم (**إنّ احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنّة فيدخلها**) وليس الدخول للعمل بل للدلالة كما صرح صلّى الله عليه وسلّم به في قوله (**لن يدخل احد الجنّة بعمل**) قالوا حتى انت يا رسول الله قال (**حتى انا الاّ ان يتغمدني الله برحمته**) فدخول الجنّة قطعاً ليس بالاعمال بل بالسعادة السّابقة الازلية وهي بحسب الذوات فاصطفاء ذات نبينا صلّى الله عليه وسلّم وتفضيلها على جميع الرسل انما هو باعتبار ذاته الشّريفة كما لا يخفى على مؤمن وكذلك الرسل والانبياء والأولياء فالجاه وغيره انما هو تبع للذات وليس الذات تابعة للجاه على ان لو طالبنا المنكر اعتبار الذات بدليل واحد ولو ضعيفاً لم يجد الى ذلك سبيلا فقول هذا المدعي غير معقول ولا يمكن ان يذكر سبباً فضلاً عن دليل بل الادلة المتوافرة المتواترة ناهضة على خلاف ما يدعيه

اهل الدعاوى الباطلة ففي الحديث الصّحيح أنّه صلّى الله عليه وسلّم قال (**بتربة ارضنا وريقة بعضنا يشفي باذن ربنا مريضنا**) فيسن لكل احد اذا رقي لمريض ان يأخذ من تراب ارضه ويمزجها بريقه ويسقيه للمريض فإنّه يشفي باذن الله تعالى ولا شكّ ان التراب والريق من الذوات ولا يعقل لها جاه او دعاء او شفاعة وفي الحديث الصّحيح (**ماء زمزم لما شرب له**) فمن شرب من ماء زمزم لاى نية ارادها من خير دنيا او آخرة حصل له مقصوده كما هو مجرب ولا شكّ ان ماء زمزم ذات لا يعقل له جاه ولا دعاء ولا شفاعة وكذا ورد في الصّحيح واطبق عليه فقهاء الامة ان الملتزم عند باب الكعبة من الصق بطنه به وتوسّل به الى الله لا يخيبه الله كما هو مجرب ولا يخفى ان الملتزم احجار وهي ذات جعل الله لها هذه الخاصية وكذا تحت الميزاب وعند مقام ابراهيم وتقبيل الحجر الاسود والتمسح به والتوسّل به هو ذات محض وهو ارجى الوسائل الى الله لقبول المثقلين بالذنوب فكيف يكون لهذه الذوات خاصية يحصل بها المقصود للراجي ونحن إذا دعونا الله بجاه ذات نبينا لا يحصل لنا ولا يرضاه لنا أفيقال ان ذات تراب الارض وريقة البعض وماء زمزم واحجار الملتزم ومقام ابراهيم اي محل قدمه الاسعد والحجر الاسود جعل فيها الاسباب لجلب المنافع دون ذات نبينا التي خلقت من نوره فما هذه الخرافات من قائلها الا جهالات ليت صاحبها استحى من الله ومن رسوله ومن الناس من قولها والتفوه بها وقد كان الصّحابة الكرام يعظمون ذات نبينا صلّى الله عليه وسلّم اشد التعظيم كما في حديث عروة بن مسعود الثقفي عند البخاري وغيره لما جاء الى نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم في صلح الحديبية فرجع الى قومه فقال اي قومي والله لقد وفدت على كسرى وقيصر والنجاشي فمارأيت احداً يعظم احداً ما يعظم اصحاب محمّد محمداً أنّه لا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم ولا توضأ وضوءاً الا اقتتلوا على وضوئه يتبركون به ولا يحدون النظر اليه الحديث فانظر كيف تعظيم الصّحابة لذاته بل للصادر من ذاته مما هو مستقذر بالنسبة لغير ذاته الشّريفة أفيقال ان النخامة وماء

الوضوء الذي يجري على اعضائه الشريفة كانت تدعو او تشفع او لها جاه بل هي ذات تابعة لاشرف الذوات فانظر الى هذه الجهالات الصادرة ممن يدعي الكمالات فيجعل ذات نبينا كاالات ويلزم على قوله ان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم واصحابه هم الذين فعلوا وامروا بمشابهة الاصنام والعياذ بالله من لازم هؤلاء الطغام وفي الباب أحاديث دالة على التوسّل بالآثار للانبياء والأولياء الاخيار لا جواب عنها للخصماء الاشرار منها ما في البخاري ومسلم عن اسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وفي بعض حديثها فاخرجت لي جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفتان بالديباج فقالت فهذه كانت عند عائشة رضي الله عنها فلما قبضت قبضتها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها الحديث فانظر كيف يستشفون بها لكونها كانت ملبوسة لتلك الذات الحاوية لجميع الكمالات ومنها في جمع الصّحيحين للحميدي[١] عن عبد الله بن موهب قال ارسلني اهلي الى ام سلمة زوج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بقدح من ماء فجائت بجلجل من فضة فيه شعر من شعر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فكان إذا اصاب الانسان عين او شئ بعث باناء اليها فخضخضت له فشرب منه فاطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمرا ومنها ما في الجمع بين الصّحيحين للحميدي عن سهل بن سعد في البردة التى استوهبها من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فلامه الصّحابة على طلبها منه فقال انما سئلته اياها لتكون كفني وفي رواية أبي غسان أنّه قال رجوت بركتها حين لبسها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لعلّي اكفن بها وكان مراده يتسبب بها الى الله في قبره ليندفع عنه العذاب ببركتها وهى ذات لا يتصور فيها شئ سوى كونها من آثار تلك الذات وفي الصّحيحين عن ام سليم ان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان ينام عندها فكانت تأخذ من عرقه الشّريف فاستيقظ فقال (**ما تصنعين يا ام سليم**) فقالت يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا فقال (**اصبت**) قال ابن ملك في شرح المصابيح وفيه دليل على جواز التقرب الى الله تعالى بآثار المشايخ والعلماء

---

(١) محمّد الحميدي الاندلسي توفي سنة ٤٨٨ هـ. [١٠٩٥ م.]

والصلحاء انتهى ومنها ما في صحيح مسلم كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا صلّى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يأتونه باناء الا غمس يده الشّريفة فيه قال ابن الجوزي في كتابه بيان شكل الحديث انما كانوا يطلبون بركته صلّى الله عليه وسلّم لهذا وينبغي للعالم إذا طلب العوام منه التبرك في مثل هذا ان لا يخيب ظنوهم انتهى كلام الحافظ ابن الجوزي وفي كلام هذا العالم وفي كلام النووي في شرح مسلم والقاضي عياض في شرح مسلم وفي كلام العلامة ابن ملك الحنفي دليل على ان هذه الامور ليست خاصية بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كما زعمه بعض الخوارج ومنها ما رواه البخاري عن ابن سيرين[١] قال قلت لعبيدة عندنا من شعر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم اصبناه من قبل انس او من قبل اهل انس فقال لأن تكون شعرة عندي منه احب اليّ من الدّنيا وما فيها ومنها ما في البخاري ان انس ابن مالك خادم رسول الله صلّى الله عله وسلّم اوصى ان تدفن شعرات للنبي صلّى الله عليه وسلّم معه انتهى وما ذاك الا ليتوجه الى الله تعالى بها في قبره وفي الشفاء في فضل كراماته وبركاته صلّى الله عليه وسلّم قال وكانت شعرة في قلنسوة خالد ابن الوليد[٢] فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر ايرزق النصر خالد بذات شعره ولا يتوسّل الى الله باصل ذاته صلّى الله عليه وسلّم وما احسن ما قال البوصيري:

ومن تكن برسول الله نصرته * ان تلقه الاسد في آجامها تجم

ومنها ما في الصّحيحين عن ابن عبّاس أنّه مر على قبرين فقال انهما يعذبان فدعى بعسيب فشقه وجعل على كل قبر نصفاً وقال لعلّه يخفف عنهما مالم ييبسا انتهى فقد شرع صلّى الله عليه وسلّم لامته ان يجعلوا جريدة رطبة في الذي يخاف عليه العذاب لأن للجريد خاصية ان الله يخفف عن صاحب القبر الذي هو فيه العذاب ولا شك ان الجريد ذات وليس هذا خاصا بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم حتى

---

(١) ابن سيرين محمّد البصري توفي سنة ١١٠ هـ. [٧٢٩ م.]

(٢) خالد بن الوليد الصّحابي رضي الله تعالى عنه توفي سنة ٢١ هـ. [٦٤٢ م.] في حمص

يقال ان ارتفاع العذاب بسببه صلّى الله عليه وسلّم بل اجمع العلماء على العمل به في كل عصر أيجوز التسبب بجريد النخل وهو ذات ولا يجوز التوسّل والتسبب بذات سيد الوجود فأي عقل لمن يمنع ذلك ويدخل نفسه الغبية في مضايق هذه المسالك وادل دليل على ان الذات يتوسّل ويتسبب بها ان هندا زوجة أبي سفيان اخذت قطعة من كبد حمزة رضي الله عنهما فاسترطتها فما لبثت في بطنها فقال رسول الله صلّى الله علنه وسلّم (**انّ حمزة اكرم على الله من ان يدخل جزء من بدنه النار**) وفي رواية (**لو لبثت لم تدخل النار**) اعظم من ذلك شرب مالك بن سنان دمه وقوله (**لن تصيبك النار**) ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له صلّى الله عليه وسلّم (**ويل لك من الناس وويل لهم منك**) و لم ينكر فعله وقد روي نحو من هذا عنه في المرأة التي شربت بوله فقال لها (**لن تشتكى وجع البطن ابداً**) وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح الزم الدار قطني البخاري ومسلماً اخراجه في الصّحيح واسم هذه المرأة بركة ذكر ذلك جملة من العلماء منهم القاضى عياض في الشفاء والقسطلاني في المواهب اللّدنيّة فيا امة الدّين ايكون الدم والبول الخارج من ذاته سببا لدفع النار عن شاربها وكذلك الوجع ويمتنع عن ذاته ان يتسبب ويتوسّل بها الى الله تعالى وهى من نور الله تعالى كما في حديث جابر وغيره فمن منع التوسّل بذات سيد المرسلين أهو من الاعداء له ام يعد من المسلمين فما هذه الشناعة يا اصحاب الصقاعة والرقاعة في ذات صاحب الشفاعة ومن هو الرحمة بذاته للكفّار فضلاً عن الاسلام فضلاً عن اهل السنّة والجماعة فتأمل رحمك الله في هذه الجملة ودع الجاهل وجهله فيتحقق لك ان آية ابتغاء الوسيلة عام في الاعمال والاقوال والذوات بدليل هذه الأحاديث الصّحيحة ومن الآيات الدّالة على الطلب من المخلوق ولو ما لا يقدر عليه الا الله إذا كان في مقام الكرامة للأولياء قوله تعالى عن نبيّ الله سليمان (**يَآ اَيُّهَا الْمَلأُ اَيُّكُمْ يَاْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ اَنْ يَاْتُونِي مُسْلِمِينَ** * النمل: ٣٨) فطلب من الملأ وهم الجن والانس وفيهم مردة الشياطين قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان

تقوم من مقامك قال سليمان اريد اسرع من ذلك قال الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخيا من الانس وكان كاتب سليمان انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فاتى به في هذه المدة القصيرة وكان العرش في اليمن وسليمان في الشام ومسيرة ما بينهما ثلاثة اشهر فاتى به من تحت الارض وهو سرير مكلل بالجواهر والذهب فلم ينكسر منه شئ و لم يتخلخل فقد اجمع اهل العلم ان هذا من نوع الكرامة وهو الامر الخارق للعادة يجريه الله على يد وليّه وعبده الصّالح والله تعالى ذكر في كتابه ذلك في مقام الافتخار لذلك الرجل الصّالح و لم يعتب الله علىسليمان و لم يقل له لم دعوت غيري وانا اقرب اليك من حبل الوريد وعبيدى غير قادرين على هذا الامر الذي لا يقدر عليه غيري وذلك لأن نبيّ الله سليمان ورسوله صلوات الله عليه يعلم ان ذلك من التماس الاسباب وهو من المشروع الذي امر الله تعالى به وكذلك الطلب من الرسول صلّى الله عليه وسلّم او من شهداء وصلحاء امته انما هو من نوع الكرامة والتسبب والفاعل الحقيقي في ذلك هو الله تعالى وكرامة الأولياء داخلة في فضائل الانبياء لأنها بواسطتهم تكون للأولياء بسبب متابعتهم لذلك النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومن الآيات القرآنية الدّالة على التوسّل والتشفع بالمقرّبين لاسيّما سيد المرسلين قوله تعالى (**وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ** * البقرة: ٨٩) اتفق المفسرون واهل الحديث انها نزلت في يهود خيبر كانوا قبل وجوده صلّى الله عليه وسلّم يحاربون اسداً وغطفان من مشركي العرب وكانوا يقولون اللّهمَّ بحق هذا النّبيّ الذي تبعثه آخر الزمان الاّ نصرتنا عليهم فينصرون فلما جاء هم الرسول ورأوه كفروا به عناداً وحسداً وقال ابن القيّم في كتابه (**بدائع الفوائد**) ان اليهود كانوا يحاربون جيرانهم من العرب في الجاهلية ويستنصرون عليهم بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبل ظهوره فيفتح لهم وينصرون عليهم فلما ظهر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كفروا وجحدوا نبوّته فأستفتاحهم به مع جحد نبوّته مما لا يجتمعان فإن كان استفتاحهم به لانه نبيّ كان جحد نبوّته محالا وإن كان جحد

نبوّته كما يزعمون حقاً كان استفتاحهم به باطلا وهذا مما لا جواب لاعدائه عنه البتة انتهى وفي بعض حواشى البيضاوى نقلا عن السعد التفتازانى قال والاظهر أنّهم كانوا يطلبون الفتح من الله عليهم متوسّلين بذكره صلّى الله عليه وسلم ويجعلون اسمه شفيعاً انتهى ورأيت للعلامة الورع الزاهد تقي الدّين الحصني[١] جعل الله بركات علومه من كل سوء حصنى كلاما لطيفاً يكتب بماء العيون قال في كتابه المولد النبوي ما نصه واذا سمع المسلم ما اشتملت عليه اخلاقه الكريمة من حلمه وعفوه واحتماله عرف قدره عند الله فيتوسّل به في اموره ومهماته فإنّه الشفيع المشفع والحبيب الذي إذا طلب منه شئ استشفاعاً به اجيب ولا يمنع وقد ارشدك الله في كتابه العزيز والهم اصفيائه الى ذلك بل توسّل به اشد الناس عداوة له وللمؤمنين كما هو مذكور في كتابه المبين فاجابهم اظهاراً لتعظيم حبيبه سيد الاولين والآخرين قال ابن عبّاس كانت اهل خيبر تقاتل غطفان كلما التقوا هزمت غطفان اليهود فعاذت اليهود بهذا الدعاء اللّهمَّ انا نسئلك بحق هذا النّبيّ الذي وعدتنا ان تخرجه لنا آخر الزمان الاّ نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا اليهود بهذا الدعاء فتهزم اليهود غطفان فلما بعث الله محمداً صلّى الله عليه وسلم كفروا به فانزل الله قوله (**وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا**) اي يدعون بك يا محمّد الى قوله (**فلعنة الله على الكافرين**) فانظر ارشدك الله تعالى الى هذا الشرف والمكانة له عند ربه كيف كان يستجيب لمن هو كافر به ويعلم تعالى أنّه يكون من اشد الناس عداوة له وايذاء وكان ذلك قبل بروزه الى الوجود فكيف وقد بعث رحمةً للعالمين فمن منع التوسّل به فقد اعلم الناس أنّه اسوأ حالا من اليهود ونادى على نفسه بذلك ثم ذكر توسّل آدم به وما ذكره المفسّرون في ذلك واهل الحديث فتأمل في حسن هذا الكلام وموقعه لتعلم حال من منع التوسّل به وشقاءه حيث أن الله جعله

---

(١) ابو بكر الحصني الشّافعي الشامي توفي سنة ٨٢٩ هـ. [١٤٢٦ م.]

دليلا على نبوّته وملزما لاعدائه بالحجة البالغة فيه وقد بقى من آيات القرآن ما فيه دلالة على التوسّل والتشفع مما ذكرناه في غير هذا لكتاب (فصل) ولما كان ما يحصل من التوسّل والتشفع بالانبياء والأولياء انما هو من طريق الكرامة مع كونهم متسببين في دار برازخهم والكرامة لما اجمع عليها المسلمون من اهل السّنّة والجماعة وهى من واجب الاعتقاد على العباد واصلها في كتاب الله تعالى باتفاق اهل السّنّة وذلك طلب سليمان عليه السّلام احضار عرش بلقيس من سبأ الى الشام في طرفة عين و لم يتخلخل منه شئ وهو من الجواهر والذهب وكان من اتى به آصف بن برخيا وهو وليّ بلا شكّ وكذلك رزق مريم كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً وغير ذلك مما ذكره اهل عقائد كل مذهب من مذاهب اهل السّنّة وقد اتفق اهل السّنّة والجماعة على ان كرامات الأولياء من معجزات الانبياء عليهم السّلام لأن المعجزة لما كانت في الانبياء المتبوعين بقيت آثارها في التابعين الأحياء والميّتين بل هى في الانبياء والأولياء بعد الانتقال الى دار البقاء ادل واقوى على صدقهم وحقيقة دينهم وذلك ان النّبيّ الحيّ والوليّ الحي قد يظن العدوّ الكافر والمنافق ان المعجزة والكرامة من تعملهم وتحيلهم واما بعد الانتقال فلم تبق هذه الشبهة بوجه لعلم ذوى العقول ان هذا من محض خلق الله وقدرته اجراه تعالى على يد نبيّه او وليّه كرامة له بخرق العادة ثم انما تنسب المعجزة او الكرامة لنبيّ ظاهر او وليّ معلوم اتباعه للنّبيّ المعصوم صلوات الله عليه وهؤلاء لا يمكن الشيطان ان يتصور بصورهم اما الانبياء فمعلوم لمكان العصمة ولقوله تعالى (**اِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** * الحجر: ٤٢) واما الأولياء فللارث للانبياء كما ورد في سيدنا عمر وابن مسعود وغيرهما واما قول الاوشي[١] في بدأ الامالى:

كرامات الوليّ بدار دنيا * لها كون فهم اهل النوال

(١) علي الاوشي الفرغاني توفي سنة ٥٧٥ هـ. [١١٧٩ م.]

فليس مما يتعلق به ذو فهم لأن مقصوده ان كرامات الأولياء ظهورها وكونها يكون بدار دنيا وهو كذلك لأن دار الآخرة ليست محل خلاف بيننا وبين المعتزلة لأنّهم ينكرون وجود الكرامة في الدّنيا لأنها تشبه المعجزة من جهة خرق العادة فيشتبه الوليّ بالنّبيّ عندهم واهل السّنّة والجماعة يثبتونها في دار الدّنيا ولا اشتباه لأن المعجزة انما تكون من النّبيّ مقرونة بالتحدى وهي ادعاء النّبوّة والوليّ لا يتحدى بل لو تحدى لخرج عن ولاية الله فقوله بدار دنيا متعلق بكون فيكون المعنى كرامات الوليّ لها كون بدار دنيا ثم فرع على ذلك قوله فهم اهل النوال يعني اهل العطاء لمن يسئلهم ويطلب منهم تشفعاً وعديم الفهم ظن ان بدار دنيا حالا من الوليّ اي كرامات الوليّ حال كونه بدار دنيا لها كون اي لها وجود ففهم عديم الفهم ان الوليّ إذا انتقل الى الدار البرزخية لا يكون بدار دنيا فلا يكون له كرامة وهذا خطأ فإن العلماء الكمل كالنجارى الحنفى شارح بدأ الامالى والشّيخ احمد[١] محشى الاشباه الحنفي في رسالة له ذكرا ما ذكرته وقالوا بناءً على فهم من فهم خلافه ان الوليّ ما دام لم يصل الى الآخرة وهى ما بعد القيامة فهو بدار دنيا فيكون كراماته موجودة وهذا كله لارخاء العنان والاّ فالواقع من كرامات الأولياء بعد موتهم شئ لا يحصى واجمع عليه العلماء فلننقل لك ما هو ثابت بالسنّة الصّحيحة منها ما في البخاري ان عاصماً الصّحابي كان عاهد الله في الدّنيا ان لا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك فلما قتله الكفّار ارادوا ان يأخذوا لشّته فحماها الدبر اي الزنابير فما قدروا على الوصول اليه وهذه لا شك انها كرامة من الله تعالى لهذا الوليّ بعد موته وكذلك حديث خبيب لما صلبه الكفّار بعد قتله ذهب اليه بعض الصحابة فأتاه ليلا فقطع حبل صلبه فسقط ولم يعلم اين ذهب وكذلك الصّحابي الذي استشهد وهو مجنب فغسلته الملائكة وهو حنظلة غسيل الملائكة وكل ذلك في البخاري وفي المشكاة[٢] عن

---

(١) احمد الحموي الحنفي توفي سنة ١٠٩٨ هـ. [١٦٨٧ م.] في مصر

(٢) المشكاة لولي الدّين محمّد المتبريزي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ. [١٣٤٨ م.] وهو شرح المصابيح للبغوي

عائشة رضى الله عنها انا لنتحدث ان النجاشى لا زال على قبره نور ساطع وقد قدمنا لك حديث جعفر بن ابي طالب وأنّه بعد قتله ذهب لاهل بيشة يبشرهم بالمطر وكذلك غيره وحديث تكلم رأس الحسين رضى الله عنه وهو أنّه كان امام الرأس الشّريف قارئ يقرأ سورة الكهف فقرأ (**اَمْ حَسِبْتَ اَنَّ اَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا** * الكهف: ٩) فقال الرأس قتلي وحملي اعجب من اهل الكهف وكذا قرائة نصر الخزاعى وهو مصلوب فإنّه صلبه المأمون وامر رجلاً بيده رمح يحرفه عن القبلة فكان إذا جن الليل استدار الى القبلة قال الراوي فسمعته يقول (**الم** * **اَحَسِبَ النَّاسُ اَنْ يُتْرَكُوا اَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ** * العنكبوت: ١-٢) قال فأقشعرّ جلدي الى آخر الحديث وقد تقدم عن الحديث الذي فيه ان صاحب القبر قرأ سورة الملك حتى ختمها وكلها آثار صحيحة ذكرها ائمة الحديث واخرج ابن عساكر من طريق محمّد بن اسحاق بن الحريض عن المسيب بن واضح عن عيسى بن كيسان عمن حدثه عن عمير بن الحباب السّلمي قال اسرت انا وثمانية معي في زمان بني امية فادخلنا على ملك الروم فامر باصحابي فضربت رقابهم ثم اني قدمت لضرب عنقي فقام اليه بعض البطارقه فلم يزل يقبل رأسه ورجليه حتى وهبني له فانطلق بي الى متزله فدعى ابنة له جميلة فقال لي هذه ابنتي ازوجك بها واقاسمك مالى فادخل في ديني فقلت ما اترك ديني لزوجة ولا لدنيا فمكث اياماً يعرض عليّ ذلك فدعتني ابنته ذات ليلة الى بستان لها فقالت ما يمنعك مما عرض عليك ابي فقلت ما اترك ديني لإمرأة ولا لدنيا قالت فتحب المكث عندنا او الالحاق ببلادك فقلت الذهاب الى بلادي قال فأرتني نجماً في السماء وقالت سر على النجم بالليل واكمن بالنهار فإنّه يلقيك الى بلادك ثم زودتني وانطلقت فسرت ثلاث ليال اسير بالليل واكمن بالنهار فبينا انا في اليوم الرابع مكمن فإذا الخيل فقلت طلبت فاشرفوا علي فإذا انا باصحابي المقتولين ومعهم آخرون على دواب شهب فقالوا عمير فقلت او ليس قد قتلتم قالوا بلى ولكن الله نشر الشهداء واذن لهم ان يشهدوا جنازة عمر بن

عبد العزيز فقال لي بعض الذين معهم ناولني يدك يا عمير فناولته يدي فاردفني ثم سرنا يسيراً ثم قذف بي قذفة وقعت قرب مترلي بالجزيرة من غير ان يلحقني شئ وذكر ابن الجوزي بسنده عن أبي عليّ البربري وهو اول من سكن طرسوس عن ثلاث اخوة من الشام كانوا يغزون فاسّرهم الروم فجرى عليهم كما جرى على عمير المتقدم ذكره فقتل اثنان وبقى الآخر ثم ان واحداً من كبار الروم تجعل ابنته تغويه فهدها الله واسلمت وشردت هي وهو فبينما هما كامنان بالنهار إذ سمعا وقع خيل فإذا هو بأخويه المقتولين ومعهما ملائكة فسلم عليهما وسألهما عن حالهما فقالا له ان الله ارسلنا اليك لنشهد تزويجك بهذه الفتاة فزوجوه اياها ورجعوا وخرج الى بلا دالشام فأقام معها وكانوا مشهورين بذلك معروفين بالشّام في الزمان الاول وهذا باب واسع فيه للسلف كتب مؤلفة ككتاب ابن أبي الدّنيا فيمن عاش بعد الموت وكتابه في كرامات الأولياء وكتاب القبور وكتاب أبي نعيم المسمى بالحلية وصفة الصفوة لابن الجوزي وعيون الحكايات له وغير ذلك فهذا من حيث النقل عن المحدثين واهل الأثر واما من العلماء من كل مذهب فاحسن من ذكر كرامات الأولياء بعد الموت ابن تيميّة وابن القيّم واما انكار بعض الحنفية طي المسافة من نوع الكرامة فقد رده ائمة الحنفيّة في كتب الفقه وكتب العقايد بمسئلة ما لو تزوج مغربي مشرقية فسافر عنها مدة بعيدة فحملت بعد غيبته باكثر من مدة الحمل قالوا يلحق به النسب لاحتمال اتيانه اليها بطيّ المسافة من باب الكرامة واطبق على هذا الفقهاء كما في الدّر وغيره وكما في كتب العقائد وذكره صاحب الوهبانية بأن طيّ المسافة من جملة الكرامات التي يجب اعتقادها وأنّه نصره النسفي فهو المعول عليه في هذه المطالب واجمع عليه من بعده من الحنفيّة في مصنفاتهم كما في الفقه الاكبر والسواد الاعظم ووصية أبي يوسف للامام الاعظم وفي شروح هذه الكتب وفي النسفية وشروحها وفي المواقف والمقاصد وشروحهما وغير ذلك من كتب الأئمة الحنفية وغيرهم كيف وقد وردت به الآية التي هى عمدة استدلال اهل السّنّة على وجوب

اعتقاد الكرامة وهى قصة اتيان عرش بلقيس من المكان البعيد في طرفة عين فإن هذا من طيّ المسافة كما لا يخفى على منصف وفي شرح السواد الاعظم المنسوب للامام الاعظم رضي الله عنه عبارة في غاية الحسن واللطافة ناسب ذكرها هنا قال الثانية والثلاثون ما قلنا أنّه ينبغي ان يقر بكرامة الأولياء لأن من أنكر كرامة الأولياء فهو مبتدع ومن أنكرها وهو يظن ان ذلك هدم معجزات الانبياء فهذا لا يخرج عن احد الحالين اما ينكر الآيات التي في كتاب الله تعالى فمن أنكر الآيات فقد كفر وان لم ينكر الآيات وآمن بها ولكن يقول كانوا انبياء فقد كفر وان لم ينكر الآيات و لم يقل كانوا انبياء فقد صح عنده ان هذه كرامة الأولياء كانت لغير الانبياء ويجوز ذلك لأن الله تعالى (**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ اَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ ان يَرْتَدَّ اِلَيْكَ طَرْفُكَ** * النمل: ٤٠) وكان آصف بن برخيا من الأولياء و لم يكن نبياً وكان من امة سليمان بن داود فلم جاز ان يكون من امة سليمان وله كرامة الأولياء وليس يجوز في امة محمّد صلّى الله عليه وسلّم كرامة أولياء ومحمّد افضل من سليمان وامة محمّد افضل من امة سليمان فإن قال المخالف تلك الكرامة كانت من قبل سليمان نقول وهذه الكرامة كانت من قبل محمّد صلّى الله عليه وسلّم وقوله تعالى (**وَ هُزِّي اِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيّاً** * مريم: ٢٥) فاخرج الله لها من الشجرة ثمرة لاجل مريم اكرمها بذلك ومريم لم تكن نبية وقوله تعالى (**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ اَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ** * آل عمران: ٣٧) وكذلك قصة اهل الكهف فهى كرامة عظيمة اكرمهم الله بها و لم يكونوا انبيآء فلم جاز في الاولين كرامة الأولياء ولا يجز في امة محمّد كرامة الأولياء وقد قال تعالى (**كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** * آل عمران: ١١٠) فإن قال المخالف ان فلاناً يذهب في ليلة واحدة الى بيت الله ويرجع هذا لا يكون ابداً قيل كأنك تقول لم تكن للنّبي صلّى الله عليه وسلّم كرامة فلم يكرم بها احد فإنّه صلّى الله عليه وسلّم اسري به وعرج به الى السّموات السبع وبلغ ما شاء الله ثم رَجَلَ فهل يكون كرامة اعظم من

هذه وايضاً يقال للمخالف المؤمن خير ام الكافر فإنّا وجدنا من يسير من الكفّار في ساعةٍ واحدةٍ من المشرق الى المغرب وهو ابليس لعنه الله هذا وهو كافر فكيف لا يكون ذلك كرامة للأولياء فتأمل وانصف وفي هذا القدر كفاية انتهى عبارة السواد الاعظم واعلم ان الذي ينكر كرامات الأولياء انما هم الخوارج والمعتزلة والرافضة كما ذكره ابن تيميّة وغيره لعدم وجودها عندهم لأنّهم ليسوا من اهل الكرامة فلا كرامة لهم وصلّى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم.

هَذا كِتَابُ أشَدِّ الْجِهَادْ

فِي إِبْطَالِ دَعْوَى الْإِجْتِهَادْ

تأليف العالم العلامة شيخ الاسلام وناصر السّنّة

الفاني بربه الابدي سيدي ومولاي الشّيخ

داود الموسوي البغدادي

المتوفى سنة ١٢٩٩ هـ. [١٨٨١ م.] في بغداد

هذا كتاب اشد الجهاد في ابطال دعوى الاجتهاد

بســـم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الذي رزق اهل السّنّة اتباع المذاهب الاربعة * وعمر بهم وباتباعهم الدّين واربعه * والصّلوة والسّلام على سيدنا محمّد القائل بحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين * وعلى آله واصحابه والأئمة المجتهدين في الدّين غير المبتدعين * اما بعد فيقول المفتقر الى الرب الابدى * داود بن السيّد سليمان البغدادي النقشبندي الخالدي * قد اتتني صحيفة من بعض طلبة العلم المنسوبين لنا عن لسان بعض اهل الهند يذكرون فيها ان اناساً عندهم يدعون الاجتهاد المطلق وأنّهم غير محتاجين الى اتباع المذاهب الاربعة رضي الله عنهم ويزعمون ان الله تعالى ورسوله ما اوجبا على الناس اتباعهم وأنهم يعتمدون على الاخذ من الكتاب والسّنّة فطلب مني الجماعة الهنديون ردّ هؤلاء المدعين وبيان تزيف اقوالهم لئلا يغتر بهم من مثلهم او غيرهم من العوام ولما كانت هذه المسئلة لم يصنف فيها كتاب فيما علمت التزمت ان انقل ما حرره العلماء رحمهم الله تعالى واتتبع اقوالهم في خلال مباحثهم في بعض المسائل وان هذه المسئلة تحتاج الى امد بعيد لكن استعين بالله على قصر مسافتها لأن الطالبين مستعجلون فيها وقد عنّ لي ان اسميها اشد الجهاد في ابطال دعوى الاجتهاد فاقول وبالله التوفيق اول ما نقدم احوال المذاهب الاربعة ومناقبهم رضي الله عنهم ونفعنا من بركاتهم ليصدق قول الفرزدق[١] فيما قاله:

اولئك آبائي فجئني بمثلهم * إذا جمعتنا يا جرير المجامع

قال علامة البشر شهاب الدّين أحمد ابن حجر في كتابه الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان في اول خطبته الحمد لله الذي اختص العلماء بوراثة الانبياء والتخلق باخلاقهم وجعلهم القدوة للكافة في معاشهم ومعادهم وميز المجتهدين منهم بقيامهم بمصالحهم وايضاح الحق لهم في مصادرهم ومواردهم وباضطرار الخلق اليهم في

---

(١) فرزدق همام الشاعر الشهير توفي سنة ١١٠ هـ. [٧٢٨ م.] في كوفة

قوام ما به حياة ارواحهم وأبدانهم فهم الملوك لا بل الملوك تحت اقدامهم وفي اسرارهم واقلامهم وهم النجوم لا بل النجوم تستمد من انوارهم وهم الشموس لا بل الشموس تستضيئ من اضوائهم واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له أترقى بها في كمالات معارفهم واشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله المذيع لمعالى مناقبهم وكمالهم والمفيض عليهم من سوابق التوفيق لاقتفاء آثاره في سائر احوالهم ما سبقوا به من سواهم الى الخلافة الكبرى عنه في الهداية والامداد للخلق ببواطنهم وظواهرهم الى ان قال والاولى ان يختار من الأئمة الاربعة من ظن أنّه افضل الاربعة واعلمهم ثم كل من أبي حنيفة ومالك والشّافعي واحمد رضي الله عنهم اجتاز باقليم لا يعرف فيه غير اتباعه او يكون اتباعه اكثر كأقليم الحجاز واليمن ومصر والشام وحلب وعراق العرب والعجم بالنسبة للشّافعي رضي الله عنه وكالغرب على سعته بالنسبة لمالك رضي الله عنه وكالروم والهند وما ورآء النهر بالنسبة لأبي حنيفة رضي الله عنه ومن ثم قال المصنف[١] يعني صاحب كتاب عين العلم وورد من طرق أبو حنيفة سراج امتي وان فضله وما اشتهر عنه من العبادة والورع والزّهد والسنحاء ودقّة النظر وحدّة الفكر يغنى عن ان يستدل لفضله بما اطبق المحدثون على وصفه وسمع الباري في المنام يقول انا عند علم أبي حنيفة اي بالحفظ والقبول والرضى وانزال البركة فيه وفي الآخذين به وسلّم المخالفون له سبعة اقسام في الفقه وهو المشارك لهم في الباقي ومن ثم قال الشّافعي رضي الله عنه الناس في الفقه عيال على ابي حنيفة واصحابه وقال ايضاً من أراد ان يعرف الفقه فليلزم ابا حنيفة واصحابه وقال ايضاً قلت لمالك أرأيت ابا حنيفة فقال رأيت رجلاً لو كلمك في السارية ان يجعلها من ذهب لقام بحجته وقال النظر بن شميل كان الناس نياماً عن الفقه حتى ايقظهم أبو حنيفة ودخل على امير المؤمنين المنصور وعنده عيسى بن موسى العابد الزاهد فقال للمنصور هذا عالم الدّنيا فقال له المنصور عمن اخذت العلم قال عن اصحاب عمر عن عمر رضي الله عنه

---

(١) صاحب كتاب عين العلم محمّد البلخي تبفي سنة ٨٢٨ هـ. [١٤٢٥ م.]

فقال المنصور لقد استوثقت وكان يقوم كل الليل وسمع هاتفا في المنام وهو في الكعبة المشرفة يقول يا ابا حنيفة اخلصت الخدمة لي واحسنت معرفتي فقد غفرت لك ولمن تبعك ببركة اخلاصك واحسانك المذكورين الى يوم القيامة وفي هذا من البشرى له ولاتباعه ما يحمل الموفق منهم على بذل طاقته في اقتفاء آثار امامه فيما كان عليه من تلك الاخلاق العلية والصفات الطاهرة الزكية التي قلّ ان تجتمع الاّ للعارفين والأئمة المجتهدين وتلمذ له كبار من الأئمة المجتهدين والعلماء الراسخين كالامام الجليل المجمع على جلالة براعته وتقدمه وزهده عبد الله بن المبارك[١] وكالامام الليث وكالامام مالك بن انس وناهيك بهؤلاء الأئمة وكالامام مسعر بن كدام[٢] وأبي يوسف ومحمّد وزفر وغيرهم وما اشتغل رضي الله عنه بدعوة الناس الى مذهبه الا بالاشارة النبوية في المنام ليدعوهم الى مذهبه بعد ما قصد الانزواء والاستخفاء عنهم تواضعاً واحتقاراً لنفسه عن ان يجعل لها حظاً ويرى منها اولها فعلا حسنا يستحق رعاية الناس الى الاقتداء والعمل به فلما جاء الاذن ممن فوضت اليه قسمة خزائن الله تعالى على مستحقيها علم ان ذلك حتم لا بد منه فدعى الناس اليه حتى ظهر مذهبه وانتشر وكثرت اتباعه وخذلت حسّاده ونفع الله به شرقاً وغرباً وعجماً وعرباً ورزق حظاً وافراً في اتباعه فقاموا بتحرير اصول مذهبه وفروعه وامعنوا النظر في منقوله ومعقوله حتى صار بحمد الله محكم القواعد معدن الفوائد ويؤيد ذلك ما حكاه بعض اصحاب المناقب ان ثابتا والده اتى به وهو صغير لعليّ كرم الله وجهه فدعى له بالبركة ولذريته فكان ما اوتيه أبو حنيفة من بركة تلك الدعوة ولقى أنساً الصّحابي وغيره رضي الله عنهم ونظم بعضهم من لقى من الصّحابة فقال

لقى الامام أبو حنيفة ستة * من صحب طه المصطفى المختار

أنساً وعبد الله نجل انيسهم * وسمية ابن الحارث الكرار

---

(١) عبد الله بن المبارك توفي سنة ١٨١ هـ. [٧٩٧ م.]

(٢) مسعر بن كدام توفي سنة ١٥٥ هـ. [٧٧٢ م.]

وزر ابن اوفى ثم واثلة الرضى * واضمم اليهم معقل بن يسار

ومولده رضي الله عنه سنة ثمانين وموته بالمائة والخمسين واما الامام مالك رضي الله عنه ولد في سنة تسعين أو ثلاثة وتسعين ومات في تسع وسبعين ومائة وروى عنه انّه قال ما افتيت حتى شهد لي سبعون اماماً اني اهل لذلك وقل رجل كنت اتعلم منه ومات حتى يستفتيني قال اليافعي اخبر بنعمة الله بهذا الكلام من غير افتخار يعني من باب (**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** * الضحى: ١١) وقال الزرقاني في شرح الموطأ هو الامام المشهور صدر الصّدور اكمل العقلاء واعقل الفضلاء ورث حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونشر في امته الاحكام والفصول اخذ عن تسعمائة شيخ فاكثر وما افتى حتى شهد له سبعون اماماً أنّه اهل لذلك وكتب بيده مائة الف حديث وجلس للدرس وهو ابن سبعة عشر سنة وصارت حلقته اكبر من حلقة مشايخه في حياتهم وكان الناس يزدحمون على بابه لأخذ الحديث والفقه كازدحامهم على باب السلطان وله حاجب يأذن اولا للخاصة فإذا فرغوا اذن للعامة ولا يدخل الخلاء الاّ كل ثلاثة ايام مرة ويقول والله لقد استحييت من كثرة ترددي للخلاء ولما الّف الموطّأ اتهم نفسه بالاخلاص فيه فألقاه في المآء وقال ان ابتل فلا حاجة لي به فلم يبتل منه شئ واثنى الأئمة عليه كثيرا قال سفيان بن عيينه رحم الله مالكا ما كان اشد انتقاده للرجال وكان لا يبلغ من الحديث الاّ ما كان صحيحاً يعني لا يقول بلغني كذا وفيه ادنى شبهة بل لا يقول ذلك الاّ وهو صحيح قطعاً ولا يحدث الاّ عن ثقات الناس وقال عبد الرّحمن بن مهدي ما بقي على وجه الارض آمن على حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من مالك بن انس ولا اقدم عليه في صحة الحديث احداً وما رأيت اعقل منه وقال عبد الرّحمن بن مهدي سفيان الثوري[١] امام في الحديث وليس بامام في السّنّة والاوزاعي[٢] امام في السّنّة وليس

---

(١) سفيان الثوري توفي سنة ١٦١ هـ. [٧٧٧ م.] في البصرة

(٢) عبد الرّحمن الاوزاعي توفي سنة ١٥٧ هـ. [٧٧٤ م.] في بيروت

بامام في الحديث والامام مالك امام فيهما جميعا وقال يحيى ابن سعيد ويحيى بن معين مالك امير المؤمنين في الحديث زاد ابن معين كان مالك من حجج الله على خلقه امام من ائمة المسلمين مجمع على فضله وقال الشّافعي اذا جاء الاثر فمالك النجم وإذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب و لم يبلغ احد مبلغ مالك في العلم لحفظه واتقانه وصيانته وما احد أمن عليَّ في علم الله من مالك وجعلت مالكاً حجّة بيني وبين الله ومالك وابن عيينه القرينان لو لاهما لذهب علم الحجاز وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل قلت لابي من اثبت اصحاب الزهري قال مالك في كل شئ وقال ابن وهب[١] لو لا مالك والليث لضللنا وكان الاوزاعي إذا ذكر مالكا قال عالم العلماء وعالم اهل المدينة ومفتي الحرمين وقال ابن عيينه لما بلغته وفاته ما ترك على الارض مثله وقال ايضاً مالك امام الدّنيا وعالم اهل الحجاز مالك حجّة في زمانه ومالك سراج الامة وانما كنا نتبع آثاره وقدمه ابن حنبل على الثوري والليث والحكم وحماد والاوزاعي في العلم وقال سفيان بن عيينه في حديث (**يوشك ان يضرب اكباد الابل يطلبون العلم فلا يجدون عالماً اعلم من عالم المدينة**) اخرجه مالك والتّرمذي وحسّنه النّسائي والحاكم وصحّحه عن أبي هريرة مرفوعاً نرى أنّه مالك بن أنس وروى أبو نعيم عن المثنى بن سعيد سمعت مالكا يقول ما بت ليلة الاّ رأيت فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واخرج ابن عبد البر عن مصعب بن عبد الله الزبير عن ابيه قال كنت جالسا بمسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع مالك فجاء رجل فقال ايكم أبو عبد الله مالك فقالوا هذا فجاء فسلم عليه واعتنقه وقبل بين عينيه وضمه الى صدره وقال والله رأيت البارحة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جالسا في هذا الموضع فقال هاتوا مالكا فأتى بك ترعد فرائصك فقال ليس عليك بائس يا ابا عبد الله وكناك وقال اجلس فجلست فقال افتح حجرك ففتحت فملأه مسكاً منثوراً وقال ضمه اليك وبثه في امتى فبكى مالك طويلا وقال الرؤيا تسر ولا تضر وان صدقت

---

(١) ابن وهب عبد الله المالكي توفي سنة ١٩٧ هـ. [٨١٣ م.]

رؤياك فهو العلم الذي اودعني الله ولقد الّف في مناقبه مجلدات كثيرة والله اعلم.

واما الامام الشّافعي رضي الله عنه فهو الامام القرشي المطلبي الملتقي مع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في جده الرابع عبد مناف ولقد احسن من قال:

الشّافعي امام كل ائمة * تربو فضائله على الآلاف

ختم النّبوّة والامامة والهدى * بمحمدين هما لعبد مناف

فهو محمّد بن ادريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف وشافع المنسوب اليه هذا اسلم هو وابوه السائب صاحب راية قريش يوم بدر فالشّافعي امام الأئمة علماً وعملاً وزهداً ومعرفةً وذكاءً وحفظاً ونسباً فإنّه برع في كل ما ذكر وفاق اكثر من سبقه لا سيّما مشايخه كمالك وسفيان بن عيينة ومشايخهم واجتمع له من تلك الانواع وكثرة الاتباع في اكثر اقطار الارض وتقدم مذهبه واهله لا سيّما في الحرمين والارض المقدسة وهذه الثلاثة واهلها أفضل الأرض واهلها ما لم يجتمع لغيره وهذا حكمة تخصيصه في الحديث المعمول به في مثل ذلك يعني المناقب وزعم بعض وضعه حسداً وغلطاً فاحشاً وهو قوله صلّى الله عليه وسلّم **(عالم قريش يملأ طباق الأرض علماً)** قال امام السّنّة والحديث أحمد بن حنبل وغيره من ائمة الحديث والفقه نراه الشّافعي ولانه لم يجتمع لقرشي من الشهرة كما ذكر مثل ما اجتمع له فلم يترل الحديث الاّ عليه وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل لأبيه يا ابتي اني اراك تكثر الدعاء للشافعي فكيف كان قال يا بني أنّه كان للناس كالشمس للدنيا وكالعا فية للناس فهل ترى لهذين من خلف وثناء السلف عليه كثير ضربنا عنه خوف الاطالة واما غرائب استنباطاته فكثيرة جدا وكاشف اصحابه بوقائع وقعت بعد موته كما اخبر ورأى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وقد اعطاه ميزاناً فاولت له بأن مذهبه اعدل المذاهب واوفقها للسنة الغراء التي هي اعدل الملل واوفقها للحكمة العملية والعلمية وولد بغزة على الاصح سنة خمسين ومائة ثم اجيز بالافتاء وهو ابن خمسة عشرسنة ثم رحل لمالك فأقام عنده مدة وحفظ

موطأه وكان في الاول تسعة آلاف حديث وخمسمائة ثم اختصره في هذا الموجود الآن وهو الف وسبعمائة تقريباً والشّافعي رضي الله عنه حفظ الاول قبل الاختصار وهو بقدر هذا الموجود نحو ستة مرات فليتنبه لذالك ثم رحل لبغداد ولقب ناصر السّنّة لما ناظر بها اكابرها وظفر عليهم كمحمّد بن الحسن[١] وكان أبو يوسف ميّتاً ثم عاد بعد عامين لمكة ثم لبغداد سنة ثمانية وتسعين ومائة ثم بعد سنة لمصر فأقام بها كهفا لاهلها الى ان تقطب ومن الخوارق التي لم يقع نظيرها لمجتهد غيره استنباطه وتحريره لمذهبه الجديد على سعته المفرطة في نحو اربع سنين وتوفي سنة اربعة ومائتين بها واريد بعد ازمنة نقله منها لبغداد وظهر من قبره روائح طيبة عطلت حواس الحاضرين فتركوه وقد اكثر الناس التصانيف في مناقبه حتى بلغت نحو اربعين تصنيفاً.

واما الامام أحمد بن حنبل الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي احد الاعلام ببغداد وقد تجاوز سبعاً وسبعين سنة بايام فكان اماما في الحديث وضروبه واماما في الفقه ورقائقه اماما في السّنّة ودقائقها وحقائقها اماما في الورع وغوامضه اماما في الزهد وحقائقه خرج ابواه من مروز وهو محمول به وولد ببغداد ونشأ بها ومات بها ورحل الى الكوفة والبصرة ومكّة والمدينة واليمن والشام والجزيرة وسمع من سفيان بن عيينه وابراهم بن سعد ويحيى القطان وهشيم بن بشير ومعتمر بن سليمان واسماعيل بن علية ووكيع بن الجراح وعبد الرّحمن بن مهدي وروى عنه عبد الرّزاق بن همام ويحيى بن آدم والوليد بن هشام بن عبدالملك الطيالسي وأبو عبد الله محمّد بن ادريس الشّافعي اخذ عنه الحديث وهو اخذ عن الشّافعي الفقه والعلم والاسود بن عامر والبخاري ومسلم وأبو داود واكثر عنه في السنن وروى التّرمذي عن أحمد بن الحسن الترمذي عنه وروى النسائي عن عبد الله بن احمد عنه وروى ابن ماجة عن محمّد بن يحيى الذهلي عنه والاثرم وأبو بكر أحمد المروزي وعمر بن سعيد الدارمي وخلق لا يحصون وقال ابراهيم الحربي ادركت ثلاثة لن يرى ابداً مثلهم يعجز النساء ان يلدن

([١]) محمّد الشيباني توفي سنة ١٨٩ هـ. [٨٠٥ م] في ري

مثلهم رأيت ابا عبيد القسمي بن سلام ما امثله الاّ جبل نفخ فيه الروح ورأيت بشرا بن الحارث الحافي[١] ما شبهته الاّ برجل عجن من قرنه الى قدمه عقلا ورأيت أحمد بن حنبل كأن الله جمع له علم الاولين من كل صنف يقول ما شاء ويمسك ماشاء وعن الحسن بن العبّاس قال قلت لأبي مسهر هل تعرف احداً يحفظ على هذه الامة امر دينها قال لا اعلم الاّ شابا بالمشرق يعني أحمد بن حنبل وقال قتيبة بن سعيد لو ادرك أحمد بن حنبل عصر الثوري والاوزاعي ومالك والليث بن سعد لكان هو المقدم وقيل لقتيبة أيضم أحمد الى التابعين قال نعم يضم الى كبار التابعين وقال يحيى بن معين دخلت على أبي عبد الله أحمد بن حنبل فقلت له اوصني فقال لا تحدث السند الاّ من كتابي وقيل لابي زرعة من رأيت من المشايخ المحدثين احفظ قال أحمد بن حنبل حزركتبه اليوم الذي مات فيه بلغ اثني عشرحملا وعدلا وكل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلبه وقال ابراهيم بن شماس خاض الناس فقالوا ان وقع امر في امة محمّد صلّى الله عليه وسلّم فمن الحجة على وجه الارض فاتفقوا كلهم على ان أحمد بن حنبل حجّة وقال ابن الاهدل كان أحمد من خواص اصحاب الشّافعي وكان الشّافعي يأتيه في منزله وكان أحمد يحفظ الف الف حديث وقال الربيع كتب اليه الشّافعي من مصر فلما قرأ الكتاب بكى فسالته عن ذلك فقال يذكر أنّه رأى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وقال اكتب الى أبي عبد الله أحمد بن حنبل واقرأ عليه مني السّلام وقل له انك ممتحن على القول بخلق القرآن فلا تجبهم نرفع لك علماً الى يوم القيامة قال الربيع له البشارة فخلع قميصه واخذت جوابه فلما قدمت الى الشّافعي واخبرته بالقميص قال لا نفجعك به ولكن بله وادفع الى مائة حتى اكون شريكك فيه وحزر من حضر جنازته من الرجال فكانوا ثمانمائة الف ومن النساء ستين الفا واسلم يوم موته عشرون الفاً من اليهود والنصارى والمجوس وحكي عن ابراهيم الحربي قال رأيت بشرا الحافي في النوم كأنه خارج من مسجد الرصافة وفي كمه شئ يتحرك

---

(١) بشر بن الحارث توفي سنة ٢٢٧ هـ. [٨٤٢ م.] في بغداد

فقلت ما هذا فقال نثر علينا لقدوم روح أحمد بن حنبل الدّرّ والياقوت فهذا ما التقطته انتهى ما ذكره ابن الأهدل قال في الشذرات وقد جمع ابن الجوزي اخباره وكذلك البيهقي وشيخ الاسلام الهروي مات سنة إحدى واربعين ومائتين وهذه المناقب التي ذكرناها وشهادة السلف الصّالح من التابعين وتابع التابعين لهم هى قطرة من بحر وشذرة من قلادة نحر هى السبب الاقوى في اتباع هؤلاء الاربعة دون غيرهم مع ثناء النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عليهم بطريق الضمن بقوله (**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**) وفي رواية (**ثم الذين يلونهم**) وكل من هؤلاء واقع في هذه القرون الخير الشاهد لها خير البرية فمن يترك هؤلاء الاكابر الداخلين في قوله تعالى (**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِاحْسَانٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** * التوبة: ١٠٠) يتبع واحداً في ارذل القرون الذي هو الى الجهل والرداءة اقرب ويترك الذين شهد لهم المعصوم ومن بعده من السلف المحفوظين ثم من من هؤلاء المدعين مثل أبي حنيفة في كونه واردة فيه أحاديث من سيد المرسلين ورأى بعض الصّحابة وقد قال صلّى الله عليه وسلّم (**طوبي لمن رآني او رأى من رأني او رأى من رأى من رآني**) كما في الحديث الصّحيح ومن يقول له الله تعالى قد غفرت لك ولمن تبعك الى يوم القيامة ومن يأمره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم باظهار مذهبه وهداية الناس به فكيف يقدم عاقل على ترك هذا وتقديم من هو في زمان الجهل والفساد والجدال والعناد وكذلك من من هؤلاء المدعين من افتى وجلس للدرس في زمان التابعين وهو ابن سبعة عشر سنة وشهد له سبعون اماماً من كبار التابعين أنّه يستحق الافتاء والتدريس وهو بهذا العمر مع وجود اولئك الاكابر كما وقع لمالك والشّافعي ومن يشهد له الاكابر من تابع التابعين أنّه ليس في الدّنيا من يحفظ على الامة امر دينها ويكون حجّة على اهل الارض من الكفّار والمبتدعين كالامام أحمد رضي الله عنه وما اشبه ذلك من هذه الاحوال التي هي كالمعجزة في هذا الزمان ومحال ان يكون مثلها الاّ على طريق خرق العادة ولنرجع الى ردّ هؤلاء المدعين للاجتهاد المطلق في هذا

الزمان في قولهم أنّه ليس في حق المذاهب الاربعة حديث وارد في الاخذ باقوالهم وما ورد ان الاخذ باقوالهم من الأفعال الحسنة بل لنا الأخذ بالكتاب والسّنّة فنقول ان القرآن الشّريف مصرح بالاخذ بالمذاهب على طريق العموم وفي الأحاديث النبوية كذلك لكن بطريق الاشارة لا بخصوص اربعة بل بعموم المجتهدين ثم آل الامر الى الانحصار في الاربعة إذ لم يكن مثلهم بعدهم واجمع العلماء من زمانهم الى يومنا هذا على ذلك وكل واحد من الكتاب والسّنّة حجّة تامّة ترد هؤلاء الجهلة المدعين اما الكتاب فقوله تعالى (**اَطِيعُوا اللهَ وَاَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي اْلاَمْرِ مِنْكُمْ فإن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ اِلَىَ اللهِ وَالرَّسُولِ اَنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ والْيَوْمِ الآخر ذَلِكَ خَيْرٌ وَاَحْسَنُ تَاْوِيلاً** * النساء: ٥٩) رجح المفسّرون ان اولي الامر العلماء وقد امر الله بطاعتهم لدخولهم بطاعة الرسول ورجح هذا القول الآخر أنّهم الامراء من ولاة الأمور بأن ولاة الامور لا تجب طاعتهم الا ان وافقت فتاوى العلماء فالعلماء في الحقيقة أمراء الامراء فكان حمل الآية عليهم اولى وارجح وذلك ان الامراء ان كانوا علماء فاتباعهم لعلمهم والاّ فالامارة وحدها من دون علم لا تفيد وتحتاج الى العلم والعلماء كما هو ظاهر هكذا قرره الفخر الرازي في تفسيره وزيف ما عداه من الاقوال واستنبط منها ان الكتاب والسّنّة والاجماع والقياس كلها مأخوذة من نفس هذه الآية فارجع اليه ان اردته قال الفخر الرازاى ذهب كثير من الفقهاء ان ظاهر الامر في الآية للوجوب وردّ من خالف في ذلك من المتكلمين قال وقد دللنا على ان قوله تعالى واولي الامر منكم يدل على ان الاجماع حجّة فنقول كما دلّ على هذا الاصل فكذلك دلّ على مسائل كثيرة من فروع القول بالاجماع ونحن نذكر بعضها فنقول:

الفرع الاول مذهبنا الاجماع لا ينعقد الاّ بقول العلماء الذين يمكنهم استنباط احكام الله من نصوص الكتاب والسّنّة وهؤلاء هم المسمون بأهل الحل والعقد في كتب اصول الفقه فنقول الآية دالة عليه لانه تعالى اوجب طاعة اولي الامر والذين لهم النّهي والامر في الشّرع ليس الا هذا الصنف من العلماء لأن المتكلم الذي لا

معرفة له بكيفية استنباط الاحكام من النصوص لا اعتبار بأمره ونهيه وكذلك المفسّر والمحدث الذي لا قدرة له على استنباط الاحكام من القرآن والحديث فلما دلت الآية على ان اجماع اولي الامر حجّة علمنا دلالة الآية على أنّه ينعقد الاجماع بمجرد قول هذه الطائفة من العلماء ثم ذكر الله في الآية في هذه السورة وهى قوله تعالى (**وَلَوْ رَدُّوهُ اِلَى الرَّسُولِ وَاِلَى اُولِي الْاَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** * النساء: ٨٣) فقال الفخر الرازي فيه مسائل (الاولى) في اولي الامر قولان احدهما الى ذوى العلم والرأى منهم والثاني أمراء السرايا ورجح الاول بأن العلماء إذا كانوا عالمين باوامر الله ونواهيه كان يجب على غيرهم قبول قولهم له وحينئذٍ لا يبعدوا ان يسموا اولي الامر من هذا الوجه ويدل عليه ليتفقهوا في الدّين وينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلّهم يحذرون فاوجب الحذر بانذارهم والزم المنذرين قبول قولهم فجاز بهذا المعنى اطلاق اولي الامر عليهم ثم قال فنقول الآية دالة على امور (احدها) ان في الاحكام ما لا يعرف بالنص بل بالاستنباط (ثانيها) ان الاستنباط حجّة (ثالثها) ان العامي يجب عليه تقليد العلماء في احكام الحوادث انتهى كلام الفخر فإن قلت فهؤلاء الناس الذين يدعون الاجتهاد في هذا الزمان يقولون إنّا من العلماء وإنّا داخلون في حكم الآية قلت اولا اتفق اهل الاصول ان غير المجتهد المطلق ولوكان عالماً يسمى عامياً مقلدا وثانياً ينصرف هذا الاطلاق الى الفرد الكامل من العلماء وهم المجتهدون المستنبطون ولا شكّ ان هؤلاء معدوم منهم الاستنباط بل هو منهم محال وذلك ان هذا المدعى انما تعلم العلم من كتب فروع المذاهب وفهم ما فهمه منها ولو انصف وترك ما تعلم فليستنبط لنا كم مسئلة فمن اين يأتى لنا بغير ما في المدونة للمذاهب ومن اين له اصول غير ما اصلوه وفروع غير ما فرعوه فإنهم الذين وضعوا اصل الفقه وفرعه من غير سبق كتاب من احد قبلهم غير الكتاب والسّنّة ولو فرض ان احداً يترك اصولهم وفروعهم ويريد ان يحدث اصولا وفروعا من نفسه فإنّه لا يتأتى له الاّ بعد عشرات من السنين والايام ولا اظنه إذا فعل يقدر ان يظهر شيئاً

غير ما اظهره الأئمة الاربعة فليتق الله مدعي ذلك وليتنبه بل اقول ظهور مثل هؤلاء في هذه الازمان مصداق لقوله صلّى الله عليه وسلم في حديث البخاري (**ان الله لا يترع العلم انتزاعاً من الناس ولكن يترعه بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخد الناس رؤساً جهالاً فافتوا بغير علم فضلّوا واضلّوا**) وقد اجمع المفسّرون واهل الاصول ان قوله تعالى (**فَسْئَلُوا اَهْلَ الذِّكْرِ ان كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** * النحل: ٤٣) انها امر من الله لغير المجتهد ان يقلد المجتهد كما دلت الآية الاولى على وجوب اطاعة اولي الامر من العلماء المستنبطين لقوله تعالى (**وَلَوْ رَدُّوهُ اِلَى الرَّسُولِ وِاِلَى اُولِي اْلاَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** * النساء: ٨٣) كما قرره الفخر وغيره وسيأتى اجماع جميع العلماء على انحصار الاتباع لهؤلاء المذاهب الاربعة من وقتهم الى يومنا هذا قال الامام الشعراني[١] ومما يؤيد ذلك ما اجمع عليه اهل الكشف من ان المجتهدين هم الذين ورثوا الانبياء حقيقة في علوم الوحي فكما ان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم معصوم كذلك وارثه محفوظ من الخطأ في نفس الامر وان خطأه احد فذلك الخطأ اضافي فقط لعدم اطلاعه على دليل فإن جميع الانبياء والرسل في منازل رفيعة لم يرثهم فيها الاّ العلماء المجتهدون فقام اجتهادهم مقام نصوص الشارع في وجوب العمل به فإنّه صلّى الله عليه وسلّم اباح لهم الاجتهاد في الاحكام تبعا لقوله تعالى (**وَلَوْ رَدُّوهُ اِلَى الرَّسُولِ وَاِلَى اُولِي اْلاَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** * النساء: ٨٣) ومعلوم ان الاستنباط من مقام المجتهدين رضي الله عنهم فهو تشريع عن امر الشارع انتهى واما الدليل من الأحاديث النبوية فأصل اختلاف المذاهب ووجوب اتباعهم قوله صلّى الله عليه وسلّم (**مهما اوتيتم من كتاب الله فالعمل به واجب لا عذر لاحد في تركه فإن لم يكن في كتاب الله فسنة لي ماضية فإن لم يكن في سنة لي ماضية فما قال اصحابي لأن اصحابي كالنجوم في السماء فأيما اخذتم به فقد اهتديتم واختلاف اصحابي لكم رحمة**) رواه البيهقي في المدخل عن ابن عبّاس مرفوعاً قال ابن حجر في

---

(١) عبد الوهاب الشعراني الشّافعي توفي سنة ٩٧٣ هـ. [١٥٦٥ م.]

الخيرات الحسان وسبقه السّيوطي في المواهب ففي هذا الحديث اخباره صلّى الله عليه وسلّم باختلاف المذاهب بعده في الفروع من منذ زمن اصحابه الذي هو زمن الهدى والرشاد المشهود لهم من مشرفهم بأنّه خير القرون على الاطلاق ويلزم من اختلافهم اختلاف من بعدهم لأن كل صحابي مشهود بالفقه والرّواية اخذ بقوله ومذهبه جماعة ومع ذلك رضي به صلّى الله عليه وسلّم واقرهم عليه ومدحهم حتى جعل ذلك الاختلاف رحمةً للامة وخيرهم في الاخذ بقول من شاؤا من اصحابه اللازم له الاخذ بقول من ارادوا من المجتهدين بعدهم الجارين على منوالهم والسالكين لمسالكهم في اقوالهم وافعالهم انتهى واما الأحاديث التى فيها الاشارة ففي الامام الاقدم والمجتهد الاعظم أبي حنيفة رضي الله عنه في حديث الصّحيحين (**لوكان العلم في الثريا لتناوله رجال**) وفي رواية (**رجل من فارس**) قال السّيوطي وغيره من المحدثين هذا نص في أبي حنيفة إذ لم يظهر لاحد منهم ما ظهر له ولأتباعه وتبعه على ذلك جملة من المحدثين والفقهاء واما الامام مالك رضي الله عنه فقوله صلّى الله عليه وسلّم (**يوشك ان تضرب اكباد الابل فلا يجدون عالما الاّ عالم المدينة**) وفد تقدم في مناقبه واما الإمام الشّافعي رضي الله عنه فقوله صلّى الله عليه وسلّم (**عالم قريش يملاء طباق الارض علماً**) وقد تقدم من رواه في مناقبه وحقق الاكابر من السلف أنّه محمول على هؤلاء المذاهب فهذه الأحاديث ارشادات منه صلّى الله عليه وسلّم الى هذه المذاهب الاربعة وفهم منها السلف الصّالح في زمنهم وبعده عليهم وعلى استحسان اتباعهم دون غيرهم فكيف يقول المدعون لم يرد حديث في الاخذ بأقوالهم مع ان الحديث وارد بالعموم والخصوص واما قولهم بل لنا الأخذ بالكتاب والسّنّة فيقال لهم وهل خرج هؤلاء المذاهب عن الكتاب والسّنّة وابقوا لاحد شيئاً يأخذ به المتأخر عنهم فهذا اشبه ما يكون بقول الرافضة والزيدية والخوارج فإنهم يضللون الامة المحمّدية ويدعون أنّهم والمذاهب والصّحابة على غير هدى واما اهل السّنّة والجماعة فليس كذلك فإن كان هؤلاء المدعون من الرافضة والخوارج فلا كلام لنا معهم لأنّهم

مارقون من الدّين كما يمرق السهم من الرمية كما في البخاري ومسلم وكافة كتب الحديث وحمل سيدنا عليّ رضي الله عنه وكذلك غيره حمل قوله تعالى (**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْاَخْسَرِينَ اَعْمَالاً * اَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحياة الدّنيا وهُمْ يَحْسَبُونَ أنّهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا** * الكهف: ١٠٣-١٠٤) على الخوارج المكفرين للامة المحمّدية في جميع الدّنيا ما عداهم فإن هؤلاء اهل عناد وصقاعة عقل لا ينبغي لعاقل الكلام معهم ويلوث فمه بمخاطبتهم كما هو معلوم لمن ابتلا بهم من اهل السّنّة والجماعة (**والدليل الثالث**) على وجوب اتباع هؤلاء المذاهب الاربعة دون من عداهم اجماع العلماء على ذلك في كل الاقطار والازمان والاجماع في مثل هذه الأمور اقوى من النص لإشتمال الاجماع على تواطئ العقول الفاضلة من العلماء وغيرهم على تقليد هؤلاء المذاهب الاربعة والتدين باقوالهم وافعالهم لله والتقرب الى الله تعالى بهم وانتاج الاقطاب والأولياء في كل زمان من اتباع مذاهبهم كما هو مشاهد لكل احد فهاك نقول الفضلاء من كل مذهب قال الفخر الرازي والرافعي[١] والنووي الناس كالمجمعين اليوم على ان لا مجتهد قاله العلامة ابن حجر المكي في فتاويه بل قال بعض الاصوليين منا لم يوجد بعد عصر الامام الشّافعي مجتهد مستقل اي من كل الوجوه يعني والامام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه يجعله من مجتهدي المذهب من اتباع الشّافعي كالربيع وغيره من العلماء المماثلين له وقال ابن الصّلاح[٢] وهو من مشايخ النووي من اهل الستمائة بعد الهجرة ما نصه من ثلاثمائة سنة قبل زمانه عدم المجتهد المستقل فكيف يمكن في هذه الازمان المتأخرة التي عم فيها الجهل والفسق وعدم الفهم ان يحصل مجتهد مستقل وقد عدم قبل ابن الصّلاح الذي هو بحر محيط متفنن في سائر العلوم بثلثمائة سنة كيف ساغ له هذا الكلام وهو بنفسه كان احسن من هؤلاء المدعين في هذه الازمان بألف درجة كيف لم يدعه لنفسه هو وكان الفخر

---

(١) عبد الكريم الرافعي توفي سنة ٦٢٣ هـ. [١٢٢٦ م.] في قزوين

(٢) ابن الصلاح عثمان الشّافعي توفي سنة ٦٤٣ هـ. [١٢٤٥م.]

الرازي والرافعي والنووي كذلك يعني كل منهم من اهل الحفظ والاتقان و لم يدعو الاجتهاد مع سعة علومهم ويدعيه هؤلاء الذي قصارى امرهم ان كانوا اهل علم ان يفهموا عبارات مثل هؤلاء في كتبهم المنقولة عن المذاهب فقد كان دعواهم الاجتهاد ايسر عليهم واولى والزم وقال الامام السبكي في متن جمع الجوامع وكذلك الحنفيّة يجوز خلو الزمان عن مجتهد والمختار أنّه لم يثبت وقوعه اي الاجتهاد وقال في الدر المختار في اوله وذكروا ان المجتهد المطلق قد فقد وقال في موضوع آخر على أنّه يجوز خلو الزمان عنه عند الاكثر يعني الخلو عن المجتهد المطلق نهر واما الأئمة المالكية فقال بعض شراح ابن أبي زيد القيرواني من المالكية في قول المتن في آخر الرسالة والالتجاء الى كتاب الله وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلم واتباع سبيل المؤمنين وخير القرون من خير امة اخرجث للناس نجاة ففي الفزع الى ذلك العصمة ولنذكر لك في هذه الجملة اصول الاحكام الّتي هي الكتاب والسّنّة يعني متواترها وآحادها مما جاء من فعله وقوله وتقرير وسبيل المؤمنين هو الاجماع واتباعه واجب قال الله تعالى (**وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ونُصْلِهِ جَهَنَّمَ وسآءَتْ مَصِيرًا** * النساء: ١١٤) وقوله خير القرون يشير بذلك الى الاقتداء بالقرون الثلاثة الاول بعد الكتاب والسّنّة والاجماع وبيان ذلك ان لا مقلد الاّ المعصوم لإمتناع الخطأ عليه او من شهد له المعصوم حيث يتعذر الاقتداء به لأن مزكي العدل عدل وقد شهد عليه السّلام لقرنه ثم الذين يلونهم فوجب اعتبارهم في الاقتداء على مراتبهم لكن القرن الاول حفظوا عن الشارع الاكبر صلّى الله عليه وسلّم و لم يجمعوا فلم يعرف عام من خاص ولا ناسخ من منسوخ وذلك لا يتحصل الاّ بالجمع في القرن الثاني فحفظوا ما جمعوه وذلك لا يكفي التفقه فيه وقد تفقهوا فيه ولكنهم لم يستوعبوه ثم جاء القرن الثالث فحفظ ما جمع على جمعه واستوفى ما جمع بفقه فكمل علم الدّين في القرن الثالث حفظاً وجمعاً وتفقهاً في كل فن شرعي فاخذ ذلك عن علمائه الذين صلح ورعهم وهم نحو اثنى عشر رجلاً فكان لكل منهم اتباع ثم لم تزل اتباعهم تنقرض

وينقرض علمائها حتى لم يبق الا جملة الأئمة الاربعة مالك وأبي حنيفة والشّافعي واحمد رضي الله عنهم فاقتصر الناس عليهم واتبعوا مذاهبهم مع أنّه لا تخلو الارض من قائم لله بحجة يعني غير المجتهدين لقوله عليه الصّلوة والسّلام (**لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق**) ففي كل عصر سادة وفي كل قطر قادة لكن القرون الثلاثة الاصل فيهم الخير والشر عارض وما بعدهم من القرون ليس كذلك فهم معتبرون باوصافهم (**وفي المتن**) وفي اتباع السلف الصّالح النجاة وهم القدوة في تأويل ما تأولوه واستخراج ما استنبطوه لأنّهم قد جمعوا ثلاثة اشياء العلم الكامل والورع الحاصل والنظر السديد وغلبة الاصابة ولو لا هذه الامور ما صح الاقتداء بهم وان اختلفوا في الفروع والحوادث لم يخرج عن جماعتهم بل تعين ان يقتدى بهم على مراتبهم قال البلالي ويجب مذهب معيّن وله رجوع عنه وعن بعض مسائله لا تتبع الرخص (**قلت**) اما تتبع الرخص فحرام اجماعا لانه تلاعب بالدين انتهى كلام الرسالة وشرحها وهو كلام متين واما اقوال الأئمة الحنفيّة فقد نقل الشرنبلالي الحنفي في كتابه العقد الفريد عن ابن الصّلاح والسبكي لا يجوز تقليد غير الأئمة الاربعة اي قضاء وافتاء (**ونقل**) عن الزاهدي[١] في شرح القدوري (وعن أحمد العيافي) العبرة بما يعتقده المستفتي من المذاهب الاربعة فكل ما يعتقده من مذهب حل له الاخذ به ديانة و لم يحل له خلافه وعن ابن امير حاج والذي يقتضيه القواعد كما ذكره شيخنا يعني ابن الهمام يلزم التقليد لواحد من الاربعة ولا يلزم سكون نفسه الاّ فيما إذا وجد غيره لا فيما لم يجد ثم في غير كتاب من الكتب المذهبية اي الحنفيّة المعتبرة ان المستفتي ان امضى قول المفتي لزمه والاّ فلا انتهى كلام العقد الفريد (واما الأئمة الحنابلة) فقال في الانصاف ومن زمن طويل عدم المجتهد المطلق مع أنّه الآن ايسرمن الزمن الاول لأن الحديث والفقه قد دونا لكن الهمم قاصرة والرغبات فاترة والدّنيا غالبة (ونقل ابن القيّم) في اعلام الموقعين عن الامام أحمد بالسند المتصل قال

---

(١) مختار بن محمود الزاهدي الحنفي توفي سنة ٦٥٨ هـ. [١٢٦٠ م.]

قيل لاحمد إذا حفظ الانسان مائة الف حديث أيكون مجتهداً قال لا قيل فمائتى الف حديث قال لا قيل فثلاث مائة الف حديث قال لا قيل فاربعمائة الف حديث قال ارجوا فإذا كان آخر المذاهب الذي بينه وبين اقدم المذاهب نحو مائتى سنة هكذا يقول فكف يتأتى لمن لا يحفظ ثلثمائة حديث باسانيدها ان يكون مجتهدا في هذا الزمان الفاسد بل ان هؤلاء المدعين لم يحفظوا عشرين حديثاً بموجب ما تفصحه شقشقاتهم التى اظهروها وبينوها فإنّها ليس الاّ عبارة عن هذيان بل رأيت مقالات لبعض هؤلاء المدعية الاجتهاد تناقض دعوى الاجتهاد فمن ذلك أنّه قد اخذ نقولا كثيرة عن مذاهبنا الاربع وجعلها اصولا لمذهبه فيا ليت شعري ان المجتهد كيف يستأصل اصول غيره بل لابدّ له ان يستأصل اصولا غير اصولهم مستنبطة من عنده كما عرفت سابقاً فمن هذا يتحقق عندك ما قلناه من عدم الحفظ والتناقض لانه لو كان حافظاً لعرف طريق الاجتهاد فتأمل ذلك واعلم نقل صاحب الانصاف بعد نقله ما تقدم فقيل لابى اسحاق ابن شاقلا فانت تفتى ولا تحفظ هذا القدر فقال لكن افتي بقول من يحفظ الف الف حديث يعني الامام أحمد وهذا احد ما يوجب الامتناع من ادعاء الاجتهاد لأن المجتهد يلزمه الاطلاع على هذا المقدار من الأحاديث ليعلم الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد فما دام لم يطلع على هذا المقدار لا يمكنه الأجتهاد لانه يفوته هذه الاشياء والمذاهب الاربعة اطلعوا على ذلك وزيادة فالعمدة عليهم لا على اهل الجهل والفساد وقال ابن القيّم الحنبلي في (**اعلام الموقعين**) والمقصود ان الواجب فيما علق الشارع الاحكام من الالفاظ والمعانى ان لا يتجاوز بالفاظها ومعانيها ولا تقصر بها ويعطي اللفظ حقه والمعنى حقه وقد مدح الله اهل الاستنباط في كتابه واخبر أنهم اهل العلم ومعلوم ان الاستنباط انما هو استنباط المعانى والعلل ونسبة بعضها الى بعض فيعتبر ما يصح منها بصحة مثله وشبهه ونظيره ويلغى ما لا يصح وهذا هو الذي يعقله الناس من الاستنباط وقال الجوهري الاستنباط كالاستخراج ومعلوم ان ذلك قدر زائد على مجرد مفهوم اللفظ

فإن ذلك ليس طريقة الاستنباط اذ موضوعات الالفاظ لا تنال بالاستنباط وانما ينال العلل والمعانى والاشباه والنظائر ومقاصد المتكلم والله سبحانه ذم من سمع ظاهراً مجرداً فاذاعه وافشاه وحمد من استنبط من اولي العلم حقيقة ومعناه يوضحه لأن الاستنباط استخراج الامر الذي من شأنه ان يخفي على غير مستنبطه ومن ذلك استنباط الماء من ارض البئر والعين ومن هذا قول عليّ رضي الله عنه لما سئل هل خصكم رسول الله صلّى الله عليه سلم بشئ دون الناس فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه ومعلوم ان هذا الفهم قدر زائد على معرفة موضوع اللفظ وعمومه وخصوصه فإن هذا قدر مشترك بين سائر من يعرف لغة العرب وانما هذا فهم لوازم المعنى ونظائره ومراد المتكلم بكلامه ومعرفة حدود كلامه بحيث لا يدخل فيه غير المراد ولا يخرج منها شئ من المراد انتهى وليس من له هذه الرتبة والحالة الاّ الأئمة الاربعة الذين كانوا في قرب زمن النّبيّ والصحابة ونالوا من نور الرسالة ومدد علمه ما لم ينله غيرهم فكيف يمكن لغيرهم في آخر الزمان حال كحالهم وفهم كفهمهم واطلاع على نصوص النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم واصحابه والتابعين لهم كمثلهم ولهذا جميع علماء الامة ممن بعدهم مشوا على مناهجهم واتبعوا مذاهبهم وثابروا على تنقيحها وتهذيبها وبيان المعتمد منها في كل هذه القرون التى تبلغ من نحو مذهب أبي حنيفة اثنى عشر قرناً كلهم مضوا مع فضلهم وعلمهم وتقدمهم وحفظهم على اتباع مذاهبهم ولم يدعوا هذه الدعوى العاطلة الباطلة إذ هم ازكى نفوسا واطهر اوصافا واورع طريقاً واغزر علماً وفهماً من هؤلاء ولم يمكنهم الدعوى فكيف يدعي من لا يعد في االعير ولا في النفير وهؤلاء الذين قلنا عنهم الوف كيف اجتمعت آرائهم وعلومهم على اتباع المذاهب الاربع فهذا دليل الاجماع من اهل العلم على تقليد المذاهب واليأس من وجود مثلهم او من يدانيهم ومخالفة الاجماع من العلماء والعوام في كل هذه الاعصار حرام ويستحق المخالف العذاب كما مر في الآية الشّريفة وكأن من اظهر نفسه في هذه الازمان بدعوى

الاجتهاد المطلق يقول بلسان نطقه ولسان حاله ان كل هؤلاء العلماء والمقلدون ما لهم عقول وهو العاقل ولا لهم فهم وهو الفاهم ولا شكّ ان هذا عين الجنون الذي يستوجب صاحبها الحبس المديد والعذاب الشديد لسعيه بجنونه في الارض الفساد فهؤلاء خارجون عن زمرة اهل العلم الكاملين من السلف الصّالحين ومن تبعهم الى يوم الدّين فهل يقبل عاقل مثل هذه الخرافة ان شرذمة قليلة الغالب عليها الجهل يدعون في هذا الزمان الاجتهاد ولا يتبعون المذاهب ومن هو اعلم منه بالف درجة لا يدعيه ويجعل نفسه مقلداً افلا يستحي من الله ورسوله ومن هؤلاء العلماء الاجلاء ان يرتفع عليهم ويقول أنّه هو مثل امامهم المذهب في الاجتهاد واين الثريا من يد المتناول فقد سولت له نفسه الامارة بالسوء المدعية رتبة بعيدة عنها بكثير لغلبة هوى النفس وطمس البصيرة وان لا يكون تحت حكم غيره من المذاهب الذين هم اقطاب هذه الملة علماً وعملاً واخلاصاً وكشفاً ظاهراً وباطناً بل من اتباعهم الى يومنا هذا كم ظهر منهم من الاقطاب والأولياء الاحباب الذين اطلعهم الله تعالى على ظاهر العلم وباطنه وما ادعوا الاجتهاد وذلك مثل عبد الله بن المبارك والجنيد البغدادي والسري السقطي ومعروف الكرخي وبشر الحافي وسيدنا الشّيخ عبد القادر الجيلي[١] والشّيخ شهاب الدّين السّهروردي[٢] وشاه نقشبند ومن قبله ومن بعده رضي الله عنهم فيا ليت شعرى كيف لم يدع هولاء الاكابر في العلم الباطن والظاهر الاجتهاد مع فضلهم وشهرتهم وكثرة اتباعهم ويدعيه من لا يكون كادنى مخلص من محبيهم فلو كانت هذه الدعوى سائغة لكان هؤلاء احق بها للالهام والكشف الحاصلين لهم من جانب الله تعالى لكن دلّ تقليدهم للمذاهب على ان الله تعالى كما منع في الظاهر ان يكون غير الاربعة كذلك في الباطن منع الله ان يدعي احد هذه الرتبة وهذا اقوى دليل على منع المدعين وانها باطلة في الظاهر والباطن فما بعد الحق

---

(١) السيّد عبد القادر الكيلاني توفي سنة ٥٦١ هـ. [١١٦٦ م.] في بغداد

(٢) شهاب الدّين عمر السّهروردي توفي سنة ٦٣٢ هـ. [١٢٣٥ م.] في بغداد

الا الضّلال فانّى يؤفكون ومما يدل على المنع من هذه الدعوى ان المذاهب كما قدمنا من مناقبهم ان الامام ابا حنيفة رضي الله عنه رأى الله في المنام تسعاً وتسعين مرة والامام مالك كان رضي الله عنه وارضاه يرى النّبيّ في كل ليلة وكذلك الشّافعي رأى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مرات والامام أحمد قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في المنام على محنته وان الله تعالى يرفع له بها علماً الى يوم القيامة فهل احد من هؤلاء المدعين حصلت له من هذه الرتب شئ وايضاً مثل الامام الاعظم رضي الله عنه رأى الصّحابة فهل احد منهم رأى منهم وايضاً رأوا التابعين ممن جمع العلم والعمل فهل احد وصل الى ذلك (**وذكر الشعراني في الميزان**).

فإن قلت هل يصح لاحد الوصول الى مقام احد من المجتهدين فالجواب نعم لأن الله على كل شئ قدير وقد قال بعضهم الآن يصلون الى ذلك من طريق الكشف فقط لا من طريق النظر فإن ذلك مقام لم يدعه احد بعد الائمة الاربعة الاّ الامام ابا محمّد بن جرير ولم يسلموا له (**اقول**) وهو من اهل الثلثمائه وخمسين وهو فيما يقال شافعي المذهب فتامله وانصف قال الشعراني وجميع من ادعى الاجتهاد المطلق انما مراده المطلق المنتسب الذي لا يخرج عن قواعد امامه كابن القاسم[١] واصبغ مع مالك وكمحمّد وأبي يوسف مع أبي حنيفة رضي الله عنهم وكالمزنى والربيع مع الشّافعي إذ ليس في قوة احد بعد الأئمة الاربعة ان يبتكر الاحكام ويستخرجها من الكتاب والسّنّة فيما نعلم ابدا ومن ادعى ذلك قلنا له فاستخرج لنا شيئاً لم يسبق احد من الأئمة استخراجه فإنّه يعجز انتهى وقال ايضاً في الميزان وقد نقل السّيوطي ان الاجتهاد المطلق على قسمين مطلق غير منتسب كما عليه الأئمة الاربعة ومطلق منتسب كما عليه اصحابهم الذين ذكرناهم ثم قال ولم يدع الاجتهاد المطلق الغير المنتسب الاّ الامام ابن جرير الطبري ولم يسلم له ذلك انتهى وقال ويكون على علم الاخوان ان لكل سنة سنها المجتهدون او بدعة حرمها المجتهدون درجة في الجنّة لمن

---

(١) ابن القاسم أحمد الشّافعي الازهري توفي سنة ٩٩٤ هـ. [١٥٨٦ م.]

اطاع او دركا في النار لمن خالف وان تفاوت مقامهم ونزل عما سنه الشارع او كرهه كما صرح به اهل الكشف فاعلم ذلك واعمل بكل ما سنه المجتهدون واترك كلما كرهوه ولا تطالبهم بدليل في ذلك فانك محبوس في دائرتهم ما دمت لم تصل الى مقامهم لا عليك ان تتعداهم الى الكتاب والسّنّة وتأخذ الاحكام من حيث اخذوا ابدا انتهى وما اشبه هؤلاء المدعين الاّ كما وقع في زمان الشعراني ان احداً من اكابر علماء زمانه عمل بزعمه رداً على الامام أبي حنيفة فأتى بكتاب صنفه ليراه الشعراني فاعتذر الشعراني بانّا لسنا من فرسان ميدان هؤلاء الاكابر فرأى في الواقعة التي هى بين النوم واليقظة ان الامام ابا حنيفة كالجبل العظيم من نور من الارض الى السماء وذلك المدعي كالبعوضة واقف مقابل ذلك الجبل فهؤلاء المدّعون في هذا الزمان بلا شكّ كالبعوضة بالنسبة الى العلماء الاكابر المقلدين فضلا عن المجتهدين رضي الله عنهم اجمعين (**فصل**) ثم بعد كتابتى لما تقدم رأيت المناوي[١] في شرحه الكبير على الجامع الصغير قال في اوله ما يؤيد بعض ما قدمته فاحببت نقله قال العلامة الشهاب ابن حجر لما ادعى السّيوطي رتبة الاجتهاد في المذهب لا المطلق قام عليه معاصروه من العلماء ورموه عن قوس واحد وكتبوا له سؤالا فيه مسائل واطلق الاصحاب فيها وجهين وطلبوا منه أنّه إن كان عنده ادنى مراتب الاجتهاد وهو اجتهاد الفتوى فيتكلم على الراجح من تلك الاوجه بدليل على قواعد المجتهدين فردّ السؤال من غير كتابة واعتذر بأن له اشغالاً تمنعه عن النظر في ذلك قال الشهاب فتأمل صعوبة هذه المرتبة اعنى اجتهاد الفتوى الذي هو ادنى مراتب الاجتهاد يظهر لك ان مدعيها فضلا عن مدعى المطلق في حيرة من أمره وفساد في فكره وأنّه ممن ركب متن عمياء وخبط خبط عشواء قال ومن تصور مرتبة الاجتهاد المطلق استحى من الله ان ينسبها لاحد من اهل هذه الازمنة يعني زمان ابن حجر في سنة تسعمائة وهذا بيننا وبينه نحو اربعمائة سنة فكيف لا يستحي من في هذه الازمنة ان يدعي هذه

---

(١) عبد الرؤف المناوي توفي سنة ١٠٣١ هـ. [١٦٢٢ م.] في القاهرة

الرتبة التي اقصر عنها الاولون ثم قال وإذا كان بين الأئمة نزاع طويل في ان امام الحرمين وحجّة الاسلام الغزالي وناهيك به هل هو من اصحاب الوجوه ام لا فما ظنك بغيره بل قال الائمة في الامام صاحب البحر يعني من الشافعية أنّه لم يكن من اصحاب الوجوه هذا مع قوله لو ضاعت نصوص الشّافعي لأمليتها من حفظي او من صدرى فإذا لم يتأهل هؤلاء الاكابر لمرتبة الاجتهاد المذهبي لا المطلق فكيف يسوغ لمن لا يفهم اكثر عباراتهم على وجهها ان يدعى ما هو اعلى من ذلك وهو الاجتهاد المطلق سبحانك هذا بهتان عظيم وفي الانوار عن الامام الرافعي قال ما ذكرناه سابقاً عنه أنّه لا مجتهد اليوم وقال ابن أبي الدم عالم الاقطار الشّامية بعد سرده شروط الاجتهاد المطلق هذه الشروط يعز وجودها في زمننا في شخص من العلماء بل لا يوجد في البسيطة اليوم مجتهد مطلق هذا مع تدوين العلماء كتب التفسير والسنن والاصول والفروع وقد ملؤا الارض من مؤلفات صنفوها ومع هذا فلا يوجد في صقع من الاصقاع مجتهد مطلق بل ولا مجتهد في المذهب لامام معتبر اقواله تعد وجوها مخرجه في مذهب امامه وما ذاك الاّ لأن الله اعجز الخلايق في هذا اعلاما لعباده بتصرم الزمان وقرب الساعة وان ذلك من اشراطها مع ان زمان ابن أبي الدم متقدم وقال شيخ الاصحاب القفال القنوي قسمان أحدهما من جميع شروط الاجتهاد وهذا لا يوجد والثانى من ينتحل مذهباً واحداً من الأئمة كالشّافعي وعرف مذهبه وصار حاذقاً فيه بحيث لا يشذ بشئ من اقواله واصوله فإذا سئل عن حادثة عرف لصاحبه نصّاً اجابه عنها والاّ يجتهد على مذهبه ويخرجها على اصوله وهذا اعزّ من الكبريت الاحمر فإذا كان قول القفال مع جلالة قدره وكون تلامذته وعلمائه اصحاب وجوه في المذهب فكيف بعلماء عصرنا ومن جملة علمائه القاضى حسين والفوراني ووالد امام الحرمين الجويني والصيدلاني والسبخي وغيرهم وبموتهم وموت أبي حامد انقطع الاجتهاد وتخريج الوجوه من مذهب الشّافعي وانما هم نقلة وحفظة واما في هذا الزمان فقد خلت الدّنيا منهم وشغر الزمان عنهم الى هنا كلام

ابن أبي الدم وقال شيخ الافتاء وفقيه العصر ورئيس التدريس في القرن التاسع شمس الدّين الرملي[١] والد صاحب نهاية المحتاج شرح المنهاج أنّه وقف على ثمانية عشر سؤالا سئل عنها الجلال السّيوطي من مسائل الخلاف والمنقولة فاجاب عن شطرها بكلام قوم من المتأخرين كالزركشي[٢] واعتذر عن الباقي بأن الترجيح لا يقدم عليه الاّ جاهل او فاسق قال فتأملتها فإذا اكثرها من المنقول المفروغ منه فقلت سبحان الله رجل يدعي الاجتهاد وخفي عليه ذلك فاجبت عن ثلاثة عشر منها في مجلس واحد بكلام مبين من كلام المتقدمين (انتهى كلام المناوي) ثم قال وليس حكايتي لذلك من قبيل الفض ولا الطعن عليه بل حذراً من ان يقلده بعض الاغبياء فيما اختاره وجعله مذهبه فيما خالف فيه الائمة اغتراراً بدعواه هذا مع اعتقادي مزيد جلالته وفرط سعة اطلاعه ورسوخ قدمه وتمكنه في العلوم الشّرعية واما الاجتهاد فدونه خرط القتاد وقد صرح حجّة الاسلام الغزالي بخلو عصره عن مجتهد حيث قال في الإحياء واما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل العصر اى عصره وهو من اهل الخمسمائة فإنّه يفتي به ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهب له يتركه وقال في الوسيط واما شروط الاجتهاد المعتبرة في القاضي فقد تعذرت في وقتنا او في عصرنا (انتهى كلام المناوي ملخصاً) ثم ان ابن الصباغ[٣] من مقلدي مذهب الشّافعي ذكر المؤرخون أنّه لما وقعت كائنة التتار في بغداد سنة ستمائة وخمسين واتلفوا الكتب الكثيرة حتى قيل سد بها الدجلة مبالغة وبنوا منها معالفاً للدواب فبعد انقضاء الكائنة ما تأسف العلماء الا على ذهاب الكتب المشتملة على العلوم فقال ابن الصباغ انا امليها لكم من حفظي فصار يملى والناس يكتبون الى ان مات رحمه

---

(١) محمّد بن أحمد الرملي الشّافعي توفي سنة ١٠٠٤ هـ. [١٥٩٦ م.] وخير الدّين الرملي الحنفي توفي سنة ١٠٨١ هـ. [١٦٧٠ م.] في رملة

(٢) محمّد الزركشي توفي سنة ٧٩٤ هـ. [١٣٩٢ م.]

(٣) ابن الصباغ عبد السيّد الشّافعي توفي سنة ٤٧٧ هـ. [١٠٨٤ م.]

الله تعالى فهذا العالم هكذا اعطاه الله حفظاً وفهماً خارقاً للعادة وما ادعى الاجتهاد فلو كان ممكنا لادعاه مثل هذا الامام وقال صاحب البزازية في زمانه وهو من اهل الثمانعائة فيما اظن في باب الوصية واين العلم واين العلماء يعنى انه مفقود قبل زمانه فهذا يدلك ان مدعى الاجتهاد مع هذه الاقوال للعلماء الاجلاء أنّه صلف العين شديد الوقاحة لكن كما قال الامام السّيوطي فيما سبق ان الترجيح للوجوه المذهبية لا يقدم عليها الاّ جاهل او فاسق فمن يدعي الاجتهاد في زماننا هذا فهو اجهل الجاهلين وافسق الفاسقين نسئل الله السّلامة من هذا البلاء المبين آمين ثم اعلم ايها الناصح لنفسه المستبرئ لدينه قبل حلول رمسه لو فرضنا انك من اهل الاجتهاد مثلا اليس كما قيل السعيد من اكتفى بغيره فإن المذاهب الاربعة رضي الله عنهم لكونهم في ذلك الزمان المنور والعلم الغزير الازهر والباطن الواسع الاطهر ما تركوا لاحد حاجة ولا ابقوا لمتعقب ذي لجاجة بل اصّلوا وفرّعوا وجنّسوا ونوّعوا واخذوا من الكتاب والسّنّة والاجماع والقياس المعتبرين ما يفتي كل متورع ولو بلغ كلّما بلغ أفتكون انت ايها المدعي مثل أبي حنيفة في ورعه الذي ضاعت شاة في البلد فمنع نفسه عن اكل اللحم اربع سنين وقيل عشر سنين لما سئل عن عمر الشاة ما ذا تعيش في الغالب فقيل له عشر سنين او مثل الشّافعي او مالك او أحمد ابن حنبل الذي منع نفسه شرب ماء دجلة لأن الحكام كانوا إذا أكلو رموا فضلة طعامهم فيها او تكون عالماً كعلمهم بل حاشا وكلا ان تكون كأدنى أدنى أدنى طلبة مقلديهم فإذا كان هؤلاء تعبوا وجاهدوا وسهروا واجاعوا البطون واظمؤا القلوب ومنعوا النفوس لذائذها مدة عمرهم لأجل اقامة الدّين واراحة ائمة سيد المرسلين افلا تكتفي بما اظهروه من الكتاب والسّنّة وتستريح من التعب فأي مسئلة تريد ان تتعب نفسك في استخراجها او ترى أنّهم ما اتبعوا الكتاب والسّنّة مع علمهم وورعهم وانت اتبعته حتى تأتى في آخر الزمان الذي هو شر الازمان وسبقك خير الازمان الذي كان فيه الفحول من الرجال ومن العلماء الابطال وتريد ان تظهر شيئاً ما ذكره احد منهم

وتستدركه عليهم فو الله انك لمجنون وواقع في امر مهول ويحك اتق الله فلا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله نعم اردت ان يقال خالف تعرف فسولت لك نفسك انك إذا ادعيت الاجتهاد ساويت اولئك الامجاد وظهر صيت لك بين الطغام والاوغاد وصرت في زعمك آمراً غير مأمور وفي قيد الجهل والادعاء مأسور افلا تخاف الله يوم يؤخذ بالنواصى ويرجع اليه القريب والقاصى فانته وانتبه مما انت به فعن قريب تذهب تلك الدعاوي وبالموت انت اسفل السافلين هاوي ورأيت كتاباً لبعض المتقدمين في ذم البدع والمبتدعين قال فيه ما نصه إذ لا يجوز ان يقلد الانسان في دينه الاّ من هو معصوم وهو صاحب الشريعة صلّى الله عليه وسلّم او من شهد له صاحب الشريعة بالخير وهم القرون الثلاثة الذين اقتضى حكمة الشارع ان يخص كلا منهم بفضيلة فالقرن الاول خصهم الله بمزية لا سبيل لاحد ان يلحقهم فيها وهم الصحابة رضي الله عنهم ثم عقبهم التابعون فجمعوا ما كان من الأحاديث ومسائل الدّين متفرقا حتى كان احدهم يرحل في طلب حديث واحد ومسئلة واحدة الشهر والشهرين وضبطوا امر الشريعة اتم ضبط وتلقوا الاحكام والتفسير من الصحابة فحصل لهم نصيب وافر في اقامة الدّين فلذلك كانوا خيراً من بعدهم ثم عقبهم تابعوا التابعين الذين ظهر فيهم الفقهاء المجتهدون الذين قلدهم الناس والمرجوع اليهم في النوازل فوجدوا القرآن مجموعاً ميسراً ووجدوا الأحاديث قد ضبطت واحرزت فتفقهوا في القرآن والأحاديث على مقتضى قواعد الشريعة وعينوا وجوه الدلالة واستنبطوا منها احكاماً بينوها على مقتضى الاصول ويسروها على الناس ودونوا الدواوين وازالوا المشكلات باستخراج الفرع من اصله ورده وتبيينه منه وانتظم الحال واستقر امر دين الامة المحمّدية بسببهم فحصل لهم في اقامة هذا الدّين خصوصية ايضاً فلما مضوا لسبيلهم اتى من بعدهم فلم يجد في الدّين وظيفة يقوم بها بل وجد الامر على اكمل الحالات فلم يبق له الا ان يحفظ ما دونوه واستنبطوه واستخرجوه وافادوه ولا يحصل الخير الا بإتباعهم وتقليدهم وبقائه في

ميزانهم فإن ظهر له فقه غير فقههم او فائدة غير فائدتهم فمردود عليه الاّ ان يكون مما لم يقع بيانه في زمانهم بالفعل ولا بالقول فيجب حينئذٍ ان ينظر فيه على مقتضى قواعدهم في الاحكام الثابتة عنهم فإذا كان على مقتضى اصولهم يقبل والا فلا اذ كل من اتى بعدهم يقول في بدعة انها مستحبة ثم يأتي على ذلك بدليل خارج عن اصولهم فذلك مردود عليه غير مقبول لأن التقليد والاقتداء بالغير بمجرد حسن الظن انما يجوز لمن كان مجتهداً عدلا لا لمن كان مقلداً لا يفرق بين الغث والسمين ولا يعرف الشمال من اليمين لكن ينبغى ان الاجتهاد لما انقطع منذ زمان طويل انحصر طريق معرفة مذهب المجتهد في نقل كتاب معتبر متداول بين العلماء واخبار عدل موثوق في علمه وعمله الى آخر ما قال انتهى فبين في عبارته هذه ان من شهد له صاحب الشريعة بالخيرية فهو الذي يتبع وتكون الاشارة اليه منه وهو قوله (**خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**) وان الطبقة الاولى هم الصحابة والثانية فيها أبو حنيفة ومالك والثالثة فيها الشّافعي وأحمد بل الشّافعي من الثانية لانه ولد في مائة وخمسين ومات في مائتين واربعة وكل عمره اربع وخمسون سنة فلا شكّ ان اجتهاده كان في الخمسين التى هى تمام المائتين وحقق هذا الفاضل ان الاجتهاد انقطع منذ زمان طويل وهو الموافق لما اجمع عليه اهل العلم والفهم كما قدمنا ذلك فقول هؤلاء المدعين أنّه ليس في تقليد المذاهب الاربع حديث عدم اهتداء منهم الى ما في هذه الآيات من الامر وفي الأحاديث من الاشارة التى هى كالصريحة ويشير الى ذلك ما قال ابن القيّم ايضاً في قوله تعالى (**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ اَئِمَّةً يَهْدُونَ بِاَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** * السجدة: ٢٤) فإنّها وان كانت نازلة في بني اسرائيل لكن عمومها يفيد دخول هذه الامة من باب اولى لأنها افضل الامم بنص قوله تعالى (**كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** * آل عمران: ١١٠) والقاعدة الاصولية العبّرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب ثم الأئمة وان كانوا عامين لكن لكونهم الفرد للكامل يخصون من هذا العموم لزيادة فضلهم ولاجماع الامة خواصاً وعواماً على الخصوص

العلماء من بعدهم على اتباعهم دون غيرهم (وافاد الفخر الرازي) في تفسيره قوله تعالى (**وَاَطِيعُوا اللهَ وَاَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاُولِي اْلاَمْرِ مِنْكُمْ فإنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ اِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ اِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخر** * النساء: ٥٩) قال رأيت الآية على ان العبرة باجماع المؤمنين لانه تعالى قال في اول الآية **يا ايها الذين آمنوا** ثم قال واولى الامر منكم فدل على ان العبرة باجماع اهل السّنّة فاما سائر الفرق الذين يشكّ في إيمانهم فلا عبرة بهم انتهى (اقول) ومراده بسائر الفرق الذين يشك في ايمانهم هم الفرق الضالة عن طريق اهل السّنّة والجماعة ومنهم الرافضة والخوارج فإن هذه الفرقة المدعية بالاجتهاد المطلق الغالب يكونون من الروافض والزيدية والخوارج ومنهم اي من المدعين المسمون الآن بالوهّابيّة فإنهم يصرحون بهذه المسئلة ولا يرضون باتباع المذاهب كما رأيته في كتب ابن عبد الوهاب[١] ثم اقول كما لاعبرة بهم في الاجماع لا عبرة بهم في الاجتهاد الذي يدعونه ومن جملة ما يمنع مثل الخوارج من تسليم الاجتهاد لهم أنّهم لا يؤمنون بحياة الميّت في قبره وأنّه لا يسمع ولا يرى وأنّه تراب وعظام لا يترتب عليه نعيم ولا عذاب ولا يؤمنون بالمعراج النبوي ولا يؤمنون بقدرة الله الا للحيّ والحيّ عندهم هو الفاعل بنفسه لا با لله تعالى إذ لوكان بالله لتساوى الحيّ والميّت بل والجماد كما فر الحجر بثوب موسى عليه السّلام فصار ينادى ثوبي يا حجر كما في البخاري ولا يؤمنون بكرامات الأولياء الصّالحين وقد اجمع اهل السّنّة في كتب العقايد والفقه على الإيمان بها وانها من واجبات الاعتقاد إذ الكرامة هي امر خارق للعادة يجريه الله على يد عبده الصّالح وقد اتفق اهل الشريعة والحقيقة على ان المذاهب الاربعة المجتهدين بنوا مذاهبهم على ظاهر الشّرع وباطنه قال الشعراني في الميزان (فصل) في بيان استحالة خروج شيئ من اقوال المجتهدين عن الشريعة وذلك لأنّهم بنوا قواعد مذاهبهم على الحقيقة التى هى اعلى مرتبتى الشريعة كما بنوها على ظاهر الشريعة على حد سواء وأنّهم كانوا عالمين بالحقيقة خلاف ما

---

(١) محمّد بن عبد الوهاب رفيق الجاسوس الانكليزي همفر توفي سنة ١٢٠٦ هـ. [١٧٩١ م.]

يظنه بعض المقلدين فيهم فكيف يصح خروج شيئ من اقوالهم عن الشريعة ومن نازعنا في ذلك فهو جاهل بمقام الأئمة فو الله كانوا علماء بالحقيقة والشريعة معا وان في قدرة كل واحد منهم ان ينشر الادلة الشّرعية على مذهبه ومذهب غيره فلا يحتاج احد بعده الى النظر في اقوال مذهب آخر لكنهم رضي الله عنهم كانوا اهل انصاف واهل كشف فكانوا يعرفون ان الامر يستقر في علم الله على عدة مذاهب مخصوصة لا على مذهب واحد فابقي لمن بعده عدة مسائل عرف من طريق كشف الله له انها تكون من جملة مذهب غيره فترك الاخذ بها من باب الانصاف واتباع لما اطلعهم الله عليه من طريق كشفهم أنّه مراد له تعالى لا من باب الايثار بالقرب الشّرعية والرغبة عن السّنّة كما اطلع الأولياء بقدرة الله على قسمة الارزاق المحسوسه لكل انسان فانظر يا اخى في اقوال ائمة المذاهب تجد احدهم ان خفف في مسئلة شدد في مسئلة اخرى وبالعكس وسمعت سيدى عليا الخواص[١] يقول انما ايد أئمة المذاهب مذاهبهم بالمشي على قواعد الحقيقة مع الشريعة اعلاما لاتباعهم بأنّهم كانوا علماء بالطريقين وكان يقول لا يصح خروج قول من اقوال الأئمة المجتهدين عن الشريعة ابداً عند اهل الكشف قاطبة وكيف يصح خروجهم عن الشريعة مع اطلاعهم على مواد اقوالهم من الكتاب والسّنّة واقوال الصحابة ومع الكشف الصّحيح ومع اجتماع روح احدهم بروح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسؤالهم عن كل شئ توقفوا فيه من الادلة هل هذا من قولك يا رسول الله ام لا يقظة ومشافهة بالشروط المعروفة بين اهل الكشف وكذلك كانوا يسئلونه عن كل شئ فهموه من الكتاب والسّنّة قبل ان يدونوه في كتبهم ويدينوا الله تعالى به انتهى (وقال الشعراني ايضاً) ما ثم لنا دليل واضح يرد كلام اهل الكشف ابداً لا عقلاً ولا نقلاً ولا شرعاً لأن الكشف لا يأتى الاّ مؤيداً بالشريعة دائماً وهو اخبار بالأمر على ما هو عليه في نفسه وهذا هو عين الشريعة انتهى وهذا انما ذكرته لئلا يقول المنكر لعلوم اهل الله

---

(١) علي الخواص مرشد عبد الوهاب الشعراني

تعالى أنّه خلاف الشّرع فلا ينهض حجّة مع انا قلنا ان الشريعة مرتبطة بالحقيقة (وقال ايضاً) ومما يؤيد ذلك ايضاً ما اجمع عليه اهل الكشف من ان المجتهدين هم الذين ورثوا الانبياء حقيقة في علوم الوحى فكما ان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم معصوم كذلك وارثه محفوظ من الخطأ في نفس الامر وان اخطأ احد منهم فذلك الخطأ اضافي فقط لعدم اطلاعه على دليل وقد تقدم مثل هذا (فان قلت) ان اباحنيفة رضي الله عنه قال لأصحابه ان توجه لكم دليل من الكتاب والسّنّة فخذوا به وهذا يدل على عدم وجوب تقليدهم (قلت) ان اصحاب الامام مع كونهم كانوا في زمنهم الصّالح في خير القرون المشهود لها بالخيرية كان لهم اهلية الاجتهاد في الجملة لتعلمهم من المذهب واخذهم لإصوله وفروعه ومع ذلك ما ادعوا لانفسهم مذهباً غيره بل جعلوا انفسهم مقلدين لعلمهم بعدم وصولهم الى درجة امامهم وان امامهم تواضعاً قال لهم هذا الكلام ولهذا لما جعل أبو يوسف له مجلساً مستقلاً ارسل الامام له من يسئله عن مسائل ان قال نعم اخطأ وان قال لا اخطأ فعلم أنّه لا قدرة له على الاستقلال فرجع الى الامام ولازمه حتى مات ولهذا قال كل من اصحاب أبي حنيفة ما قلنا قولا الاّ وهو من قول أبي حنيفة فهم مجتهدون في المذهب لا مجتهدون مطلقا كالامام بل مرجحون لبعض اقواله على بعض ولهذا يقال لمن يأخذ باقوالهم حنفي لا يوسفي ولا محمّدي ولا زفري والمذاهب رضي الله عنهم ما اوجبوا على الناس تقليدهم ولكن الله تعالى هو الموجب لتقليد اهل الاجتهاد والاستنباط عموماً لكن لما نظر الناس من علماء وقتهم وبعدهم الى يومنا هذا ما وجدوا احداً احق بالاتباع فاختاروهم على غيرهم ولعدم تدوين مذاهب الصحابة والتابعين غير هذه المذاهب الاربعة وايضاً رأوا هؤلاء في العلم والحفظ والاتقان والزهد والورع والتقوى والشفقة على الخلق على جانب عظيم ومن التواضع للخلق والتودد لهم بالخير على حظ جسيم لا جرم اختارهم اهل السّنّة وما بغوا بهم بديلا فالذى يدعي الاجتهاد بعدهم بلا شكّ أنّه صاحب نفسانية وتكبر وازدراء بالخلق يريد التميز والصيت

ولولا ذلك لوسعه ما وسع العلماء الفضلاء اهل العصر المتقدم الذين هم اذن المذهب لهم بما توجه لهم من الدليل وما خرجوا عن امامهم ومذهبهم وتقليده وما ادعوا أنّهم مجتهدون فهذه العبارة التى قالها الامام لاصحابه من ادل الادلة أنّه ليس لغيرهم ادعاء ذلك خصوصاً اهل العصر المتأخر في مثالة القرون وذبالة الاراء وذهاب اكثر قواعد الدّين والله الهادى والمعين (قال الامام الشعراني) ان الله لما منّ عليّ بالاطلاع على عين الشريعة رأيت المذاهب كلها متصلة بها ورأيت جميع المذاهب التى درست ورأيت اطول الائمة جدولا الامام ابا حنيفة ويليه الامام مالك ويليه الامام الشّافعي ويليه الامام أحمد بن حنبل واقصرهم جدولا الامام داود يعني الظاهري[١] وقد انقرض في القرن الخامس فاولت ذلك بطول زمن العمل بمذاهبهم وقصره فكما كان مذهب أبي حنيفة اول المذاهب المدونة فكذلك يكون آخرها انقراضا وبذلك قال اهل الكشف (وايضاً) قال في الميزان أنّه رأى بكشفه مراتب المذاهب الاربعة في الجنّة حول مقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مرتبين على مراتب ازمانهم فابو حنيفة اقرب الى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومالك بعده والشّافعي بعد الامام مالك وأحمد بعد الشّافعي رضي الله عنهم فهذا يدل على أنّه لوكان المجتهد المطلق له وجود في غيرهم لرآه من طريق الكشف كما رأى الائمة الأربعة فلهذا اتفق اهل الظاهر والباطن من جميع الامة على ان لا مجتهد سواهم قال صاحب الدّر وقد اتبعه يعني ابا حنيفة كثير من الأولياء الكرام ممن اتصف بثبات المجاهدة وركض في ميدان المشاهدة كإبراهيم بن ادهم[٢] وشقيق البلخي ومعروف الكرخي وابي يزيد البسطامي[٣] وداود الطائي[٤] وأبي حامد اللفاف وخلف بن ايوب وعبد الله ابن

---

(١) داود الظاهري الاصفهاني توفي سنة ٢٧٠ هـ. [٨٨٣ م.] في بغداد

(٢) إبراهيم بن ادهم الچشتي توفي سنة ١٦٢ هـ. [٧٧٩ م.] في الشام

(٣) بايزيد البسطامي طيفور توفي سنة ٢٦١ هـ. [٨٧٥ م.] في بسطام

(٤) داود الطائي الخراساني الحنفي نوفي سنة ١٦٥ هـ. [٧٨١ م.]

المبارك ووكيع بن الجراح وأبي بكر الوّراق وغيرهم ممن لا يحصى لبعده ان يستقصى فلو وجدوا فيه شيئاً او شبهة ما اتبعوه ولا اقتدوا به ولا وافقوه وهؤلاء كلهم من أجلاء السلف الصّالح الكائنين في خير القرون فلولا علمهم ان الاجتهاد منقطع لأدعوه هم إذ هم لزهدهم وورعهم وكثرة علمهم الظاهر والباطن والهامهم الرّبّاني اقرب الى الاجتهاد من غيرهم ممن بعدهم فضلاً عن المتأخرين في زمان الفساد من اهل العناد الذي غاض فيه العلم وفاض فيه الجهل فو الله لو اشتغلوا بتصحيح اسلامهم وإيمانهم لكان اولى بهم من هذه الدعوى ثم هذا في حق اتباع أبي حنيفة من هؤلاء الأولياء وكذلك مثلهم وامثالهم ممن تبع الامام مالك والشّافعي وأحمد واجل من تبع الامام أحمد سيدنا ومولانا الشّيخ عبد القادر الجيلي الذي كان مفتي الفرق والمذاهب وبهدايته وارشاده نوّر الدّنيا من شرقها الى غربها فهو تبع لمذهب الامام أحمد وما ادعى الاجتهاد المطلق وما اخرج نفسه عن التقليد فمن يكون غيره وهذا فيه مقنع لمن هداه الله تعالى والذي يظهر لبادى الرأى ان هؤلاء المدعين الاجتهاد في مثل هذا الزمان اصل بدعة في الدّين وفي اقوال المذاهب المؤسسة على الكتاب والسّنّة والاجماع ما يرد عليهم فصاروا يخرجون رقابهم عن ربقة التقليد حتى يقولوا ما يوافق بدعتهم فادعوا مثل هذه الدعوى لأن المذاهب مصرحة بخلاف بدعتهم التى هى تكفير الناس والفض والبغض لحضرات الانبياء والرسل والأولياء والشهداء من عباد الله المقربين ولقد رأيت رجلاً من الاغوان عام سبع واربعين بعد المائتين والالف عند قبر سيدنا حمزة ونحن قافلون من المدينة المنورة سائرون في الطريق فتعارف معى فقلت له ما مذهبك فقال انا حنفي ثم سرنا حتى اتينا بعض قرى نجد فدخلت مسجدا لهذه القرية فرأيت زبل الحميرى قد نسفه الريح في اوائل المسجد وكنت متوضئا جديداً ورجلى متبللة فصرت اجعل عبائتى تحت رجلى واسحبها لأتوق زبل الحمير بسبب رطوبة رجلى من ماء الوضوء وكان ذلك الاغواني في المسجد فقال لم تفعل هذا قلت لنجاسة زبل الحمير فقال لا يجوز قلت لم قال زبل الحمير الكثير لا

يضر قلت سبحان الله هذا عند كل مذهب نجس وانت زعمت انك حنفي فقال ما انا بحنفي ولا متبع لمذهب من المذاهب بل هم عندي من الفرق الضالة فقلت لمن انت متبع قال انا اتبع الكتاب والسّنّة قلت له والمذاهب من منهم غير متبع الكتاب والسّنّة وهل في الكتاب والسّنّة ان زبل الحمير طاهر فأتنا به فالجم ثم قلت ان بنى آدم اشرف الموجودات وزبله نجس فكيف لا يكون زبل الحمار نجساً ثم انك الآن فاسق لكذبك في قولك انك حنفي ثم الآن تتبرأ من المذاهب وتجعلهم من الفرق الضالة وهذا سبّ وافتراء عليهم وهذا كفر في حق سائر العلماء فضلا عن المذاهب الذين هم هداة الخلق الى الحق من وقتهم الى يومنا هذا فانت الضّال لكن انا من اقل المقلدين اسئلك يا مدعي الاجتهاد كم فروض الوضوء قال اربعة وقرأ آية الوضوء قلت لم لم تجعل النية فرضاً وقد قال صلّى الله عليه وسلّم في حديث الصّحيحين المتّفق عليه (**انما الاعمال بالنيات**) وظاهره الحصر (وايضاً) توسط الممسوح بين المغسولات فلا بد ان يكون لرعاية التّرتيب كما قال به غير الحنفية من المذاهب أنّه من فروض الوضؤ فسكت وبهت الذي كفر ثم بعد ايام جن هذا الاغوانى وحدد بالحديد ثم ذهب الى المركب في البحر فرمى نفسه وغرق وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فقلت هذه كرامة المذاهب وشكرت الله ان هذا الاغواني ما اغواني ومن اعجب ما رأيت من جنس هؤلاء اني رأيت رجلاً يمانيا يطوف بالكعبة الشّريفة وهو يخل بواجب الطواف فنهيته فلم ينته فقلت له ما مذهبك فقال لي الكتاب والسّنّة فقلت له انت تقرأ القرآن قال لا فقلت إذا لم تقرأ القرآن كيف يكون مذهبك الكتاب والسّنّة وإذا كنت بالكتاب جاهلا فانت بالسنّة اجهل فتركته ومضيت فهذا حال هؤلاء ومن هنا يعلم ان هؤلاء لو تخلوا عن كتب المذاهب واتباعهم من اين يأتون باصول وفروع الاّ من كتب مذاهب الأئمة الاربعة واتباعهم في جميع الاحكام الشّرعية فتراهم يستفيدون من كتب العلماء وينكرون فضلها وفائدها ويدعون بدعوى لا طائل تحتها سوى الوقاصة وقلت المروة وكفران

النعمة اللّهمّ سلّمنا وسلّم ديننا وقد قلت شعرا:

حسبي انتسابي للمذاهب كلها * اعني الائمة اربعا بهم اهتدي

اضحوا ائمتنا وعمدة ديننا * قد ضل من بعلومهم لا يقتدي

واعلم ان الامام أحمد بن حنبل هو آخر المذاهب اجتهاداً وزمانا قال السّيوطي وغيره من المؤرخين كان يحفظ الف الف حديث وثمانمائة الف حديث ثم جاء بعده البخاري فقال احفظ سبعمائة الف حديث ثم لا زالت تتناقص الأحاديث حتى وصلت في ايام السّيوطي الى مائتي الف حديث وذكر أنّه حفظها قال ولو وجدت اكثر من ذلك لحفظته والآن في جميع اقطار الدّنيا لا يوجد من يحفظ الف حديث باسانيدها بل وخمسمائة حديث باسانيدها فإذا كان كذلك وكان الامام أحمد مع تأخره يحفظ هكذا فما بالك بالمتقدم من المذاهب حتى تعلم ان هؤلاء اقطاب مؤيدون من الله تعالى بالقوة الخارقة للعادة وان هذا الزمان لقلة حفظ الحديث واطلاع اهل العلم عليه لا يمكن يتأتى لهم الاجتهاد الذي مادته العظمى من الحديث إذ هو المبين لكتاب الله قال تعالى (**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ اِلَيْهِمْ** * النحل: ٤٤) فهذا الوجه من الاسباب المانعة لدعوى هؤلاء والفاطم لهم عن الوصول الى هذه الرتبة الاّ بطريق الادعاء الذي هو الافتراء وبما قررناه تبين افتراء الزيدي الرافضي الصنعاني حيث قال في قصيدة له شيطانية:

واقبح من كل ابتداع سمعته * وإن كان للقلب الموفق للرشد

مذاهب من رام الخلاف لبعضها * يعض بانياب الاساود والاسد

يصب عليه سوط ذم وغيبة * ويجفوه من قدكان يهواه عن عمد

ويعزى اليه كل ما لا يقوله * لتنقيصه عند التهامى والنجد

فاجابه في وقته علماء اجلاء نظماً ونثرا منها نظم السيد ياسين البصري الطباطبي العلامة فقال:

اقول ان استقبحت يا ذا عماية * مذاهب قد صينت عن اللبس والجحد

تلقت رضاء بالقبول مقالها * جماهر اهل العلم لم تحص بالعد
فلا عزو يدرى الفضل من كان اهله * قد تكره الجعلان اريحة الورد
ومن شذ عن تلك المذاهب خارقا * لاجماع اهل العلم في الحل والعقد
فذاك عن النهج القويم مضلل * ومن قال منكور يقابل بالرد

(ثم قال الزيدى الرافضي المبتدع)

فمن قلد النعمان اصبح شارباً * نبيذاً وفيه القول للبعض بالحد

(فاجاب السيد ياسين)

اقول اختلاف للمذاهب رحمة * نقلد من شئنا فكل على رشد
بذاك اتى نص الحديث مبيناً * فلا في اختلاف للمذاهب من نقد

(ثم قال الصنعاني الرافضي)

فمهتدياً كن في الهدى لا مقلداً * وخل اخا التقليد في الاسر والقيد
علام جعلتم ايها الناس ديننا * لاربعة لا شكّ في فضلهم عندى
هم علماء الدّين شرقاً ومغرباً * ونور عيون الفضل والحق والمجد
ولكنهم كالناس ليس كلامهم * دليلا ولا تقليدهم في غد مجدى

(فاجاب السيد المذكور)

اقول عن التقليد من كان ناهياً * وهل كل شخص يستطيع على الجد
اما كالنجوم الصحب قال نبينا * بايهم من يقتدى كان مستهدى
ومن ذا مقام الاجتهاد يناله * وكيف ومنه الباب اغلق بالسد
ومن دونه خرط القتاد ودونه * تقطع اعناق ومأسدة الاسد
وتخصيصهم بالاتباع مذاهباً * لاربعة إذ لا ابتداع بما تبدى
فماخالفوا نص الكتاب وسنة * ولا احدثوا في الدّين مستوجب الرد
وليس هم كالناس هل يستوى الذي * يكون على علم ومن كان ذا فقد
فتب نادماً وارجع الى الله واهتد * وخل الهوى واتبع سبيل ذوى الرشد

ولكن من يهد الاله فما له * مضل ومن يضلل فلا احد يهدى

(اقول) هذا الزيدي الرافضي تبع اخوانه الرافضة فإنهم يدعون الاجتهاد ويلزم من ذلك ان تكون مذاهبهم الوفاً في الوف لأن كل جاهل من هؤلاء المدعين ينظم الى العوام ويجعلون له دراهم كثيرة ونحو خمس الخمس فيجعل نفسه مجتهداً ينفي قول من تقدم ويموت اجتهاده بموته فكل احد يظهر شيئاً ما اظهره الآخر وليس لهم بالكتاب والسنة علم ورجال حديثهم زنادقة وكذبة وفسقة بشهادة اهل البيت على ما ذكروا في كتبهم فيرضون بالألوف يفترقون في امر الدّين ولا يرضون بأربعة لم يخرجوا عن الكتاب والسّنّة مقدار شعرة مع ان اصل المسئلة في اختلاف المذاهب الصادقين لا المبتدعين المارقين مأخوذ من الكتاب والسّنّة اما الكتاب فقوله تعالى (**وَدَاوُدَ وسُلَيْمَنَ إذ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إذ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنَ وكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا** * الانبياء: ٧٨-٧٩) فاثنى الله على داود وسليمان وان الله اتاهما حكماً وعلماً مع ان الصواب كان في جانب سليمان وان داود عليه السّلام كان مجتهداً بخلافه وما ذمه الله بل مدحه بالحكم والعلم فدل على ان اختلاف المجتهدين كذلك لقوله صلّى الله عليه وسلّم كما في حديث الصّحيحين (**اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر واحد**) والحديث الصّحيح الذي مرّ في الصحابة واختلاف التابعين والمذاهب ناشئ عن اختلافهم بل الاختلاف من تنويع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الاحكام بالاختلاف لانه حكيم القلوب والأبدان والشّرع فخاطب كل شخص او جماعة بما يليق بحالهم فأصل الاختلاف من ذلك فكان منه ومن اصحابه ومن بعدهم في الفروع رحمةً لقوله تعالى (**وَيَضَعُ عَنْهُمْ اِصْرَهُمْ وَالاَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ** * الاعراف: ١٥٧) واخرج ابن سعد والبيهقي عن أبي بكر رضي الله عنه وكرم وجهه أنّه قال كان اختلاف اصحاب محمد رحمة للناس واخرج ابن سعد عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنّه قال ما يسرني ان اصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يختلفون وفي

رواية ما يسرني باختلاف اصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم حمر النعم لأنّهم لو لم يختلفوا لم يكن رخصة ولما اراد هارون الرشيد ان يعلق موطأ مالك في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه قال له مالك لا تفعل يا امير المؤمنين فإن اصحاب رسول الله اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان وان اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على هذه الامة وكل يتبع ما صح عنده وكل مصيب وكل على هدى فقال له هارون وفقك الله يا ابا عبد الله ووقع له مثل ذلك مع المنصور جد هارون ايضاً لما اراد ان يرسل الى كل مصر نسخة من كتب مالك ويأمرهم ان يعملوا بما فيها ولا يتعدوا الى غيره فقال له لا تفعل هذا فإن الناس قد سبقت اليهم اقاويل وسمعوا أحاديثاً ورووا روايات واخذ كل قوم بما سبق اليهم ودانوا به من اختلاف الناس فدع الناس وما اختاروا من كل بلد منهم لانفسهم وبما تقرر يظهر اتجاه القول بأن كل مجتهد مصيب وان حكم الله في كل واقعة تابع لظن المجتهد وقد قال صاحب جمع الجوامع والمتكلمون عليه ونعتقد ان ابا حنيفة ومالك والشّافعي وأحمد وسائر ائمة المسلمين على هدى من الله ولا التفات الى من تكلم فيهم بما هم بريئون منه فقد كانوا من العلوم اللّدنيّة والمواهب الالهية والاستنباطات الدقيقة والمعارف الغزيرة والدّين والورع والعبادة والزهادة والجلالة بالمحل الذي لا يسامى (انتهى) ورأى بعض الأئمة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وسأله عن اختلاف المجتهدين فقال (**كل في اجتهاده مصيب**) فذكر له الرائي قول أبي حنيفة المجتهدان مصيبان والحق في واحد وقول الشّافعي المجتهدان مصيب ومخطئ معفو عنه فقال صلّى الله عليه وسلّم (**هما قريبان في المعنى وان كانا مختلفين في اللفظ**) فقلت ايهما اولى بالاخذ من الفريقين فقال صلّى الله عليه وسلّم (**كلاهما على الحق**) ومنها عليك ان تعلم وتعتقد ان اختلاف ائمة المسلمين من اهل السّنّة والجماعة في الفروع نعمة كبيرة ورحمة واسعة وفضيلة واضحة وله سر لطيف ادركه العلماء العاملون وعمي عنه الجاهلون حتى قال بعضهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم جاء بشرع واحد فمن اين مذاهب اربعة ووجه ذلك ان

الله تعالى خص هذه الشريعة برفعه عن اهلها الاصار والاثقال التى كانت على الامم قبلها وقد تقرر ان شرائع الانبياء شرائع له زيادة في تعظيمه فالشرائع التى استنبطها اصحابه وتابعوهم باحسان من اقواله وافعاله على تنوعها شرائع متعددة له من باب اولى خصوصاً وقد اخبر بوقوعها ووعد بالهداية على آخذيها ورضى بها ومدحنا عليها وجعل ذلك رحمةً ومنةً اي منةً كما مر بيان ذلك (انتهى) كلام السّيوطي ملخصاً من جزيل المواهب في اختلاف المذاهب وتبعه ابن حجر في الخيرات الحسان وقال ابن حمدان الحنبلي في آداب المفتي والمستفتي بعد ذكر كثير من تحاشي السلف عن الفتيا وهو من اهل الستمائة بعد الهجرة (قلت) فكيف لو رأى زماننا واقدام من لا علم عنده على الفتيا مع قلة خبرته وسوء سيرته وشؤم سريرته وانما قصده السمعة والرياء والتعلّى على الناس ومماثلة الفضلاء والنبلاء المشهورين الكاملين والعلماء الراسخين المتبحرين من السّابقين ومع هذا فهم ينهون فلا ينتهون قد احلى لهم الشيطان بانعكاف الجهال عليهم وتركوا ما لهم في ذلك وعليهم فمن اقدم على ما ليس له اهل من فتيا او قضاء او تدريس اثم فإن اكثر واستمر واصر فسق ولم يحل قبول قوله ولا فتياه ولا قضاه هذا حكم دين الاسلام ولا اعتبار بمخالف هذا الصواب فإنّا لله وانا اليه راجعون وقد قال ابن أبي داود وغيره ان الشّافعي شرط في المفتي والقاضي شروطا لا توجد الاّ في الانبياء (انتهى) فإذا كان هذا في المفتي فما بالك بالمجتهد ومن يدعى الاجتهاد فهو آثم وفاسق ولهذا اجمع اهل السّنّة على تقليد المذاهب الاربع لعدم من يقوم بأدنى أدنى منصبهم وتبين ان قول القائل الشريعة واحدة فكيف تكون لاربع أنّه من اجهل الجاهلين لعدم معرفته بما ذكرنا والله خير الحاكمين (واما قولهم) ان الذي ينذر او يذبح باسم الله صدقة للانبياء والأولياء فهو لا يجوز او كفر او شرك فهذا كلام فصله علماء اهل السّنّة من ائمة المذاهب وحيث ان هؤلاء خارجون عن المذاهب فنستدل على ردّهم كما يقولون من الكتاب والسّنّة ثم نذكر اقوال المذاهب في هذه المسئلة قال الله تعالى (**وَمَا اَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ اَوْ نَذَرْتُمْ**

مِنْ نَذْرٍ فإن اللهَ يَعْلَمُهُ * البقرة: ٢٧٠) وقال تعالى (**وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ** * الحج: ٢٩) وقال تعالى (**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ويَخَافُونَ يوماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * ويُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا ويَتِيمًا واَسِيرًا** * الانسان: ٨-٧) فذكر في هذه الآيات الشّريفات ان النذر هو يعلمه ومدح فاعله وجعل النذر من جنس النفقة وفي الحديث الصّحيح ان رجلاً او أمراة نذر ان يذبح ابلا بيوانا مكانا خارج مكّة فسئل هل به وثن من اوثان الجاهليه فقال السائل لا قال اوف بنذرك مع ان الله حاضر في كل مكان وعالم بالنيات فتعين اماكن الصّالحين للتصدق على من بجواره ليصل ثوابه لذلك الصّالح فهو مما عين المكان فيه وان تعيينه لازم لا ضرر فيه في دين الاسلام واما الذبح فهو تبع للنذر لأن من نذر حيوانا لا بد من ذبحه واما قول الخوارج ان النذر لغير الله لا يجوز والذبح لغير الله لا يجوز (فنقول) أولا يحتاج هذا الكلام الى دليل من الكتاب والسّنّة ولن يستطيعوا له حصولا في النذز ولا بد ان يأتوا بكلام الفقهاء وهم لا يرضون بالتقليد بل يدعون الاخذ بالكتاب والسّنّة واما قوله تعالى (**وَمَآ اُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ**) فهو عمدة استدلالهم فيقال ما معنى قوله تعالى (**وَمَآ اُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ**) فسيقولون على مقتضى عقلهم ما ذبح لغير الله فنقول لهم بهذا التفسير يلزم تكفيرهم وتكفير جميع المسلمين إذ في كل يوم يذبح الجزّارون في بلاد الاسلام اكثر من مائة مليون وهذا الذبح ليس لله بل لكسب الدّنيا وللآكلين فيصدق أنّه ذيح لغير الله وكذلك ما يذبح الناس لأمواتهم فإنه يصدق عليه أنّه ذبح لغير الله فإن قالوا مسئلة الذبح للاموات مقصودنا ومقصود الناس الذبح لله والصدقة للاموات قلنا وكذلك الذبح للانبياء والأولياء ومن اطلعكم على نية الذابح والله تعالى هو العالم بالنيات لا غيره الاّ من تعليمه تعالى ثم تعلّم هؤلاء الخوارج ان معنى قوله تعالى (**وَمَآ اُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ**) الاهلال هو رفع الصوت وكان عباد الاصنام يقولون عند الذبح يرفع الصوت باسم اللات باسم العزّى عوضا عن قول المسلم بسم الله فقال تعالى (**وَمَآ اُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ به**) فمن قال من المسلمين باسم الشّيخ عبد القادر مثلا عوضا عن بسم الله فهو إن كان

يعلم ذلك فحرام وإن كان لا يعلمه يجب على العلماء ان يعلّموه ولا يكفر مطلقا كما هو رأى الخوارج هذا من حيث الاجمال واما من حيث الاستدلال من اقوال علمائنا اتباع المذاهب (فنقول) قال في البحر والنهر ونقله صاحب الدّر عن الشّيخ قاسم بن قطلوبغا[١] من حيث النذر واعلم ان النذر الواقع للاموات من اكثر العوام وما يؤخذ من الزّيت والشمع والدراهم ونحوها الى ضرائح الأولياء تقربا اليهم فهو باطل بالاجماع وحرام ما لم يقصدوا صرفها لفقراء الانام وقول الشّيخ قاسم ان النذر عبادة والعبادة للمخلوق لا يجوز ينافيه قوله صلّى الله عليه وسلّم (**ان النذر لا يأتى بخير انما يستخرج به مال البخيل**) يدل على كراهته والمكروه لا يكون عبادة ولاشكّ ان قصد العوام بالذبائح وغيرها بنذرها وذبحها صرفها للفقراء المنسوبين الى ذلك الوليّ او لعموم الفقراء في كل مكان وعند الحنفية لا يتعين المكان في النذر ولو نذر مثلا للشيخ فلان جاز ذبحه او تفرقته في غير مكان الشّيخ لانه يصله الثواب حيث ما كان مع ان هذه العبارة منسوبة للشيخ قاسم وهو من تلاميذ ابن الهمام من اهل التسعمائة ولم تنقل هذه المسئلة الاّ عنه لا عن المتقدمين من المذاهب واصحابهم والشّيخ قاسم هذا كان يعتقد اعتقاد ابن تيمية وهو مبتكر لهذه الاشياء المضللة للناس وردّ عليه جماهير اكابر المذاهب في وقته وبعده من خصوص هذه المسائل التي ابتدعها ولئن سلم كلام الشّيخ قاسم فما عليه غبار لدى العلماء لانه قال لا يجوز الا إذا قصدوا صرفها لفقراء الانام وهذا هو المقصود يقيناً لكن استدلال الخوارج بقول علمائنا ما ذا ينفعهم لأنّهم لا يرضون باقوال المذاهب واتباعهم من غير دليل من الكتاب والسّنّة واي كتاب واي سنة إذا طالبناهم بها يأتون بهما وليس لهم الا ما ذكرنا سابقا وهو يدخل الاحتمال فيبطل به الاستدلال وذكر في الدّر في مسئلة الذبح ان (**مَآ اُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ**) هو ان يذبح الذبيحة ويتركها ولا يعطيها للفقراء واما ما ذبح للاكل فليس بداخل فيما اهل به لغير الله كالذبح للضيف فإنّه سنة الخليل ابراهيم

(١) قاسم بن قطلوبغا الحنفي المصري توفي سنة ٨٧٩ هـ. [١٤٧٤ م.]

عليه السّلام ولو كان مما اهل لغير الله لدخل ما ذبح للضيف مثلا ومسئلة الذبح للأولياء المقصود منه نفع الفقراء وحصول الثواب من الله للأولياء فهو احسن من الذبح للضيف إذ الضيف غالباً يكون من الاغنياء الغير المستحقين كما هو معلوم نعم ذكروا الذبح للامير او السلطان او لقدوم غائب يذبحه ويتركه بلا فائدة فيشبه ما ذبحه الكفّار لاصنامهم فقالوا هو حرام واما عند الأئمة الشافعية (فسئل) العلامة ابن حجر المكي في فتاواه عن النذر للأولياء هل يصح ويجب تسليم المنذور اليهم ان كانوا أحياء او لأي فقير ومسكين كان وإن كان الوليّ ميتاً فهل يصرف لمن من ذريته واقاربه او لمن ينهج منهجه او يجلس في حلقته او لفقيره او كيف الحال وما حكم النذر لتجصيص القبر او حائطه فهل يصح او لا (فاجاب) بقو له النذر للولى الحي صحيح ويجب صرفه اليه ولا يجوز صرف شيئ لغيره واما النذر للولى الميّت فإن قصد الناذر تمليك الميّت بطل نذره وان قصد قربة اخرى كاولاده وخلفائه او اطعام الفقراء الذين عند قبره او غير ذلك من القرب المتعلقة بذلك الوليّ صح النذر ووجب صرفه فيما قصد الناذر وان لم يقصد شيئاً لم يصح الا ان طردت عادة الناس في زمن الناذر بالهم ينذرون للميت ويريدون جهة مخصوصة مما ذكرناه وعلم الناذر بتلك العادة المطردة المستقرة فالظاهر تنزيل نذره عليه اخذاً مما ذكروه في الوقف من ان العادة المستقرة المرادة في زمن الواقف تنزل منزلة شرطه (واما النذر للتجصيص) المذكور باطل نعم يؤخذ من كلام الاذرعي[1] والزركشى وغيرهما أنّه يصح لقبور الانبياء والأولياء والعلماء وكذا لو كان الميّت بمكان لا يؤمن عليه من سبع او سرقة كفن او اخراج نحو مبتدعة اوكفّار له الاّ بالتجصيص فحينئذٍ يجوز بل يندب ويصح نذره لما فيه من المصلحة كما تصح الوصية بذلك (انتهى) وللشيخ ابن حجر فتيا مطولة وهذا القدر كاف وكذا للرملي في فتاواه واصل ذلك من كلام الرافعي في النذر للقبر بجرجان كما قدره ابن حجر في التحفة والفتاوى وهذا اتفاق للشافعية في

---

(1) الاذرعي أحمد الشّافعي توفي سنة ٧٨٣ هـ. [١٣٨١ م.]

هذه المسئلة (واما المالكية) فنقل صاحب شرح مختصر خليل العمروى كما ذكر الشافعية فلنذكر عبارته بنصها وان قيد يعني الهدى بغير مكّة بلفظ او نية كقبر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم او قبر ولي فإن كان مما يهدى وعبر عنه بلفظ بعير او جزور او خروف نحره او ذبحه بموضعه وفرق لحمه للفقراه وان شاء ابقاء واخرج مثل ما فيه من اللحم واما إن كان مما لا يهدى كثوب او دراهم او طعام فإن قصد بذلك للملازمين للقبر الشّريف او لقبر الوليّ ولو اغنياء ارسله لهم وان قصد نفس النّبيّ او الشيخ أي الثواب تصدق به بموضعه وإن لم يكن له قصد او مات قبل علم قصده فينظر لعادتهم كذا استنبطها ابن عرفة والبرذالى (انتهى) واما اقوال الحنابلة فنقل الشّيخ منصور البهوتي في حاشية الاقناع ونقل ابن مفلح في الفروع عن شيخه ابن تيمية ان النذر لغير الله كنذره لشيخ معين للاستغاثة وقضاء حاجة منه كحلفه بغيره وقال غيره نذر معصية (انتهى) كلام ابن مفلح[١] في الفروع فدل على ان النذر للمشايخ للاستغاثة بهم وقضاء الحاجة يكره عند ابن تيمية كراهة تتريه والدليل عليه قوله وقال غيره نذر معصية يعني بعض الحنابلة غير الشّيخ ابن تيميّة ونقل في حاشية الاقناع عن ابن تيميّة من نذر قنديلا للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم صرف لجيران النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم انتهى (واما مسئلة الذبح للانبياء والاولياء) بمعنى ان الثواب لهم والمذبوح منذور لوجه الله تعالى (وما ورد) من قوله صلّى الله عليه وسلّم (**لعن الله من ذبح لغير الله**) قال ابن القيّم في كتاب الكبائر والذّهبي[٢] في الكبائر وابن حجر في الزواجر معنى الذبح لغير الله مثل ان يقول باسم سيدى الشّيخ فلان وكما تقدم ان يقول الكافر عند الذبح باسم الصنم عوضاً عن بسم الله قال النووي في الروضة فإن ذبح للكعبة او للرسل تعظيما لكونها بيت الله ولكونهم رسل الله جاز قال والى هذا يرجع قول القائل اهديت للحرم او للكعبة واعلم تحرم الذبيحة تقربا الى

---

(١) ابن مفلح محمّد الحنبلي توفي سنة ٧٦٣ هـ. [١٣٦٢ م.]

(٢) محمد شمس الدّين الذّهبي الحنبلي توفي سنة ٧٤٨ هـ. [١٣٤٧ م.] في مصر

السلطان او غيره عند لقائه لما مر فإن قصد الاستبشار بقدومه فلا بأس او ليرضى غضباناً جاز كالذبح لولادة المولود لا ليتقرب به الى الغضبان في صورته بخلاف الذبح للصنم فإن ذبح للجن حرم الا ان قصد بما ذبحه القربة الى الله تعالى ليكف شرّهم فلا يحرم انتهى ثم قال والى هذا يرجع قول القائل اهديت للحرم او للكعبة اي في قوله تعالى (**هديا بالغ الكعبة**) واما الذبح تقربا للسطان او غيره كالأمير والرجل الكبير عند لقائهم فتحرم ومع هذا فإن للاستبشار بقدوم مثل هؤلاء او ليرضى غضبانا جاز الذبح كالذبح للولادة فافهم ومسئلة التقرب للسلطان (الطاهر) كما قال الحنفيّة إنّه يذبح ويترك ولا يعطى للفقراء والمستحقين والله الهادى والمعين والحاصل ان العلماء ما تركوا لاحد مقالا بل انما ذكروا كلما يحتاج المكلف في امور دنياه واُخراه ونوعوا النيات والارادات بما يصر في الدّين وينفع ومضى على ذلك ورضي به القرون الكثيرة وتواطئت على الافتاء به العقول الوفيرة فمن اتى ممن لا عقل له ولا دين ويريد ان يفرق بين المسلمين ويضلل العلماء العاملين والكملاء الزاهدين الذين اتعبوا انفسهم واخرجوا الحق من بين فرث الفاسد والباطل فهو الصقيع الضال المخالف للشريعة القويمة والعقول الكاملة السليمة فلا ينبغي لاحد له ادنى عقل ان يتبع هؤلاء نعم للدجال اتباع يرون اقبح ما يأتيهم حسنا واما مسئلة ان المؤذن إذا ذكر شهادة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وضع السامع اظافر اصبعيه الابهامين على عينيه وقال قرت بك عينى يا رسول الله فقد ذكر ذلك بعض العلماء كالديربي في مجرباته وغيره ولم ار فيه حديثا فيما علمت لكن ربما يؤخذ ذلك من قوله صلّى الله عليه وسلّم (**عند ذكر الصّالحين تنزل الرحمة**) وقال الامام أحمد بن حنبل ذكره ابن الجوزي وابن حجر عنه فالظاهر أنّه اي عند ذكر الصّالحين تنزل الرحمة حديث ولهذا ذكره السّيوطي في الجامع الصغير لا شكّ ان نبينا صلّى الله عليه وسلّم سيد الرسل والصّالحين فلا شكّ أنّه عند ذكره تنزل الرحمة والدعاء عند نزول الرحمة مستجاب وقول السامع قرت عينى بك يا رسول الله دعاء بِقُرّة العين وهو السرور والفرح في

الدّنيا والآخرة فهذا جار على قواعد الشريعة المطهرة ولا مانع منه والله اعلم ثم رأيت الطحطاوي من ائمة الحنفية نقل عن القهستاني[١] عن كتر العباد أنّه قال يستحب ان يقول عند سماع الشهادة الثانية قرت عيني بك يا رسول الله اللهم متعني بالسمع والبصر بعد وضع ابهاميه على عينيه فإنّه صلّى الله عليه وسلّم يكون له قائداً الى الجنّة ونقل عن شيخ زاده[٢] في حاشية البيضاوي عن الشّيخ أبي الوفا[٣] قال رأيت في بعض الفتاوى ان ابابكر الصديق رضي الله عنه سمع الاذان فلما بلغ المؤذن الى كلمتي الشهادة بالرسالة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبّل ظفرى ابهاميه من يديه فمسح بهما عينيه فقال صلّى الله عليه وسلّم لم فعلت هذا قال تبركاً باسمك الكريم يا رسول الله فقال صلّى الله عليه وسلّم (**احسنت فمن يعمل به امن من الرمد**) والمحفوظ عندي أنّه يقول اللهم احفظ عيني ونورهما انتهى وذكر الديلمي في الفردوس من حديث أبي بكر الصديق ووضع ابهاميه على عينيه عند قول المؤذن اشهد ان محمّداً رسول الله وقال اشهد ان محمّداً عبده ورسوله رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمّد صلّى الله عليه وسلّم نبياً حلت له شفاعتي انتهى قال وبمثله يعمل في الفضائل انتهى من كلام الطحطاوي في حاشية مراقي الفلاح وعنه صلّى الله عليه وسلّم (**من سمع اسمى في الاذان ووضع ابهاميه على عينيه فانا طالبه في صفوف القيامة وقائده الى الجنّة**) من كتاب كتر العباد وفي القهستاني عن كتر العباد ويستحب ان يقال عند سماع الاولى من الشهادتين صلّى الله وسلّم عليك يا رسول الله وعند الثانية منها قرت عيني بك يا رسول الله ثم يقال اللهم متعني بالسمع والبصر بعد وضع الابهامين على العينين من غير مدّ فإنّه عليه الصّلاة والسّلام يكون قائداً له الى الجنّة انتهى وفي فتاوى الشّيخ محمّد بن سليمان المدني الشّافعي سؤال في ابن عبد الوهاب النجدي فإنّه هو الذي فتح

---

(١) محمّد القهستاني الحنفي توفي سنة ٩٦٢ هـ. [١٥٥٥ م.] في بخارى

(٢) شيخ زاده محمّد الحنفي توفي سنة ٩٥١ هـ. [١٥٤٤ م.] في استنبول

(٣) أبو الوفا الحموي الشّافعي الخلوتي توفي سنة ١٠١٦ هـ. [١٦٠٧ م.] في حماة

لجهال هذا الزمان المتأخر هذا الباب وجعله لخياله وخيالهم لذة تحت اسنانهم يلوكون به السنتهم (**يُرِيدُونَ اَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِاَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ اِلاَّ اَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** * التوبة: ٣٢) والسؤال في آخر الفتاوى صورته (ما تقول السادة العلماء الاعلام مصابيح سنة سيد الانام) إذا كان طالب علم اطال المطالعة في مؤلفات اهل العلم فيحكم في رائيه ان جملة هذه الامة ضلوا واضلوا عن اصل الدّين وطريقة سيد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم وادعى الاجتهاد والاستنباط من كتاب الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم بزعمه وليس فيه من شروط الاجتهاد المعتبرة عند اهل العلم شيئ فهل يسوغ له ذلك والحالة هذه ام يلزمه الرّجوع عن دعواه ومتابعة اهل العلم ومع ذلك نسب نفسه للامامة ويوجب على الامة الأخذ بقوله ولزوم مذهبه ويجبرهم على ذلك ويعتقد كفر من خالفهم ويستحل دمه وماله فهل يكون مخطئا في ذلك ام لا وهل لو فرض اجتماع شروط الاجتهاد في شخص وتمذهب بمذهب مستقل هل يجوز له ان يلزم الناس بالتزامه ام الامر واسع في تقليد اهل العلم وهل زيارة قبر الرجل الصّالح او الصحابي او النذر له او الذبح عنده او الدعاء او التمسح به والأخذ من ترابه ونداء الرسول او الصحابي للاستغاثة به يخرج فاعل ذلك عن الاسلام ويحل دمه مع أنّه يخبر بأنّه لم يقصد عبادة صاحب ذلك القبر و لم يعتقد قدرته على امر توسل به فيه وانما يريد التوسل به الى الله تعالى لعلو رتبته عند ربه وهل الحلف بغير الله يخرجه عن الاسلام ام لا الى آخر السؤال (**الجواب**) لا شبهة ان العلم انما يدرك بالأخذ عن المشايخ فمن كان شيخه الكتاب فخطئه اكثر من صوابه ودعوى الاجتهاد اليوم في غاية من البعد وقد قال الامام الرافعي والنووي وسبقهما الفخر الرازي[١] الناس كالمجمعين اليوم على أنّه لا مجتهد وهذا الامام السّيوطي مع سعة اطلاعه وباعه في العلوم وتفننه فيها بما لم يسبق اليه ادعى الاجتهاد النسبي لا الاستقلال كما قال بنفسه في بعض تأليفه ومع ذلك لم يسلم له وقد نافت مؤلفاته على الخمسمائة

---

(١) محمّد فخر الدّين الرازي الشّافعي توفي سنة ٦٠٦ هـ. [١٢٠٩ م.] في هرات

ودلت على علو كعبه في الكتاب والسّنّة ووسائلهما فدعوى الاجتهاد النسبى لمن لم يقرب من مثل السّيوطي باطلة واذا طرح الرجل المسئول عنه مؤلفات اهل الشّرع فليت شعرى بما ذا يتمسّك فإنه لم يدرك النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولا احداً من الصحابة فإن كان عنده شيئ من العلم فهو من مؤلفات اهل الشّرع وحيث كانت على ضلال فمن اين وقع على الهدى فليبينه لنا فإنّ كتب الايمة الاربعة ومقلديهم جل مأخذها من الكتاب والسّنّة فكيف اخذ هو ما يخالفها وهو كما نقل عنه لم يبلغ رتبة الاجتهاد وحكم مثله اذا رأي حديثا صحيحاً و لم تسمح نفسه بمخالفته ان يفتش من اخذ به من المجتهدين فيقلده كما نبه عليه الامام العمدة المحقق القدوة النووي في الروضة إذ الاستنباط من الكتاب والسّنّة لا يجوز الاّ لمن بلغ رتبة الاجتهاد كما نصوا عليه فيجب على هذا الرجل الرّجوع الى الحق ورفض الدعوى الباطلة واما تكفيره المسلمين فقد صح أنّه صلّى الله عليه وسلّم قال (**إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها احدهما فإذا كان الذي رماه به مسلم فيكون هو الكافر**).

وفي الشرح الكبير للرافعي نقلا عن التحفة إذا قال لمسلم يا كافر بلا تأويل كفر لانه سمى الاسلام كفراً وتبعه على ذلك النووي في الروضة واعتمد ذلك المتأخرون كابن المرفعة والقمولى والفشائي والاسنوي والاذرعي وأبي زرعة بل قضية كلام الاستاذ أبي اسحق الاسفرائيني[١] والحليمي[٢] والشّيخ نصر المقدسي والغزالي وابن دقيق العيد وغيرهم أنّه لا فرق بين ان يؤل او لا (وقول السائل يستحل دمه وماله) صح أنّه صلّى الله عليه وسلّم قال (**امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله**) الحديث فكيف ساغ لهذا الرجل استحلال ما لم يحل له عليه الصلوة والسّلام وهذا الحديث هو مفاد قوله تعالى جل شأنه في محكم كتابه (**فَإِنْ تَابُوا وَاَقَامُوا الصَّلَوةَ وآتَوُا الزَّكَوةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ** * التوبة: ٥) وفي آية اخرى (**فَاِخْوَانُكُمْ**

(١) أبو اسحاق أبراهيم الاسفرائيني الشّافعي توفي سنة ٤١٨ هـ. [١٠٢٧ م.] في نيشابور

(٢) حسين الحليمي الجرجاني الشّافعي توفي سنة ٤٠٣ هـ. [١٠١٢ م.]

فِي الدّينِ * التوبة: ١١) وقال صلّى الله عليه وسلّم نحن (**نحكم بالظاهر والله يتولى السّرائر**) وقال (**ما امرت ان اشق على قلوب الناس ولا سرائرهم**) وقال لإسامة حين قتل من قال لا اله الا الله (**هلا شققت عن قلبه**) ولا يجوز لمجتهد ان يحمل الناس على مذهبه نعم إن كان قاضيا ورفعت اليه حادثة فإنّه انما يحكم فيها بما يظهر له من الادلة (والنذر للاولياء) فيه تفصيل عند ائمتنا الشافعية قال في الهبة من التحفة لو نذر لولى ميت بمال فإن قصد أنّه يملكه لغى وان اطلق فإن كان على قبره ما يحتاج للصرف في مصالحه من مدارس العلم والفقراء ونحوها صرف لها والاّ فإن كان عنده قوم اعتيد قصدهم بالنذر للولى صرف لهم وفي النذر منها يصح نذر التصدق على ميت او قبره ان لم يرد تمليكه واطرد العرف بأن ماحصل له يقسم على نحو فقراء هناك فإن لم يكن عرف بطل الى آخر ما اطال به ونقل عن السملاوي عن الرملى مثله ومن المعلوم ان الناذرين للمشائخ والأولياء بشئ لا يقصدون تمليكهم لعلمهم بوفاتهم وانما يتصدقون به عنهم او يعطونه لخدامهم وحينئذٍ هو قربة لأن النذر لا ينعقد عند الشافعية في المباحات ولا في المكروهات والمحرمات وانما ينعقد في القرب والمسنونات التى ليست بواجبة واما التمسح بالقبور والتبرك بها فاختلف ائمتنا في ذلك فمنهم من اباح ذلك ومنهم من منع عنه لكنه قال بالكراهة لا بل الحرمة ثم ذكر الادلة من الأحاديث وآثار السلف على تقبيل الاماكن الشريفة واطال ثم قال واما التوسل بالانبياء والصّالحين فهو امر محبوب ثابت في الأحاديث الصّحيحة وغيرها وقد اطبقوا على طلبه واستدلوا بامور يطول شرحها وقد ذكرت جملة منها في غير هذا الموضع فلا حاجة الى اعادته هنا بل ثبت في الأحاديث الصّحيحة التوسل بالاعمال الصّالحة وهى اعراض فبالذوات اولى.

(واما الحلف بغير الله تعالى) لا يكون كفرا الا ان قصد الحالف تعظيم ذلك الغير كتعظيم الله وعليه حملوا حديث الحاكم (**من حلف بغير الله فقد كفر**) وفي رواية (**فقد اشرك**) لكن الذي نقله النووي عن اكثر العلماء الكراهة ثم قال واجماع المسلمين حجّة

قال تعالى (**وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ونُصْلِهِ جَهَنَّمَ وسآءَتْ مَصِيرًا** * النساء: ١١٥) فعليك بالجماعة فانما يأكل الذئب الشاة القاصية من الغنم ومن شذ فهو في النار وهذا ملخص ما ذكره هذا العالم الفاضل وفيه مقنع لمن اراد الله هداية وهو من اهل الالف ومائة وخمس وتسعين وظهور ابن عبد الوهاب كان في هذه الازمنة فقد جهّله ورد قوله ودعواه الاجتهاد قال وأنّه ممن لم يأخذ العلم عن المشايخ وهو من الخوارج المارقين من الدّين لتكفيره المسلمين ورأيت رسالة للشيخ عبد العظيم المكي الحنفي[١] سمّاها (**القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد**) ذكر فيها قول ابن حزم الظاهري[٢] وأنّه يأمر بالاجتهاد ويحرم التقليد ويستدل بقوله تعالى (**فإن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ اِلَىَ اللهِ وَالرَّسُولِ اِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ اْلآخِرِ** * النساء: ٥٩) وقد قال اعني الشّيخ عبد العظيم المكي الحنفي في رسالته ونحن مع ذلك بحمد الله لا نخرج عن درجة التقليد لامامنا الاعظم الاكبر أبي حنيفة المقدم ونحن مقلدون له وكبار اصحابه ومن بعدهم من كبار ائمتنا كشمس الأئمة واضرابه وما يبحثه المتأخرن من اهل القرن التاسع والعاشر من فضلاء المذهب (**واقول**) ابن حزم هذا من اهل مذهب داود الظاهري الذي اندرس هو واهله وهذا اعنى ابن حزم كما قال ابن الاهدل والذّهبى وابن خلكان كان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد احد يسلم من لسانه فنفرت عنه القلوب واستملك من فقهاء وقته فمالوا على بغضه وردوا اقواله واجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو اليه والاخذ عنه واقصته الملوك وشردته عن بلاده وقال ابن العريف[٣] كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين انتهى ما اورده في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي[٤] ناقلا عن ابن خلكان (اقول) ورأيت له اقوالا خبيثة ترد على السّنّة الثابتة الصّحيحة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

---

(١) محمّد بن عبد العظيم الهندي المكي الحنفي توفي سنة ١٠٥١ هـ. [١٦٤١ م.]

(٢) ابن حزم علي الفلسفي الاندلسي توفي سنة ٤٥٦ هـ. [١٠٦٤ م.]

(٣) أحمد ابن العريف الاندلسي توفي سنة ٥٣٦ هـ. [١١٤١ م.] في مراكش

(٤) ابن العماد عبد الرّحمن الحنبلي مفتي الشام توفي سنة ١٠٥١ هـ. [١٦٤١ م.]

ومعنى قول ابن العريف كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين ان الحجاج قتل بسيفه ظلما تعديا مائة الف وعشرين الف مؤمن مظلوم بلا سبب وكذلك لسان ابن حزم هكذا يفعل باهل القرن الذي قبله المشهود له بالخيرية لانه من اهل الاربعمائة وستين سنة فالمتقدمون بالنسبة اليه هم اهل الثلاث مائة وستين من اهل قرب خير القرون كما لا يخفى على ان العلماء عندهم لا يعتد بخلاف اهل الظاهري مطلقا فضلا عن هذا المضلل هذا ما التقطه الفكر من اقوال علماء هذه الامة في بطلان دعوى الاجتهاد في هذه الازمنة المتأخرة ولزوم التقليد الذي هو النجاة من مضلات الفتن والمعول عليه لدى اهل الفطن حمانا الله واخواننا المسلمين من اهل السّنّة والجماعة من هذه الدعوى الدّالة على غاية الصقاعة والرقاعة وجعلنا متبعين هؤلاء المذاهب الاربعة المؤيدين للدين باجتهادهم الحق المبين وحشرنا في زمرتهم مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصّالحين والحمد لله رب العالمين والصلوة والسّلام على سيدنا محمّد وآله وصحبه اجمعين.

(قال مؤلفها عليه الرحمة تم تأليفها في رمضان في سنة ١٢٩٣) نحمدك يا من مننت علينا بتمام الإيمان والصّلاة والسّلام على من هو الوسيلة العظمى في رضاء الملك الديان صلّى الله عليه وعلى آله واصحابه واوليائه اهل الكرامات والعرفان وبعد فقد تم في بنبئ بمطبعة نخبة الأخبار طبع المنحة الوهبيه في الرد على الوهّابيّة واشد الجهاد في ابطال دعوى الاجتهاد الذين هما من جملة تأليفات سيدنا ومولانا شيخ الاسلام المدقق والعلامة الوليّ المحقق السيد الشّيخ داود البغدادي عليه الرحمة وقد طبعا على ذمتي انا الفقير اليه تعالى خادم العلماء العاملين عبد الوهاب نجل المرحوم السيد أحمد حبيب البغدادي عفى الله عنه ورزقه شفاعة نبيّه الهادي وقد اعتنيت بالتصحيح على حسب همتي الداثرة فاسئله تعالى ان يعفو عما وقع مني خطئاً وسهواً وان يعصمني من الوقيعة في المهوى هذا وقدكان الفراغ من الطبع في محرم الحرام سنة ١٣٠٥ هجرية على صاحبها افضل الصّلاة وازكي التحية.

رسالة في الرد على المرحوم السيّد محمود افندي الآلوسي رحمه الله تعالى

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد الله الّذي وفقنا لاتباع السّنّة النبوية والاصحاب والاتباع وحفظ انفسنا عن الادعاء وسلك بنا طريق العلماء الامناء والصّلوة والسّلام على الرسول المبين لكل ما تحتاج الامة اليه وتبعه اصحابه واتباعهم على هذا المنهج الّذي قامت الشريعة عليه وعلى آله وصحبه وسلّم وشرف وكرم اما بعد فيقول الفقير الى ربه (داود النقشبندي الخالدى بن السيّد سليمان افندى- البغدادي) رأيت عبارة للسيّد محمود افندى الشهير بالآلوسي[١] رحمه الله تعالى فيها من المخالفة والمجازفة ويعلم الله مني وكفى به شهيدا ان ليس مقصودى سوى بيان الحق فإنّه بالاتباع احق لا لعصبية ولا لحسد ولم اكن اطلعت عليها من كتابته بيده الاّ بعد مماته وان كنت سمعت بها من بعض الطلبة لكن لم اتحققها في حياته ولم احرر هذه الكلمات الاّ للنصيحة والنيّة الخالصة الصّحيحة لئلا يعثر بها الغافل وغير المطلع الجاهل فإن الناس لا سيّما في هذا الزمان اتباع كل ناعق ويروج عليهم زخارف القول وغير الموافق لها موافق لكن قيض الله في كل عصر للعلم عدو لا ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما في الحديث عن سيّد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وصحبه اجمعين. رواه الامام أحمد بن حنبل وقال أنّه من احسن الأحاديث وشاهد الوجود شاهد لذلك كما ذكره ابن القيّم في اعلام الموقعين وجملة من العلماء منهم البرماوى في شرح الفية الاصول واعلم ان ما انقله في هذه العجالة عندي في كتب عديدة من اراد

---

(١) محمود الآلوسي الكبير الشّافعي مفتي بغداد توفي سنة ١٢٧٠ هـ. [١٨٥٤ م.]

الوقوف على نقولنا فليأت لأريه النقل من محله والاّ فهو معاند او حاسد جاحد فيكفيه ما فيه نسئل الله يلهمه رشده ويهديه.

واما التوسّل به في حياته فقد ثبت في الجدب وابراء ذوى العاهات وحسبك ما رواه النّسائي والتّرمذي عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضريراً اتاه صلّى الله عليه وسلّم فقال ادع الله تعالى ان يعافيني فامره ان يتوضأ ويحسن وضوئه ويدعو بهذا الدعاء **اللّهمَّ اني اسئلك واتوجه اليك بنبيك محمّد نبيّ الرحمة يا محمّد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضي اللّهمَّ شفعه فيَّ** صحّحه البيهقي وزاد فقام وقد ابصر واما التوسّل به في البرزخ فقد كثر من اكابر الامة كالبوصيري والقسطلاني وخلق كثير في حوائج جمة فنجزت واما التوسّل به صلّى الله عليه وسلّم في عرصات القيامة فمما قام عليه الاجماع ووردت به الأخبار في حديث الشفاعة وانت تعلم ان التوسّل به يؤول الى التوسّل بجاهه عند الله ونحو ذلك لا بالذات البحت فإن التوسّل بذلك غير معقول عند ذوي العقول وحينئذٍ لا فرق بين التوسّل به عليه الصّلوة والسّلام في الحياة والتوسّل به بعد الوفاة والفاعل الحقيقي هو الله تعالى ومن هنا تعلم ان لا مانع ايضاً من التوسل بمن تحقق أنّه له جاهاً عند ربه سبحانه من ذوى الارواح القدسية كالانبياء عليهم السّلام والأولياء المقطوع بولايتهم لكن لم يسمع في الادعية المأثورة عنه صلّى الله عليه وسلّم ومن اهل بيته كالسجاد رضي الله عنه بتوسط احد من الخلق والتوسّل بحرمته وجاهه وكذا آيات الامر بالدعاء والآيات المشتملة على حكاية الدعوات عن اصحابها ليس فيها توسط احد ولا امر بتوسط ولم يشتهر عن الصديقين ادخال حرف النداء على غيره تعالى في طلب شيئ وان قلّ وما احسن ما قيل:

اليك والاّ لا تشدّ الركائب * وعنك والاّ فالمحدث كاذب

وفيك والاّ فالغرام مضيع * ومنك والاّ فالمؤمل خائب

وانا لا ارى بأساً بتوسط عريض الجاه والوسيلة العظمى صلّى الله عليه وسلّم وكذا توسيط من اشرنا اليه مع كون الطلب من الله تعالى والاحوط ان لا يقال لمن

لم يسمع ولا يرى ولا يقدر عن نفسه دفع الاذى يا فلان اشف لي مريضي ويا فلان اعطني كذا وإن كان باب التأويل واسعاً انتهى.

اقول وبالله التوفيق هذا الكلام فيه مؤاخذات كثيرة يجب على اهل العلم بيانها فإن الدّين لا محاباة فيه قال الله تعالى (**وَ اِذْ اَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ولاَ تَكْتُمُونَهُ** * آل عمران: ١٨٧) والاعتراض على هذه العبارة من وجوه.

الوجه الاول: قوله واما التوسّل به في حياته فقد ثبت في الجدب وابراء ذوى العاهات فقط و لم يذكر ما ثبت في الجدب فكان الواجب عليه بيانه لانه يوهم ان ما ثبت في الجدب والعاهات هو حديث الاعمى وليس فيه رفع الجدب فكان عليه ان يذكر حديث البخاري في قول عمر رضي الله عنه اللّهمَّ انا كنّا نتوسّل اليك بنبيّنا فتسقينا فها نحن نتوسّل اليك بعم نبيّنا فاسقنا فيسقون وهو توسّل عمر بالعبّاس رضي الله عنهما.

والوجه الثاني: ذكره لحديث الاعمى يريد أنّه من التوسّل به في حياته وفي حضوره وليس كذلك فإن حديث الاعمى ذكره العلماء من المحدثين والفقهاء دليلاً على التوسّل به في مغيبه وبعد موته قال الحافظ العراقي[١] في شرح التّرمذي في باب صلوة الحاجة و لم يذكر المصنف في الباب غيرحديث ابن أبي اوفى وفيه عن عثمان بن حنيف وابى الدرداء وعبد الله بن مسعود وانس اما حديث عثمان بن حنيف فرويناه في المعجم الصغير للطبراني من رواية أبي حفص الخطمى المدني عن أبي امامة بن سهل ابن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف ان رجلاً كان يختلف الى عثمان بن عفان في حاجة فلم يقضها فأتى الى عثمان بن حنيف فشكى ذلك اليه فقال له عثمان بن حنيف ائت الميضاءة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ركعتين ثم قل **اللّهمَّ اسئلك واتوجّه اليك بنبيّنا محمّد نبيّ الرحمة يا محمّد اني اتوجه بك الى ربي فتقضي لي حاجتي** وتذكرحاجتك ورح حتّى اروح بعده فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم اتى باب عثمان بن عفان

---

(١) الحافظ زين الدّين عبد الرّحيم الكردى العراقي توفي سنة ٨٠٦ هـ. [١٤٠٣ م.]

فجاء البواب حتّى اخذ بيده فادخله على عثمان فاجلسه معه على الطنفسة وقال ما حاجتك فذكر حاجته فقضاها له ثم قال ما ذكرت حاجتك حتّى كانت هذه الساعة وقال ما كانت لك من حاجة فائتنا ثم ان الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال له جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت اليّ حتّى كلمته فيّ فقال عثمان بن حنيف والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقد اتاه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره فقال له النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم او تصبر فقال يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق عليّ فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ائت الميضاءة فتوضأ وصل ركعتين ثم ادعو بهذه الدعوات فقال عثمان بن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتّى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن ضر قط قال الطبراني لم يروه عن روح الاشبيب ابوسعيد المكي وهو ثقة وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخطمى واسمه سعيد بن يزيد وهو ثقة تفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة والحديث صحيح انتهى كلام الطبراني قال الحافظ العراقي قلت وقد روى التّرمذي وابن ماجة والنّسائي في اليوم والليلة رواية شعبة مقتصرين على قصة الاعمى دون ما في اوله من قصة الرجل الّذي كانت له حاجة الى عثمان بن عفان الا ان شعبة خالف رواية روح عن أبي جعفر في الاسناد فقال عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف اورده المصنف يعني التّرمذي في الدعوات وقال حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الاّ من حديث أبي جعفر الخطمى انتهى. وتابع شعبة على ذلك حماد بن زيد رواه النّسائي في اليوم والليلة ووافق روح بن قاسم على قول أبي جعفر عن أبي امامة بن سهل هشام الدستوائى رواه النّسائي في اليوم والليلة انتهى كلام الحافظ العراقي في شرح التّرمذي فتبين لك من هذا الحديث الصّحيح من قول الصّحابى عثمان بن حنيف فما افترق بنا المجلس وطال بنا الحديث حتّى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط ان الاعمى كان في غيبة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لا في حضوره فعدم

ذكرهذه العبارة في الحديث خيانة في النقل وتبين ذلك من رواية الطبراني ان التوسّل به صلّى الله عليه وسلّم ليس خاصاً بحال حياته لأن هذا الصّحابى علم هذا الرجل الّذي له حاجة الى سيّدنا عثمان بن عفان في خلافته وذلك بعد وفاته صلّى الله عليه وسلّم وفهم ذلك هذا الصّحابى وكذلك فهمه المحدثون والفقهاء فذكروا هذا الحديث فيمن له حاجة الى الله او الى احد من خلقه وترجموا له (باب) في صلوة الحاجة ورواه البيهقي والحاكم وقال على شرط البخاري ومسلم واقره الحافظ الذهبى كما ذكره ابن حجر والسمهودى والقسطلاني في المواهب وذكر ابن تيميّة في الفتاوى وصاحب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام حديث الاعمى هذا من رواية التّرمذي والنّسائي وابن ماجة واصحاب السنن وقال ابن تيميّة وصاحب مصباح الظلام وفي الحديث أنّه صلّى الله عليه وسلّم لما علّم الاعمى قال له وإذا كان لك حاجة فمثل ذلك اي فاعمل كما علّمك فيدل قوله صلّى الله عليه وسلّم هذا على ان ذلك تشريع منه لا يختص به حال حياته وذكر هذا الحديث العلماء المحدثون كالنووي في الاذكار والحافظ الجزري[١] في الحصن الحصين والتبريزي في مشكاة المصابيح والجلال السّيوطي في الجامع الصغير وذكره علماء المذاهب الاربع مستدلين به على طلب الحاجة منه صلّى الله عليه وسلّم في مغيبه وبعد وفاته وندائه صلّى الله عليه وسلّم وذكروا ذلك في الدعوات تعليماً للامة ونصحا لهم في الطلب منه والسؤال له مستدلين بقوله يا محمّد اني اتوجه بك الى ربي لتقضي حاجتي وسيأتي لهذا البحث مزيد كلام.

الوجه الثالث: قوله واما التوسّل به في البرزخ فقد كثر من اكابر الامة كالبوصيرى[٢] والقسطلاني وخلق كثير في حوائج مهمة فنجزت.

اقول لا يخفى ان هذا ليس بدليل نافع بمقام الحجاج لانه لم يستند الى نص

---

(١) محمّد ابن الجزري الشّافعي توفي سنة ٨٣٣ هـ. [١٤٣٠ م.] في شيراز

(٢) محمّد البوصيرى توفي سنة ٦٩٥ هـ. [١٢٩٦ م.] في القاهرة

يعتمد عليه فيفهم منه ان المتوسّلين به لا حجّة لهم الاّ عمل البوصيرى والقسطلاني وفي ذلك من اخفاء الحق ما لا يخفى فإن حجّة المتوسّلين به في البرزخ هو حديث ابن حنيف من رواية الطبراني والبيهقي وهو حديث صحيح كما قاله الطبراني واستدل به العلماء من المحدثين والفقهاء كما تقدم والنص الصريح الدّال على التشريع وأنّه لا يختص به حال حضوره وحياته قوله صلّى الله عليه وسلّم للاعمى وإن كان لك حاجة فمثل ذلك وفي التوسّل به في البرزخ آثار صحيحة عن الصّحابة والتابعين كحديث البيهقي وابى شيبة بسند صحيح في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل الى قبر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال يا رسول الله استسق لامتك فإنهم قد هلكوا فاتاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام فقال ائت عمر واقرأه السّلام وقل له يستسقى بالناس واخبره أنّهم مسقون الى آخر الحديث ذكره ابن تيميّة في الفتاوى في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم قال وما روى ان رجلاً جاء الى قبر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فشكى اليه القحط عام الرمادة فامره ان يأتى عمر الحديث فمثل هذا يقع لمن هو دون النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الى آخر كلامه وغير ذلك من الأحاديث والآثار الدّالة على الطلب منه صلّى الله عليه وسلّم بعد موته واطبق الفقهاء من المذاهب الاربعة على التوسّل به في زيارته مستدلين باثر العتبى وسيأتى الكلام على ذلك ففى اقتصاره على البوصيرى والقسطلاني قصور لم يقل به احد غيره وكأنه تنكيت على علماء الامة الناصين على التوسّل والطلب منه بعد موته روحى فداه بأنّه لم يكن لهم دليل الاّ قول هذين الرجلين وامثالهما وان هذين الرجلين العالمين لم يكن لهما دليل سوى انهما توسّلا به صلّى الله عليه وسلّم في حوائج كثيرة فنجزن.

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة * وان كنت تدري فالمصيبة اعظم

الوجه الرابع: قوله واما التوسّل به عليه الصّلاة والسّلام في عرصات القيامة فمما قام عليه الاجماع ووردت به الأخبار في حديث الشفاعة ولم يذكر ان هذا الاجماع

ممن يوهم أنّه من الامة كلها وليس كذلك فإن الشفاعة والتوسّل به ينكرها المعتزلة والخوارج كما ذكر ذلك العلماء منهم ابن تيميّة في الفتاوى وغيرها ومنهم النووي والقاضي عياض في شرح صحيح مسلم وايضاً تقديم الاجماع على النص فيه اساءة ادب فإن مستند الاجماع لا بد ان يكون الى نص فتقديم النص لازم ثم ذكر ان ذلك في حديث الشفاعة فلم يعزه الى المخرج له وهو في الصّحيحين وسائركتب الحديث.

الوجه الخامس: قوله وانت تعلم ان التوسّل به صلّى الله عليه وسلّم يؤول الى التوسّل بجاهه عند الله ونحو ذلك لا بالذات البحت فإن التوسّل بذلك غير معقول عند ذوي العقول. اقول: لا يخفى ما في هذه العبارة من المؤاخذة. **الاول**: ان النص عام ليس فيه هذا التأويل فإن حديث الاعمى فيه اللّهمَّ اني اسئلك واتوسّل اليك بنبيك فذكر ان التوسّل بنفس النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومن قال المراد به الجاه فعليه البيان. **الثاني**: ان اهل الحديث والأخبار والسّير ذكروا ان قريشا قحطوا والنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم رضيع فاستسقى به عبد المطلب بأن رفعه بيده فسقاهم الله **الثالث**: وقد ورد عن الصّحابة في أحاديث صحيحة كما في البخاري وغيره أنّهم كانوا يستشفعون بشعره وبعرقه وببردته وآثاره وهى جمادات وذوات بحيث لا يتصور فيها الجاه بل ورد ان بعضهم توسّل بدمه فشربه وبعضهم ببوله فشربه فاخبرهم ان النّار لا تلج بطونهم واخذ العلماء طهارة فضلاته واعظم من ذلك وأوضح دلالة ما ذكره الفقهاء في باب الاستسقاء من اخراج البهائم والحيوانات في الاستسقاء للتوسّل بها الى الله تعالى وليس لها جاه عند الله فهى ذوات بحت وفي الحديث الصّحيح (**لولا البهائم الرتع والصبيان الرضع والشّيوخ الركع لصب عليكم العذاب صبا**) فجعل ذوات هذه الاشياء وسائل مانعة من صب العذاب وليس لهم عند الله جاه كما لايخفى ان ذات نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم قد ورد انها خلقت من نوره تعالى كما في حديث جابر بل ذكر ابن الجوزى[١] في الوفاء ان الصّحابة اصابهم قحط فشكوا ذلك الى

(١) عبد الرّحمن ابن الجوزى الحنبلي توفي سنة ٥٩٧ هـ. [١٢٠١ م.] في بغداد

عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها فقالت انظروا قبر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فاجعلوا منه كوى الى السماء لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلو فمطروا مطرا حتّى نبت العشب وسمنت الابل حتّى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق انتهى وكذلك اورد في المشكاة حديث أبي الجوزاء عن عائشة رضي الله عنها في استسقاء الصّحابة بقبره الشّريف وقد ورد عن ابن عمر أنّه كان يتمسح بالرمانة من منبره صلّى الله عليه وسلّم وبه اخذ مالك وأحمد بل والحنفيّة والشّافعية ولا شكّ ان القبر والرمانة جماد لا يعقل له جاه بل كان التوسّل بذاته التى شرفت المنبر بل شرفت الوجود.

الوجه السادس: قوله ومن هنا تعلم أنّه لا مانع ايضاً من التوسّل بمن تحقق له جاه عند ربه سبحانه من ذوى الارواح القدسية كالانبياء والأولياء المقطوع بولايتهم.

اقول لا يخفى عليك مما قدمنا ان التوسّل بالجمادات والحيوانات قد وقع في الأحاديث الصّحيحة والآثار الصريحة عن الصّحابة والتابعين والسلف الصّالحين مما يضيق عنها نطاق الحصر وليست من ذوى الارواح القدسية ولا من المقطوع بولايتهم افلا تكون ذوات الانبياء والصّالحين لا سيّما ذات سيّد المرسلين اقل درجة من الجمادات واشباهها في عدم التوسّل بذاهّا كما لا يخفى فقوله هذا خارج من المقصود.

الوجه السابع: قوله لم يسمع في الادعية المأثورة عنه صلّى الله عليه وسلّم وعن اهل بيته كالسجاد رضي الله تعالى عنه بتوسط أحد من الخلق والتوسّل بحرمته وجاهه.

اقول لا يخفى ما في هذه العبارة من المجازفة والمخالفة والمناقضة لكلام نفسه وكلام غيره وذلك من وجوه **الاول** أنّه تحقق فيما تقدم من عند نفسه ان التوسّل الوارد به يؤول الى التوسّل بجاهه وعليه حمل حديث الاعمى وحديث الشفاعة التى قام عليها الاجماع كما ذكره فيما سبق وهنا يقول لم يسمع في الأدعية المأثورة عنه وعن اهل بيته كالسجاد[١] بتوسط احد من الخلق والتوسّل بحرمته وجاهه فيقال له فانت من اين لك ان تحمل ان التوسّل به يؤول الى التوسّل بجاهه إن كان من نص

(١) السجاد لقب الامام زين العابدين توفي سنة ٩٤ هـ. [٧١٣ م.] في المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام

عن الله ورسوله واصحابه فمسلم مقبول وإن كان من عند نفسك فغير مقبول إذ لا يجوز لاحد ان يبتعد في الدّين ما لم يرد به نص فتناقض كلامه فإنّه في الاول حمل أحاديث التوسّل به على انها بمعنى التوسّل بجاهه لا بالذات البحت وهذا انفى ان يكون ورد عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم توسط احد والتوسّل بجاهه وبحرمته. **الوجه الثاني** من وجوه المواخذة في هذه العبارة قوله لم يسمع في الادعية المأثورة عنه صلّى الله عليه وسلّم وعن اهل بيته كالسجاد رضي الله عنه بتوسط احد فيقال له انت ذكرت حديث الاعمى وأنّه صلّى الله عليه وسلّم علمه ان يقول في دعائه اللّهمَّ اني اسئلك واتوجه اليك وفي رواية اتوسّل اليك بنبيّنا محمّد نبيّ الرحمة يا محمّد اني اتوجه بك الى ربى في حاجتي هذه لتقضي لي فهل هذا امر منه صلّى الله عليه وسلّم بتوسط النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم او ندائه في قوله يا محمّد وطلب منه ان يقضى الحاجة له عند الله وقوله اتوسّل بك فهل يعد هذا توسّل وتوسط ام لا وقد ذكره المحدثون في كتبهم والفقهاء كما تقدم. **الوجه الثالث** من وجوه المؤاخذات في هذه العبارة كان صلّى الله عليه وسلّم يستسقى بذاته ويتوسّل به الى الله تعالى وهو رضيع ولما طلب منه الدعاء بتزول المطر كما في البخاري فانزل الله المطر كافواه القرب فقال صلّى الله عليه وسلم (**لله در ابى طالب من ينشدنا قوله**) فقال عليّ رضي الله عنه كأنك تريد قوله:

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يطوف به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في نعمة وفواضل

فقال صلّى الله عليه وسلّم اجل يعني نعم هذا اريد بقوله من ينشدنا قوله فكأنه كان راضياً بفعلهم مقررا لهم على فعلهم وتوسّلهم بذاته كما يصرح به قول أبي طالب هذا فإن قوله يستسقى الغمام بوجهه ما المراد الذات او المراد بجاهه على كل حال فهو نص في المقصود. **الوجه الرابع** قوله لم يسمع فنقول نعم سمع بل هو مستفيض من دعائه صلّى الله عليه وسلّم ودعاء السجاد أما من دعائه فقد روى الطبراني في

المعجم الكبير والاوسط برجال الصّحيح الاّ روح ابن صلاح وثقة ابن حبان[١] والحاكم وقال التقيّ السبكي والسمهودى اسناده جيد وكذا القسطلاني في المواهب وابن حجر في الجوهر المنظم وفي حاشية المناسك عن انس رضي الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت أسد ام علي رضي الله عنه وعنها دخل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبرها والحدها وقال (**اللّهمَّ اغفر لامي فاطمة ووسع مدخلها بحق نبيك والانبياء قبلي**) وذكر ابن تيميّة في الكلم الطيب له وابن القيّم ايضاً والجزري في الحصن الحصين والنووي في الاذكار في ادب الخارج الى الصّلوة عن ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم (**اللّهمَّ اني اسئلك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك**) الى آخر الدعاء واخرج السّيوطي في الدّر المنثور في تفسير القرآن بالحديث المأثور قال اخرج عبد الرزاق[٢] في المصنف والحاكم وصححه عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول (**ان نبيا من الانبياء قاتل اهل مدينته حتّى إذا كاد ان يفتحها خشى ان تغرب الشمس فقال ايتها الشمس انك مأمورة وانا مأمور فبحرمتى عليك الاّ ركدت ساعةً من النهار فحبسها الله تعالى حتّى فتح المدينة**) انتهى واخرج ايضاً في الكتاب المذكور عن ابن المنذر عن محمّد بن علي بن الحسين بن عليّ قال لما اصاب آدم الخطيئة عظم كربه واشتد ندمه فجاءه جبريل فقال يا آدم هل اعلمك دعاء ومن جملته **اللّهمَّ اني اسئلك بجاه محمّد عبدك وكرامته عليك ان تغفر لي خطيئتى** الحديث وفي ذلك أحاديث كثيرة لا حاجة الى الاطالة بها.

واما قوله وعن اهل بيته كالسجاد يعني بذلك ادعية الصحيفة المشهورة عند الرافضة فإنّها منسوبة الى السجاد.

فنقول قد ثبت التوسّل في الصحيفة بذكر الجاه في ادعية السجاد فقوله لم يرد غير صحيح وسنذكر لك بعد هذا عبارته وثانياً ليس لهذه الصحيفة سند ولا طريق

---

(١) ابن حبان محمّد الشّافعي توفي سنة ٣٥٤ هـ. [٩٦٥ م.] في سمرقند

(٢) عبدالرزاق الصنعانى توفي سنة ٢١١ هـ. [٨٢٦ م.]

عن اهل السّنّة ولا ذكرها احد منهم فمن ادعى ذلك فعليه البيان لكن الرافضة ذكروها ونسبوها اليه وفيها ردّ شنيع عليهم لأنّهم يعتقدون العصمة لاهل البيت وفيها لا اقرار من السجاد بالمعاصى وظلم نفسه بها وتجاسر الشيطان عليه وغير ذلك وهذا على قواعد الرافضة لا يكون فكيف يصح لمسلم الاعتماد عليها ويجعلها حجّة على العلماء الناقلين للتوسّل والتوسط فهل هذا الاّ مكابرة على أنّه قد ورد في الصحيفة عن السّجاد ولم يطلع عليه ولم يستوعب كلامه فقاله من عند نفسه وتبع لظنه وحدسه وها انا انقل لك عن الصحيفة مما فيه التوسّل والتوسط قال صاحب الصحيفة فما كل ما نطقت به عن جهل منى بسوء اثرى ولا نسيان لما سبق من ذميم فعلي لكن لتسمع سمائك ومن فيها وارضك ومن عليها ما اظهرت لك من الندم ولجأت فيه اليك من التوبة فلعلّ بعضهم برحمتك يرحمني بسوء موفقيتى او تدركه الرقة على سوء حالى فينالنى منه بدعوة هي اسمع لديك من دعاء او شفاعة اوكد عندك من شفاعتى تكون بها نجاتى من غضبك وفوزتى برضائك، فانظر الى هذا الكلام وتأمل فإن فيه عجائب وفي التحفة الاثنى عشريّة في قول ردّ الرافضة ان الله لا يعذب الامامية باي معصية كانت منهم قال وهذا مخالف للروايات لأن الامير والسجاد والأئمة الآخرين قد روي عنهم ان ادعيتهم الصّحيحة البكاء والاستعاذة من عذاب الله بحرمة الرسول والقرآن والملائكة والتوسّل بهم انتهى. قال في الصحيفة في دعاء ختم القرآن اللّهمَّ اجعل نبيّنا صلواتك عليه وعلى آله يوم القيامة اقرب النبيّين منك مجلساً وامكنهم منك شفاعةً واجلهم عندك قدراً واوجههم عندك جاهاً وقال في دعاء صيام رمضان اللّهمَّ بحق هذا الشهر وبحق من يعبد لك فيه من ابتدائه الى وقت فنائه من ملك قربته او نبيّ ارسلته او عبد صالح اخصصته وقال في دعائه يوم عرفة رب صل على اطيب اهل بيتك الّذي جعلته الوسيلة اليك والمسلك الى جنتك وقال فيها اللّهمَّ ايدت دينك في كل اوان بامام اقمته علماً لعبادك ومناراً في بلادك وجعلته الذريعة الى رضوانك وافترضت طاعته وحذرت معصيته فهو عصمة

اللائذين وكهف المؤمنين وعروة المتمسكين وقال فيه بحق من انتخبت من خلقك وبمن اصطفيته لنفسك وبحق من اخترت من بريتك وقال في آخر الادعية اللّهمَّ بذمة الاسلام اتوسّل اليك وبحرمة القرآن اعتمد عليك وبمحمد المصطفى استشفع لديك فانظر فهل في كلام السجاد على قوله توسّل وتوسط احد وذكر الحق والجاه والحرمة ام لا.

الوجه الثامن: في قوله ولم يشتهر عن احد من الصديقين ادخال حرف النداء على غيره تعالى في طلب شيءٍ وان قل.

اقول لاحول ولا قوة الاّ بالله ما هذه الغفلة الفاحشة وهذا التجاسر العظيم انباك عن قوله صلّى الله عليه وسلّم للاعمى في تعليمه (**قل اللّهمَّ اسألك واتوسّل اليك بنبيّك يا محمّد اني اسئلك في حاجتي هذه لتقضي لي**) فهل قوله يا محمّد أمر منه وتعليم لامته ان يدخلوا حرف النداء عليه وينادوه في مغيبه وحضوره وبعد موته وقد تقدم نقله وروى الحاكم وأبو عوانة في صحيحه والبزار بسند صحيح عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم انه (**إذا انفلتت دابة لأحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فإن لله حاضراً سيحبسه**) وقد ذكر هذا الحديث ابن تيميّة في الكلم الطيب عن أبي عوانة في صحيحه وابن القيّم في الكلم الطيب له والنووى في الاذكار والجزري في الحصن الحصين والعدة وغيرهم من المحدثين في كتب الاذكار وقال الشّيخ عليّ القاري الحنفى في شرح الحصن والمراد بعباد الله الملئكة او المسلمون من الجن او رجال الغيب المسمون بالابدال فهل هذا امر منه صلّى الله عليه وسلّم وتشريع لامته بادخال حرف النداء على غير الله تعالى والطلب منه ان يحبس الدابة وهم غائبون لا يراهم المنادى وروى الطبراني وان اراد عوناً فليناد اعينونا وفي الحصن (**فليقل يا عباد الله اعينوني**) ثلاثاً رواه الطبراني عن زيد بن عقبة بن غزوان عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال (**إذا ضل احدكم شيئاً او اراد عوناً وهو بارض ليس بها انيس فليقل يا عباد الله اعينوني ثلاثاً فإن لله عباداً لا يراهم**) قال الحافظ الجزري وقد جرب ذلك قال

الشّيخ عليّ القاري وذلك مجرب محقق قال بعض العلماء الثقاة حديث حسن يحتاج اليه المسافرون وروى المشائخ أنّه مجرب قرن به النجح ذكره ميرك الحنفى انتهى وقال بعض المحققين ذكر هذا الحديث في كتبهم اشاعة للعلم وحفظاً للامة ولم ينكروه وذكره النووي في الاذكار قال ابن مفلح الحنبلي صاحب الفروع في كتابه الاداب الشّرعية قال عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل سمعت أبي يقول حججت خمس حجج فظللت الطريق في بعضها وكنت ماشياً فجعلت اقول يا عباد الله دلّوني على الطريق فلم ازل اقول ذلك حتّى وقفت على الطريق انتهى وقال النووي في الاذكار قد جرب ذلك بعض اهل العلم فصح ونحن جربناه فصح فهل هؤلاء الاكابر من الصديقين ام لا وهل تراهم امتثلوا امر سيّد الصديقين صلّى الله عليه وسلّم فادخلوا حرف النداء في مهماتهم وحاجاتهم ام لا وفي البخاري ومسلم أنّه صلّى الله عليه وسلّم وقف على قليب بدر وفيه القتلى من كفّار قريش فناداهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وقال لهم (**هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً**) فقال عمر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله كيف تكلم اجساداً لا ارواح فيها قال (**والّذي نفسى بيده لستم بأسمع منهم**) ففى هذا الحديث الصّحيح المتّفق على صحة ادخال حرف النداء على غير الله وهم كفّار فضلاً عن المؤمنين وذكر ابن تيميّة وابن القيّم وغيرهم في الكلم الطيب وهو موضوع للاذكار المأثورة عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن ابن عمر انه خدرت رجله فامره بعض الصّحابة ان يذكر احب الناس اليه فقال يا محمّد فذهب الخدر فجعل من الاذكار ان الّذي تخدر رجله ينادى يا محمّد فيذهب الخدر عنه وذكر اهل المناسك من جميع المذاهب في باب الحج أنّه يسن للزائر قبر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وقبر صاحبيه ان ينادى ويطلب منه الشفاعة وقضاء الحاجة وكذلك ينادى الصاحبين الجليلين ويطلب منهما الشفاعة الى الله والى رسول الله فمن اراد ذلك فليراجع كتب المذاهب في باب الحج فهل ترى هؤلاء جهلوا وعلمت وناموا وقعدت بل قوله هذا لا دليل عليه ولا مستند يعول اليه واعجب العجب

استدل واستشهد بقول الشاعر على عدم الطلب من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم والتوسّل به في قوله:

اليك والاّ لا تشد الركائب * وعنك والاّ فالمحدث كاذب

وفيك والاّ فالغرام مضيع * ومنك والاّ فالمؤمل خائب

فهذه الابيات مقولة فى حقه صلّى الله عليه وسلّم كما ذكره القسطلاني في المواهب اللّدنيّة فكيف عكس مرام الشاعر وجعلها دليلاً على عدم ندائه والطلب منه والتوسّل به.

الوجه التاسع: قوله وانا لا ارى بأساً بتوسط عريض الجاه والوسيلة العظمى وكذا توسيط من اشرنا اليه مع كون الطلب من الله تعالى.

اقول: لما نفي ان يكون التوسط والتوسّل في الادعية المأثورة عنه صلّى الله عليه وسلّم وأنّه لم يوجد نص فيهما لا عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولا عن السجاد فيما زعم اراد ان ينبّه ان التوسط والتوسّل كلا منهما اباحة للناس من قبل نفسه لا من دليل يوجد فيه ولا من عالم معتمد قاله بفيه فإذا هو ما رأى بأساً فليرفع المسلم بذلك رأسا وقوله مع كون الطلب من الله يعني فلا يجوز الطلب من غيره تعالى ولو على طريق المجاز فيكون مناقضاً لما امر به الرسول صلّى الله عليه وسلّم الطلب منه صلّى الله عليه وسلّم في حديث الاعمى وحديث انفلات الدابة وحديث طلب العون لمن اراد عوناً وحديث طلب الصّحابى الاستسقاء من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعد موته وحديث نداء ابن عمر لما خدرت رجله وغير ذلك من الآثار والأحاديث الواردة عن النّبيّ المختار واصحابه الاخيار وهل هذا الاّ مراغمة للشارع ومناقضة لما اجمعت عليه الامة من المذاهب الأربعة من طلبهم منه صلّى الله عليه وسلّم الشفاعة وغيرها في باب الزيارة.

الوجه العاشر: قوله والاحوط ان لا يقال لمن لا يسمع ولا يرى ولا يقدر عن نفسه دفع الاذى ان يا فلان اشف مريضى ويا فلان اعطنى كذا وإن كان باب التأويل واسعا.

اقول: عبارته تدل على ان من قال ذلك جائز له لكن الاحوط في حقه ان لا يقول فانظر الى هذا التناقض في كلامه فإنّه إذا كان المقول له لا يسمع ولا يرى ولا يدفع عن نفسه الاذى كيف يجوز ان يخاطب وينادي بهذا اللفظ وبغيره مما عنده جائز اذ لا يعهد عند ذوى العقول خطاب جماد لا يسمع ولا يرى ولا يدفع عن نفسه الاذى ولا تستحسنه شريعة من الشرئع فكيف يقال أنّه الاحوط وهذه العبارة لا بدّ فيها من التأويل لأن الّذي يقولها لغير الله تعالى ان قصد الحقيقة والاستقلال من دون الله فهذا كفر وإن كان المراد السبب والوسيلة فهو جائز لان المراد الشفاعة او الكرامة فقوله الاحوط خلاف الاحوط والظاهر ان مراده بالّذي لا يسمع ولا يرى ولا يقدر عن نفسه دفع الاذى هم اهل القبور من الانبياء والأولياء وفي كونهم لا يسمعون ولا يرون مناقضة لما جائت به الشريعة المحمّديّة في حق سائر الموتى فضلاً عن جناب الانبياء والمرسلين والأولياء والصّالحين اما اثبات السّماع لعامة اهل القبور من الكفّار فضلاً عن المؤمنين فقد ثبت في الصّحيحين البخاري ومسلم أنّه صلّى الله عليه وسلّم وقف على قليب بدر بعد ايام من موتهم ورميهم فيه فناداهم فقال (**يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فانّي وجدت ما وعدنى ربي حقاً**) فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله كيف تكلم اجساداً لا ارواح فيها فقال صلّى الله عليه وسلّم (**والّذي نفسي بيده لستم بأسمع منهم**) وقد ثبت في الصّحيحين عن انس عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال (**ان العبد الميّت إذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه أنّه ليسمع قرع نعالهم**) قال ابن رجب في اهوال القبور روى أبي الشّيخ الاصبهاني بإسناده عن عبيد بن مرزوق قال كانت أمراة بالمدينة يقال لها ام محجن تقم المسجد فماتت فلم يعلم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بها فمر على قبرها فقال (**ما هذا**) قالوا ام محجن قال (**التى تقم المسجد**) قالوا نعم فصف الناس فصلى على قبرها ثم قال (**اي العمل وجدت افضل**) قالوا يا رسول الله اتسمع قال (**ما انتم بأسمع منها**) فذكر انها اجابته قم المسجد وهذا مرسل وسنذكر الاحاد يث بسماع

الموتى سلام من يسلم عليهم فيما بعد ان شاء الله واما انكار عائشة رضي الله عنها سماع اهل القليب وقولها ان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال (**إنّهم ليعلمون ما اقول**) فقد قال العلماء منهم ابن القيّم في الهدى وفي كتاب الروح وابن رجب والسّيوطي وغيرهم ان من شهد الواقعة كعمر وأبي طلحة وغيرهما من الصّحابة حكاه عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعائشة رضي الله عنها لم تشهد ذلك فهم اثبت منها واحق وروايتها عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال إنّهم ليعلمون الآن ما قلت حق يؤيد رواية من روى أنّهم ليسمعون ولا ينافيها فإن الميّت إذا جاز ان يعلم جاز ان يسمع لأن الموت ينافى العلم كما ينافى السمع والبصر فلو كان مانعاً من البعض لكان مانعاً من الجميع واما قوله تعالى (**انك لا تسمع الموتى**) وقوله تعالى (**وما انت بمسمع من في القبور**) فإن السّماع يطلق ويراد به الكلام وفهمه ويراد ايضاً الانتفاع والاستجابة. والمراد بهذه الآيات نفي الثاني دون الاول فإنّها من سياق خطاب الكفّار الذين لا يستجيبون للهدى والإيمان إذا دعوا اليه مع أنّهم أحياء لهم اسماع وابصار وقال ابن القيّم الأحاديث والآثار تدل على ان الزائر متى جاء علم به المزور وسمع كلامه وانس به وردّ عليه وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم وأنّه لا توقيت في ذلك قال وهو اصح من آثار الضحّاك الدّال على التوقيت قال وقد شرع صلّى الله عليه وسلّم لامته ان يسلموا على اهل القبور سلام من يخاطبونه ممن يسمع ويعقل وما اجرى الله العادة قط ان امة طبقت مشارق الارض ومغاربها وهى اكمل الامم عقولاً واوفرها معارف تطبق على مخاطبة من لا يسمع ولا يعقل وتستحسن ذلك والاّ كان بمنزلة الخطاب للتراب والخشب والحجر وللمعدوم وهذا وان استحسنه واحد فالعقلاء كلهم قاطبة على استهجائه واستقباحه انتهى وهذا قاله ابن القيّم بعد ذكر اجماع الامة على مسئلة التلقين ومسئلة السّلام على اهل القبور وأمره صلّى الله عليه وسلّم بمخاطبتهم اعظم في الدليل من سيّد العقلاء اذ لا يتصور ان يأمر امته بمخاطبة تراب لا يسمع ولا يعقل ولا يعرف فالّذي ينفى السّماع انما هو طاعن على النّبيّ صلّى الله

عليه وسلّم وجميع امته.

فان قلت: فقد نفت السماع عائشة رضى الله عنها وتبعها جماعة من اهل العلم.

قلت: ان عائشة انكرت السماع وأثبتت العلم وكذلك من تبعها وقد قرر اساطين العلماء والعقل والنقل يدلان عليه ان العلم مستلزم للسماع ومع هذا فعائشة وحدها معذورة لعدم بلوغها النص منه صلّى الله عليه وسلّم قال الشّيخ تلقى الدّين ابن تيميّة في الفتاوى وانكار عائشة سماع الموتى لعدم ثبوت ذلك عندها وغيرها لا يكون معذوراً مثلها لأن هذه المسئلة صارت معلومة من الدّين بالضّرورة فلا يجوز لاحد انكارها انتهى اي لأن ادلتها الصّحيحة مستفيضة لا يجهلها الاّ من لم يطلع على السّنّة النبوية ومثل هذا لا يعبأ ولا بمقاله لأن أحاديث السّماع في الصّحيحين وغيرها بلغت مبلغاً لا تخفى على المخلوق فلا يكون المنكر معذورا واما مسئلة اهل القبور ورؤيتهم للاحياء فكذلك أحاديثها مستفيضة قال الحافظ السّيوطي في كتابه شرح الصّدور بحال الموتى واهل القبور باب زيارة القبور وعلم الموتى بزوّارهم ورؤيتهم لهم اخرج ابن أبي الدّنيا في كتاب اهل القبور عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(ما من رجل يزور قبر أخيه فيسلم ويجلس عنده الاّ استأنس به وردّ عليه حتّى يقوم)** واخرج ايضاً والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة قال **(إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه ردّ السّلام وعرفه وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه ردّ عليه)** وآخرج ابن عبد البر في الاستذكار وتمهيد عن ابن عبّاس قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **(ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه في الدّنيا فيسلّم عليه الاّ عرفه وردّ عليه السّلام)** صحّحه عبد الحق فهذه الأحاديث تدل على ان الميّت يرى من يسلم عليه لانه لو لم ير لم يعرف مطلقاً والنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم اخبر أنّه **(إذا كان يعرفه في الدّنيا عرفه وردّ عليه وإذا لم يعرفه في الدّنيا ردّ عليه السّلام فقط)** فلولا ان عنده تمييز الرؤية لما أنكر من لم يعرفه وعرف من يعرفه وآخرج أحمد بن حنبل والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت إذا ادخل البيت

فاضع ثوبي واقول انما هو أبي وزوجى فلما دفن عمر معهم ما دخلت الا مشدودة على ثيابى حياء من عمر يعني لعلمها أنّه يراها وهى اجنبية عنه وهذا لا تقوله عائشة من عند نفسها إذ ليس للرأي فيه مجال فلا بد انها سمعت من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال في وصية فإذا دفنتموني فقفوا عند قبرى قدر نحر جزور وتقسيمها استأنس بكم وانظر ماذا اراجع به رسل ربي فلولا ان يراهم لكان قوله هذا عبثا لانه تحت اطباق الثرى قد حال بينه وبينهم التراب مإذا ينفعه وقوفهم واخرج البيهقي عن أبي الدرداء هاشم بن محمّد قال سمعت رجلاً من اهل العلم يقول أنّه كان يزور قبر ابيه فطال عليه ذلك فقلت في نفسى ازور التراب فرأيته في منامى فقال يا بني ما لك لا تفعل كما كنت تفعل فقلت ازور التراب فقال لا تقل يا بني فو الله لقد كنت تشرف علي فيبشرني بك جيرانى ولقد كنت تنصرف فما زلت اراك حتّى تدخل الكوفة قال الحافظ السلفى سمعت ابا البركات عبد الواحد بن عبد الرّحمن به غلاب السوسي بالاسكندرية يقول سمعت والدتى تقول رأيت امى في المنام بعد موتها وهى تقول يا بنتى إذا جئت زائرة فاقعدى عند قبرى ساعةً اتملأ من النظر اليك ثم ترحمت علي فانك إذا ترحمت علي صارت الرحمة بينى وبينك كالحجاب ثم اشغلتنى عنك وقال الحافظ ابن رجب انبأنى علي بن عبد الصمد الفدارى عن ابيه قال اخبرني قسطنطين بن عبد الله الرومي قال سمعت الاسد بن موسى يقول كان لي صديق فمات فرأيته في المنام وهو يقول سبحان الله جئت الى قبر فلان صديقك قرأت عنده وترحمت عليه وانا ما جئت الي ولا قربتنى قلت له كيف رأيتنى والتراب عليك قال ما رأيت الماء إذا كان في الزجاج ما يتبين قلت بلى قال فكذلك نحن نرى من يزورنا.

وقال ابن القيّم في كتاب الروح اول مسئلة منه حدثني محمّد حدثنى أحمد بن سهل حدثنى راشد بن سعيد عن رجل عن يزيد بن حبيب ان سليم بن عمر على مقبرة وهو حاقن قد غلبه البول فقال له بعض اصحابه لو نزلت الى المقابر فبلت في

بعض حفرها فبكى ثم قال سبحان الله والله اني لاستحى من الاموات كما استحى من الأحياء ولولا ان الميّت يشعر بذلك لما استحى منه وابلغ من ذلك ان الميّت يعلم بعمل الحيّ من اقاربه واخوانه الى ان قال **فصل** وقد ترجم الحافظ أبو محمّد عبد الحق الاشبيلى[١] فقال ذكر ما جاء ان الموتى يسألون عن الأحياء ويعرفون اقوالهم واعمالهم ثم قال صح عن عمرو بن دينار انه قال ما من ميت يموت الاّ هو يعلم ما يكون في اهله بعده ثم سرد الادلة على علم الموتى باحوال الأحياء. انتهى كلام ابن القيّم.

وقد ذكرعلماء الحنابلة قاطبة كما في شرح الاقناع وشرح المنتهى والغاية عن الشّيخ ابن تيميّة وغيره أنّه قال استفاضة الأخبار والآثار بعلم الموتى بحال اهل الدّنيا وبأنّه يرى اي الميّت من يأتيه ويدرى بما يفعل عنده انتهى.

وكذلك ذكر الشّافعية والحنفيّة ومنهم السيّد أحمد الحموى محشى الاشباه في رسالة مخصوصة في تصرف الاولياء.

واما قوله: فلا يدفع عن نفسه الاذى فهذا يعني به ان الميّت لا ينفع ولا يدفع عن نفسه الاذى ولو كان يدفع لدفع عن نفسه الموت فهذا لا يلزم ولا يقوله عاقل إذ لا يدّعي احد ان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم او الوليّ أنّه رب منزه حاشا وكلا بل المخلوق المربوب محل الحوادث والاذى ولكن لا يلزم من هذا أنّه لا يدفع الاذى عن نفسه او غيره فما يقدره الله تعالى ويسببه على يديه فإن الانبياء لا شكّ أنّهم ينالهم الاذى ولا يدفعون عن نفسهم بحولهم وقوتهم في حال حياتهم هم وسائر المخلوقات وهم قادرون عند الناس وكم كشف صلّى الله عليه وسلّم غمة عن الامة بشفاعته وقد ورد في الأحاديث الصّحيحة كما ذكرها ابن تيميّة وابن القيّم في كتاب الروح والحافظ ابن رجب في اهوال القبور والسّيوطي وغيرهم (**ان اعمال الأحياء تعرض على الموتى من اقاربهم وغيرهم كل يوم فإن رأوا خيراً حمدوا الله واستبشروا وان رأوا شراً قالوا اللّهمَّ راجع بهم اللّهمَّ اهدهم فيستجيب الله دعائهم فيحصل من ذلك رفع**

(١) عبد الحق ابن سبعين المالكي الاندلسى المتوفي ٦٩٩ هـ. [١٣٠٠ م.] في مكّة المكرّمة زادها الله شرفا

الاذى بسببهم) ونبيّنا صلّى الله عليه وسلّم له في قبره الاستغفار لامته والدعاء والشفاعة لهم ورأيت لابن القيّم عبارة لطيفة في هذا المقام منقولة في خطه قال فصل في وقوع الشفاعة في الدّنيا والبرزخ والدار الآخرة لما كان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم رحمةً مهداة من الله لعباده كما قال صلّى الله عليه وسلّم **(يا ايها الناس انما انا رحمة مهداة)** قال تعالى **(وما ارسلناك الا رحمةً للعالمين)** وكان له عند الله من الجاه ما ليس لمخلوق سواه فقد اخبر الله تعالى عن كليمه موسى عليه السّلام أنّه وجيه عند ربه والوجيه ذو الجاه والوجاهة فما الظن بوجاهة سيّد المرسلين وجاهه عند الله فاقتضى جاهه وكونه رحمة من الله اهداها لعباده إن كان له من مقامات الشفاعة عند ربه ما ليس لاحد سواه في الدور الثلاثة اعنى في دار الدّنيا ودار البرزخ ودار الآخرة فاما شفاعته في دار الدّنيا فكم سئل الله تعالى لامته عموماً وخصوصاً من نعم ودفع بلاء فاعطاه فسأل الله لهم ان لا يهلكهم بسنة عامة اي جدب عام وهو القحط فاعطى ذلك وسأله ان لا يجمعهم على ضلالة فاعطى ذلك وسأله لامته غير ذلك حتّى ارسل الله اليه جبريل وقال له انا استرضيك في امتك ولا نسوئك وسأل الله للاوس ان يهديهم ويأتى بهم ففعل وسأل لهم ان يسقيهم لما اجدبوا فاجابه وسقاهم وسأل لانس خادمه ولعبد الرّحمن بن عوف ولأبي هريرة وامه ولسعد بن أبي وقاص ولابن عبّاس ولام حرام بنت ملحان ولعروة بن الجعد البارقى وللنابغة الذيبانى والخلق سواهم من الصّحابة وكم له شفاعةً فيهم عموماً وخصوصاً اقر الله بها عينيه واراه اياها واما الشفاعة في دار البرزخ فما لا شكّ فيه ولا يحتاج ان يأتى على ذلك بشاهد معيّن بل الامة احوج الى شفاعته في البرزخ منهم في دار الدّنيا وإذا كان المسلمون إذا عرض عليهم اعمال اقاربهم الأحياء فرأوا خيراً حمدوا الله واذا رأوا شراً قالوا اللّهمَّ راجع بهم فهذه شفاعة منهم لاخوانهم فما الظن بسيّد الشفعاء وقد ورد في حديث **(ان اعمال الامة تعرض عليه كل اثنين وخميس فإذا رأى سيآتها سئل الله لها المغفرة)** ومن له نصيب من علم احكام الازواج بعد الموت والتقائها الى اهلها

واقاربها واصحابها واعتنائها بهم وكانت روحه صافية متطلعة على احكام دار البرزخ وارتباطها في الدارين قبلها وبعدها علم ذلك وتيقنه انتهى فهل ثبت بهذا النقل الفصيح ان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وسائر موتى المسلمين يدفعون الاذى بدعائهم وشفاعتهم خصوصاً بسيّد المرسلين لما تعرض عليه السيئات من اعمال امته فيستغفر لهم فهل دفع الاذى عن امته وهى السيئآت التى هي اشد الاذى واعظمه ام لا وهذا القول لا يخالف فيه اهل العلم من جميع المذاهب كما هو معلوم لمن يطلع على اقوال العلماء واما الجاهل الغافل فإنّه يقول من عقله فما قبله عقله قال به وما نفاه عقله نفاه أفرأيت من اتخذ الهه هواه والحمد لله على ما انعم به علينا واولاه فتحصل مما ذكرنا أنّه يحصل من بركاتهم وشفاعتهم ويفعل الله لاجلهم جلب خير او دفع اذى لهم ولغيرهم ما يسببه الله تعالى بسببهم وهذا ظاهر وذكر المفسّرون في قوله تعالى (**وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وبِيَعٌ وصَلَوَاتٌ ومَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا** * الحج: ٤٠) ان المراد يدفع الله بالمسلم عن الكافر وبالمؤمن الطائع عن العاصى وقد ورد في الأحاديث الصّحيحة ان الموتى يدفع الله بهم العذاب عن مجاورهم ولهذا يسن الدفن بين قوم صالحين كما هو مذكور في الأحاديث وكتب الفقه قال السّيوطي في شرح الصّدور اخرج ابن عساكر[١] عن ابن عبّاس رضي الله عنهما ان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال (**إذا مات لاحدكم الميّت فاحسنوا كفنه وعجلوا وصيته واعمقوا له في قبره وجنبوه جار السوء**) قيل يا رسول الله وهل ينفع الجار الصّالح في الآخرة واخرج ابن أبي الدّنيا عن عبد الله بن نافع المزنى قال مات رجل في المدينة فدفن بها فرآه رجل كأنه من اهل النّار فاغتم لذلك فرآه بعد سابعة او ثامنة كأنه من اهل الجنّة فسأله قال دفن معنا رجل من الصّالحين فشفع في اربعين من جيرانه فكنت فيهم قال الشّيخ تقي الدّين ابن تيميّة في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم وكذلك ما يذكر من الكرامات وخوارق العادات التى توجد عند قبور الأولياء

---

(١) ابن عساكر علي توفي سنة ٥٧١ هـ. [١١٧٦ م.] في الشام

والصّالحين مثل نزول الانوار والملائكة عندها وتوقى الشياطين عنها والبهائم لها واندفاع النّار عنها وعمن يجاورها وشفاعة بعضهم وحصول الانس والسكينة عندها ونزول العذاب بمن استهانها واستخف بها فجنس هذا حق ليس مما نحن فيه وفي قبور الانبياء والصّالحين من كرامات الله ورحمته وما لها عند الله من الحرمة والكرامة فوق ما يتوهمه اكثر الخلق وكل هذا لا يقتضى استحباب الصّلوة عندها او قصد الدعاء والنسك ما في قصد العبادة عندها من المفاسد التى علمها الشارع كما تقدم فذكرت هذه الامور لأنها مما يتوهم معارضة لما قدمناه وليس كذلك انتهى. فقد قرر ان اهل القبور من الانبياء والصّالحين يحصل توقى الشياطين والبهائم لها ويندفع العذاب عنها وعمن يجاورها ويشفعون في جيرانهم من الموتى وكل ذلك دفع للاذى بسببهم وبركتهم بل ورد من كرامتهم ما يطيق عنها نطاق الحصر فكيف يسوغ لمن يدعي العلم أن يقول عن الانبياء والصّالحين بأن احدهم ميت لا يسمع ولا يرى ولا يدفع عن نفسه الاذى فهل هذا الاّ جعلهم كقول الكفّار (**ءَاِذَا مِتْنَا وكُنَّا تُرَابًا وعِظَاماً** * المؤمنون: ٨٢) وكقولهم (**ءَاِذَا كُنَّا عِظامًا نَخِرَةً** * النازعات: ١١) وما اشبه ذلك فما هذا الاّ جهل بالنصوص او مراغمة للشارع من هذا الخصوص.

وهذه عجالة اقتضيناها على طريق الاختصار ولو اطلقنا عنان القلم في الادلة لبلغت اسفار لا يتحملها ولا يحملها الاّ الحمار فاردنا التقريب والتخفيف على المنصف ذى الطبع الخفيف وفقنا الله لاتباع الشّرع الشّريف ومقابلة نصوصه بالقبول والتشريف وجنبنا الآراء المضلة والابتداعات التى هي في الدّين مخلة والحمد لله رب العالمين والصّلوة والسّلام على خير النبيين وآله وصحبه اجمعين.

كشف النور عن اصحاب القبور

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد الله وحده، والصّلوة والسّلام على من لا نبيّ بعده، يقول الحقير عبد الغني ابن اسماعيل النابلسى الحنفى[١]: هذه رسالة كتبتها في ظهور كرامات الأولياء بعد موتهم وحكم رفع البناء عليهم وتعليق الستور الى غير ذلك وسميتها (**كشف النور عن اصحاب القبور**) واسأل الله تعالى ان يلهمنى ما هو الحق والصواب وأن يوفق اخواني المسلمين الى الإنصاف عند ظهور الحق والاعتراف، والله على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

اعلموا إخواني في رضاعة ثدى الإسلام ان الكرامات التى أكرم الله تعالى بها اولياءه المقربين الى حضرته أمور خارقة لعادة الله تعالى في خلقه، خلقها الله تعالى بمحض قدرته وارادته لا مدخل لقدرة الوليّ المخلوقة فيه ولا لارادته المخلوقة فيه ايضاً على التأثير فيها البتة وإنما قدرة الوليّ وارادته المخلوقتان فيه سبب لخلق الله تعالى تلك الكرامات على يديه ونسبتها اليه، وكل من اعتقد ان الوليّ له تأثير في شئ من ذلك فهو كافر بالله تعالى على ما عرف في علم التوحيد.

وحقيقة أمر الوليّ في خلق الله تعالى الكرامات على يديه أنّه متحقق بوحدانية الله تعالى في التاثير. وأنّه لا تاثير له عند نفسه البتة حتى ان حركات نفسه التى هى القوى الروحانية المتشعبة في البدن وهى القوة الباصرة والقوة السامعة والقوة الذائقة والقوة اللامسة والقوة الشامة والقوة العقلية الباطنية المتفكرة والمتخيلة والحافظة. وكذلك الحركات الظاهرة في جميع الاعضاء والاعصاب ونحو ذلك، فإنّها مخلوقة فيه لله تعالى. وهو مشاهد لجميع ذلك في نفسه ومتحقق به في كل وقت إلاّ إذا سلط الله عليه الغفلة في بعض الاحيان فيكون في ذلك الوقت ليس بولي الله تعالى الاّ

(١) عبد الغني النابلسى توفي سنة ١١٤٣ هـ. [١٧٣١ م.] في الشام

بحسب ما مضى كالمؤمن النائم فإنّه مؤمن بسبب حكم ما مضى في اليقظة من الإيمان وهذه الحالة هى أدنى أحوال الأولياء وأدنى شهود من شهوداتهم. وربما سموا شيئاً من ذلك في طريقهم موتاً اختيارياً اخذا من إشارة قوله تعالى (**اِنَّكَ مَيِّتٌ وَاِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** * الزمر: ٣٠) ومعنى اشارة الآية على عدم الفرق بين ميت بالسكون والتّشديد كما ذكره الجوهري[١] في الصحاح: انك يا محمد وان ظهر التأثير منك ومنهم في الباطن والظاهر بحسب الإدراك والأفعال ميت وهم ميتون لأن حياتك مخلوقة كحياتهم وهى عرض يخلق الله تعالى الادراك باطنا والأفعال والاقوال ظاهراً عندها لا بها فهى سبب لخلق ذلك من الله تعالى فهي موت في حقيقة الأمر فيك وفيهم جميعا. وهذا الموت الاختياري شرط في مقام الولاية حتى إذا لم يتحقق به الوليّ في نفسه فليس بولى واليه الاشارة بقوله عليه السّلام: (**من عرف نفسه فقد عرف ربه**) يعني من عرف نفسه، انها كناية عن قوى باطنية وظاهرية منبعثة من العدم بسطوة قدرة غيره عرف ربه. والرب هو المالك يعني عرف مالك أمره الباطن والظاهر وهو الله تعالى فيعرفه من حيث أنّه الخالق لتلك القوى والمصرف لها فيما يشاؤه تعالى ويختاره ويعلم ان نفسه في يد الله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء كما كان يقسم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بقوله: (**والذى نفسى بيده**) اي وحق الذي جميع قواى الباطنية والظاهرية في تصرفه وحده لا مدخل لي في ذلك البتة. ومن هنا يفهم قول النّبيّ عليه السّلام في حديث التقرب بالنوافل: (**كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به** ...) فيظهر لذلك المتقرب بالنوافل الفاعل المتصرف في قواه كلها وتبقى القوى عنده اعراضاً زائلة كما هى في حقيقة الأمر فيكون الحق كناية عنها بعد زوالها من نظر ذلك المتقرب. وليس هذا كله إلاّ بعد حصول الموت الاختياري له.

وإذا كان كذلك فالولاية مشروطة عند العارفين بادراك الموت والتحقق به، والكرامات للأولياء مشروطة حينئذٍ عندهم بوجود الموت لا بفقده فكيف يزعم عاقل

---

(١) اسماعيل فارابي الجوهري توفي سنة ٣٩٣ هـ. [١٠٠٣ م.] في نيشاپور

ان الموت ينافي الكرامات؟ والكرامات مشروطة به. وإذا لم يتحقق به الانسان في نفسه فليس بعارف ولا وليّ وانما هو عامي من عوام المؤمنين غافل محجوب. وذلك لأن الوليّ هو الانسان الذي يتولى الله تعالى جميع اموره الباطنية والظاهرية كما ذكرنا. واما غيره فنفسه هى التى تتولى امرها بسبب الغفلة والحجاب عن المتولي في الحقيقة لجميع الأمور وهو الله تعالى لأنه تعالى متولي أمر المؤمن والكافر والغافل والمستيقظ، ولكن قال تعالى: (**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعلَمُونَ والَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ اِنَّمَا يَتَذَكَّرُ اُولُوا اْلاَلْبَابِ** * الزمر: ٩) اي إنما يعلم ذلك، وهو عدم الفرق بينهما اصحاب البصائر.

ومما يدل على ثبوت الكرامة بعد الموت من أقوال الفقهاء قولهم بكراهة الوطئ على القبور. قال في مختصر محيط السرخسي للامام الخبازي[١] وكره أبوحنيفة رحمه الله تعالى ان يطأ على قبر أو يجلس او ينام عليه او يبول او يتغوط لما فيه من الإهانة. وفي جامع الفتاوى لقارئي الهداية: وسئل بعض الفضلاء عن وطئ القبور فقال: يكره قيل: هل يكره على أنّه تارك للاولى فقال: لا بل يأثم لانه عليه السّلام قال: (**لأن أضع قدمي على جمر أحب إلى من وطئ القبر**). قيل: التابوت والتراب الذي فوقه بمنزلة السقف. فقال: (**وإن كان له بمنزلة السقف لكن حق الميّت باق فلا يجوز. ان يوطأ**) وسئل الخجندي[٢] عن رجل لو كان قبر والديه بين القبور هل يجوز له ان يمر بين قبور المسلمين بالدعاء والتسبيح وقراءة القرآن ويزور قبرهما؟ فقال: له ذلك ان امكنه من غير وطئ القبور انتهى. وفي فتح القدير: ويكره الجلوس على القبر ووطئه وحينئذٍ فما يصنعه الناس ممن دفنت اقاربه ثم دفنت حواليهم خلق من وطئ تلك القبور الى ان يصل الى قبر أبيه مكروه ويكره النوم عند القبر وقضاء الحاجة بل اولى وكل ما لم يعهد من السنّة، والمعهود منها ليس إلاّ زيارتها والدعاء عندها قائماً كما كان يفعل صلّى الله عليه وسلّم في الخروج الى البقيع ويقول: (**السّلام عليكم**

---

(١) جلال الدّين عمر الخبازي توفي سنة ٦٩١ هـ. [١٢٩٢ م.]

(٢) كمال الخجندي توفي سنة ٧٩٢ هـ. [١٣٩٠ م.] في تبريز

دار قوم مؤمنين وإنا ان شاء الله بكم لاحقون اسأل الله لي ولكم العافية). انتهى كلامه وحيث صح هذا وثبت في كتب الفقه فنقول: لم يكره الوطئ على القبر والجلوس عليه إلا لكرامة الموتى بعد موهم. وهذه الكرامة ثابتة في الشّرع. وهى امر خارق للعادة في الخلق، فإن العادة جارية ان الانسان يباح له ان يمشي على الأرض وان يجلس عليها وان يطأ برجله ابعاض الحيوانات كلها إلاّ موتى أهل الإيمان، فقد خولفت العادة في حقهم فكره ذلك كله كراهة تحريم، لأهما المحمل عند الاطلاق وإنما كان ذلك تكريماً لهم بعد موهم، وهم من عوام المؤمنين. فكيف الحال مع خواصهم وهم اهل الولاية المقربون الى الله تعالى فقد ثبتت الكرامة بعد الموت على لسان الشّرع.

وايضاً ثبوت ان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان يزور القبور في البقيع ويدعو عندها قائما دليل على ثبوت الكرامات بعد الموت لأن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لو لم يكن يعلم ان الدعاء عند قبور المؤمنين مستجاب لخصوصية في المكان بسبب الموتى المدفونين فيه لما دعا عند قبورهم بقوله عليه السّلام: (**اسأل الله لي ولكم العافية**) واستجابة الدعاء ببركة قبور المؤمنين التى تنزل عليها الرحمة من جملة الكرامات للمؤمنين بعد الموت. وذلك في حق قبور عوام المؤمنين فكيف قبور خواصهم من أهل التوحيد الكامل اليقين من المقربين إلى الله تعالى وفي ذلك ثبوت الكرامة بعد الموت ايضاً.

ومن الدليل على ثبوها بعد الموت ايضاً حكم الشّرع بوجوب تغسيل الميّت المسلم ووجوب تكفينه ودفنه تكريماً له. وهى كرامة اثبتها الشّرع للمؤمنين بعد الموت خارقة للعادة في حق موتى سائر بني آدم من الكافرين وجميع الحيوانات التى جرت العادة الشّرعية بعدم تغسيلها.

ومن الدليل على ذلك ايضاً ما قاله صاحب النهاية في شرح الهداية[١]: ان الميّت ينجس بالموت وان التغسيل واجب لإزالة نجاسة تثبت بالموت كرامة للآدمي بخلاف

---

(١) شارح الهداية حسين بن علي الصغناقي توفي سنة ٧١٠ هـ. [١٣١٠ م.]

سائر الحيوانات. وفي جامع الفتاوى: يغسل لتنجسه بالموت كسائر الحيوانات الدموية الا أنّه يطهر بالغسل كرامة له وقيل: لا ينجس لانه مؤمن بل الغسل لاجل أنّه على غير وضوء انتهى. وهذا يدل على ثبوت الكرامة للمؤمن بعد موته ايضاً.

وذكر في جامع الفتاوى: ان البناء على القبر لا يكره اذا كان الميّت من المشايخ والعلماء والسادات. وذكر فيه ايضاً أنّه ينبغي ان يكون غاسل الميت على طهارة ويكره ان يكون حائضاً أو جنباً انتهى. وهذا مما هو صريح في ثبوت الكرامة للمؤمن بعد الموت ايضاً بل الكرامات كلها لا تكون للمؤمن إلا بعد الموت. وأما في الحياة الدّنيا فلا كرامة له في الحقيقة إلاّ مجازاً لانه يكون في دار الجوار لأعداء الله تعالى دار يكفر فيها بالله تعالى وهذا لا يشكّ فيه عاقل البتة. وفي عمدة الاعتقاد للامام النسفي رحمه الله تعالى:[١] وكل مؤمن بعد موته مؤمن حقيقة كما في حال نومه وكذا الرسل والانبياء عليهم السّلام بعد وفاتهم رسل وانبياء حقيقة لأن المتصف بالنّبوّة والإيمان الروح وهو لا يتغير بالموت انتهى.

وربما نقول: مراده بالمؤمن المؤمن الكامل وهو الولي، والإيمان وهو الإيمان الكامل وهو الولاية وهى باقية بعد الموت لأن المتصف بها الروح والروح لا يتغير بالموت. او المراد مطلق المؤمن ومطلق الإيمان فيكون المؤمن الكامل والإيمان الكامل مفهوماً بالطريق الاولى بحسب ما ذكرنا لا سيما وقد قال تعالى في حق أهل الحنة: (**لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ اِلاَّ الْمَوْتَةَ الْاُولَى** * الدخان: ٥٦) ونحن نتكلم على إشارة هذه الآية ولا نمتع عبارتها كما هو دأب اهل الله تعالى فنقول فيما نحن بصدده العارفون بربهم لهم موتتان موتة في نفوسهم وموتة في أبدانهم. والمعتبر عندهم النفوس دون الأبدان لأن الأبدان مساكن النفوس والعبرة بالساكن لا بالدار والسر في السكان لا في الديار. فإذا جاهدوا انفسهم المجاهدة الشّرعية باطناً وظاهراً وسلكوا طريق الاستقامة ماتت نفوسهم فتحققوا بالحق لما ذاقوا الموت وبقيت أرواحهم مدبرة

---

(١) مؤلف عمدة العقائد عبد الله النسفي توفي سنة ٧١٠ هـ. [١٣١٠ م.]

لأجسامهم في الدّنيا بغير واسطة النفوس فكانوا ملائكة في صورة البشر، لأن الملائكة أرواح مجردة وهم بعد موت نفوسهم ارواح مجردة ايضاً، كما كان يترل جبريل عليه السّلام الى صورة دحية الكلبي رضي الله تعالى عنه ويأتى الى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فعند ذلك إذا انقطعت علاقة أرواحهم من تدبير أبدانهم كانوا بمترلة جبريل عليه السّلام إذا عاد الى عالم تجرده وفارق الصورة البشرية. ولا يسمى هذا موتاً حقيقياً في حقهم بل يسمى انتقالاً من عالم الى عالم آخر وتقلباً في الأطوار. ولهذا قال تعالى عنهم (**لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ اِلاَّ الْمَوْتَةَ اْلاُولَى** * الدخان: ٥٦) وهذه اشارة الآية الكريمة التى لا تنحصر معانيها وعباراتها ولا تنفد حكمها واسرارها واشاراتها. وإذا كان الأمر كذلك فكيف يتوهم عاقل ان الله تعالى يقطع تكريمه عن هذا الوليّ الذي كملت ولايته بموته الطبيعي والتحاقه بعالم المجردات حتى صار مع الملائكة في فضاء الأزل والملكوت كما كان يقول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عند موته: (**اللهم الرفيق الا على**).

هذا وقد ورد في كتاب المحققين من أهل الله تعالى كثير من الحكايات والأخبار المفصحة عن وقوع الكرامات للأولياء بعد الموت وتداولته الثقات مما لا يسعنا انكاره. فمن ذلك ما ذكره قدوتنا الى الله تعالى المجتهد الكامل والعالم العامل الشّيخ محي الدّين ابن العربي قدس الله سرّه في كتابه (**روح القدس في مناصحة النفس**) في ترجمة أبي عبد الله ابن زين اليابري بالياء المثناة التحتانية وضم الباء الموحدة التحتانية الإشبيلي. كان من اهل الله تعالى انه قرأ ليلة تأليف أبي القاسم ابن حمدين في الردّ على أبي حامد الغزالي فعمي فسجد لله تعالى من حينه وتضرع واقسم انّه لا يقرؤه ابداً ويذهبه فردّ الله تعالى عليه بصره انتهى. وهى كرامة صدرت لأبي حامد الغزالي رضي الله عنه بعد موته على يد هذا الانسان. وذكر الجلال السّيوطي رحمه الله تعالى في كتاب له في ذكر الموت سمّاه (**بشري الكئيب بلقاء الحبيب**) قال: أخرج الحافظ أبوالقاسم اللالكائي[١] في السّنّة بسند عن محمّد بن نصر الصائغ قال:

---

(١) أبو القاسم الشّافعي اللالكائي المتوفي سنة ٤١٨ هـ. [١٠٢٧ م.] بالدينور

كان أبي مولعاً بالصّلاة على الجنائز. فقال: يا بني حضرت يوماً جنازةً. فلما دفنوها نزل الى القبر نفسان ثم خرج واحد وبقى الآخر وحشى الناس التراب. فقلت: يا قوم يدفن حى مع ميت؟ فقالوا ما ثم احد فقلت:لعله شبه لي ثم رجعت فقلت: ما رأيت الاّ اثنين خرج واحد وبقى الآخر لا أبرح حتى يكشفه الله ما رأيت فقرأت عشر مرات يس وتبارك وبكيت وقلت: يا رب اكشف لي عما رأيت فانى خائف على عقلي وديني. فانشق القبر فخرج منه شخص فولى مبادراً فقلت: يا هذا بمعبودك إلاّ وقفت حتى اسألك فما التفت فقلت الثانية والثالثة فالتفت وقال: أنت نصر الصائغ فقلت: نعم قال: ما تعرفني؟ قلت: لا قال: نحن ملكان من ملائكة الرحمان موكلان بأهل السّنّة إذا وضعوا في قبورهم، نزلنا حتى نلقنهم الحجة وغاب عني.

وحكى اليافعي[١] في روض الرياحين عن بعض الأولياء قال: سألت الله تعالى ان يريني مقامات أهل القبور. فرأيت ليلة من الليالى القبور قد انشقت وإذا منهم النائم على السرير ومنهم النائم على الحرير والديباج ومنهم النائم على الريحان ومنهم النائم على السرر ومنهم الباكى ومنهم الضاحك فقلت: يا رب لو شئت ساويت بينهم في الكرامة فنادى مناد من أهل القبور يا فلان هذه أمثال الأعمال أما أصحاب السندس فهم اصحاب الخلق الحسن، وأما أصحاب الحرير والديباج فهم الشهداء، وأما اصحاب الريحان فهم الصائمون، وأما اصحاب السرر فهم المتحابون في الله، وأما اصحاب البكاء فهم المذنبون، وأما أصحاب الضحك فهم أهل التوبة.

قال اليافعي: رؤية الميّت في خير أو شر نوع من الكشف يظهر الله تبشيراً وموعظةً او مصلحةً للميت أو اسداء خير او قضاء دين أو غير ذلك. ثم هذه الرؤية قد تكون في النوم وهو الغالب وقد تكون في اليقظة وذلك من الكرامات للأولياء أصحاب الأحوال. وقال في كفاية المعتقد: أخبرنا بعض الأخيار عن بعض الصّالحين أنّه كان يأتى قبر والده في بعض الأوقات ويتحدث معه.

---

(١) عبد الله اليافعي الشّافعي توفي سنة ٧٦٨ هـ. [١٣٦٧ م.] في مكّة المكرمة زادها الله شرفا وكرما

وأخرج اللالكائي في السّنّة عن يحيى بن معين قال قال لي حفار أعحب ما رأينا من هذه المقابر انى سمعت من قبر والمؤذن يؤذن وهو يجيبه من القير. وأخرج أبو نعيم[١] في الحلية عن سعيد بن جبير قال: أنا والله الذي لا اله الا هو ادخلت ثابت البناني في لحده ومعي حميد الطويل فلما ساوينا عليه اللبن سقطت لبنة فإذا انا به يصلّي في قبره وكان يقول: اللهم ان كنت اعطيت احداً من خلقك الصّلاة في قبره فاعطنيها فما كان الله ليرد دعائه. وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم والبيهقي عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنّه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها. فأتى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأخبره فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلم: هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر قال أبو القاسم السعدي في كتاب الافصاح: هذا تصديق من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأن الميّت يقرأ في قبره. فإن عبد الله أخبره بذلك وصدقه رسول الله صلّى الله عليه وسلم. وأخرج ابن مندة عن طلحة عن عبيد الله قال اردت ما لي بالغابة فادركنى الليل فأويت الى قبر عبد الله بن عمرو بن حزام فسمعت قرآءة من القبر فما سمعت أحسن منها فجئت الى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فذكرت ذلك له. فقال: ذلك عبد الله ألم تعلم ان الله قبض أرواحهم فجعلها في قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنّة. فإذا كان الليل ردّت اليهم ارواحهم فلا تزال كذلك حتى إذا طلع الفجر ردّت ارواحهم الى مكانها الذي كانت فيه.

وأخرج أبونعيم في الحلية عن ابراهيم ان المهلبي قال حدثنى الذين كانوا يمرون بالمصر في الاسحار قالوا: كنا إذا مررنا بجنبات قبر ثابت البناني سمعنا قرآءة القرآن.

واخرج ابن مندة[٢] عن سلمة بن شبيب. قال سمعت ابا حماد الحفار. وكان ثقة ورعاً قال: دخلت يوم الجمعة المقبرة نصف النهار، فما مررت بقبر إلا سمعت

---

(١) أبو نعيم أحمد الاصفهاني توفي سنة ٤٣٠ هـ. [١٠٣٩ م.]

(٢) ابن منده محمّد توفي سنة ٣٩٥ هـ. [١٠٠٥ م.]

منه قراءة القرآن. وأخرج ابن مندة عن عاصم السقطي قال: حفرنا قبراً ببلخ فنفذ في قبر فنظرت فإذا بشيخ في القبر متوجه الى القبلة وعليه إزار أخضر واخضر ما حوله وفي حجره مصحف يقرأ فيه واخرج ابن مندة عن أبي النصر النيساپوري الحفار. وكان صالحاً ورعاً قال: حفرت قبراً فانفتح في القبر قبر آخر، فنظرت، فإذا أنا بشاب حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح جالساً متربعاً وفي حجره كتاب مكتوب بخضرة أحسن ما رأيت من الخطوط وهو يقرأ القرآن فنظر الشاب إليّ وقال: أقامت القيامة؟ قلت: لا فقال: اعد المدرة الى موضعها فاعدها إلى موضعها.

ونقل السهيلي[١] في دلائل النّبوّة عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنّه حفر في مكان فانفتحت طاقة. فإذا شخص على سرير وبين يديه مصحف يقرأ فيه وامامه روضة خضراء وذلك بأحد، وعلم أنّه من الشهداء لأنه رأى في صفحة وجهه جرحاً. وأورد ذلك ايضاً أبو حيان في تفسيره. وحكى اليافعي في روض الرياحين عن بعض الصّالحين قال: حفرت لرجل من العباد قبراً وألحدته فيه فبينما أنا أسوي اللحد اذ سقطت لبنة من لحد بلية فنظرت فإذا شيخ جالس في القبر عليه ثياب بيض تقعقع وفي حجره مصحف من ذهب مكتوب بالذهب وهو يقرأ فيه فرفع رأسه إليّ وقال: أقامت القيامة رحمك الله؟ قلت: لا فقال ردّ اللبنة الى موضعها رعاك الله فرددها وقال اليافعي ايضاً: روينا عمن حفر القبور من الثقاة أنّه حفر قبراً فأشرف فيه على انسان جالس على سرير وبيده مصحف يقرأ فيه وتحته نهر يجري فغشي عليه وأخرج من القبر و لم يدروا ما أصابه فلم يفق إلاّ في اليوم الثالث.

واخرج سعيد بن منصور عن عدية بنت أهبان بن صفى الغفاري صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالت: أوصانا أبي ان نكفنه في قميص قالت فلمّا أصبحنا من الغد من يوم دفنّا إذا نحن بالقميص الذي دفناه فيه عندنا.

---

(١) السهيلي عبد الرحمن الاندلسي توفي سنة ٥٨١ هـ. [١١٨٥ م.]

واخرج ابن أبي الدّنيا في كتاب المنامات بسند لا بأس به من مرسل راشد بن سعد ان رجلا توفيت أمراته، فرأى نساء في المنام ولم ير أمراته معهن. فسألهن عنها فقلن: انكم قصرتم في كفنها فهي تستحى تخرج معنا فأتى الرجل الى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأخبره فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلم: انظر هل الى بقية من سبيل فأتى رجلاً من الأنصار قد حضرته الوفاة فأخبره فقال الانصاري: إن كان احد يبلغ الموتى بلغته فتوفى الانصاري فجاء بثوبين مشردين بالزعفران فجعلهما في كفن الانصاري فلما كان الليل أتى النسوة ومعهن امرأته، وعليها الثوبان الأصفران انتهى.

وذكر الشّيخ الشّعراوي رحمه الله تعالى في كتابه (طبقات الأخيار) في ترجمة الشّيخ أحمد البدوي ان سيدي عبد العزيز الديريني رضي الله عنه كان إذا سئل عن سيدي أحمد البدوي قال: هو بحر لا يدرك له قرار واخباره ومجيئه بالاسرى من بلاد الفرنج وإغاثة الناس في قطاع الطريق وحيلولته بينهم وبين من استنجد به لا تحويها الدفاتر رضي الله تعالى عنه قلت: وقد شاهدت انا بعيني سنة خمس واربعين وتسعمائة اسيراً على منارة سيدي عبد العال مقيداً مغلولاً وهو مخبط العقل فسألته عن ذلك فقال: بينما انا في بلاد الفرنج آخر الليل توجهت الى سيدي أحمد فإذا أنا به فأخذني وطار بي في الهواء فوضعني هنا فمكث يومين ورأسه دائرة عليه شدة من الخطفة انتهى وهذا كله، صريح بثبوت الكرامات بعد الموت وهو أمر حق في نفسه لا يشكّ فيه إلا كلّ ناقص الإيمان منطمس البصيرة مطرود عن باب فضل الله تعالى متعصب على أهل الله تعالى أوقعه الله تعالى في ورطة الإنكار على اوليائه تعالى وقد اهانه الله تعالى وغضب عليه والقاه الى الشيطان يتلاعب به ليبغض من يحبهم الله تعالى فيعرضه للاستخفاف بهم وبكراماتهم وإهانة قبورهم واحتقارها مع ان المعلوم عند من قرأ في علم العقائد والتوحيد ان الارواح لها اتصال بالأجساد بعد الموت كإتصال شعاع الشمس بالأرض والروح في مقرّها فيجب احترام قبور المؤمنين البتة لهذا المعنى حتى قال الجلال السّيوطي رحمه الله تعالى في كتابه (بشرى الكئيب بلقاء

الحبيب). قال اليافعي: مذهب أهل السّنّة ان ارواح الموتى تردّ في بعض الأوقات من عليين او من سجين إلى أجسادهم في قبورهم عند إرادة الله وخصوصاً ليلة الجمعة ويجلسون ويتحدثون وتتنعم أهل النعيم وتعذب أهل العذاب. قال: ويختص الأرواح دون الأجسام بالنعيم والعذاب ما دام في عليين أو سجين وفي القبر يشترك الروح والجسد انتهى. ومما يدل على اتصال الأرواح بالأجسام في القبور بعد الموت ما نقله في بحر الكلام للإمام النسفي[١] رحمه الله تعالى من قوله في عذاب القبر. فإن قيل: كيف يوجع اللحم في القبر و لم يكن فيه الروح؟ فالجواب: سئل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قيل له: كيف يوجع اللحم في القبر و لم يكن فيه الروح: فقال عليه الصّلاة والسّلام: كما يوجع سنّك وان لم يكن فيه الروح؟ الا ترى ان النبي صلّى الله عليه وسلّم أخبر ان السنّ يتوجعّ لما أنّه متصل باللحم، وان لم يكن فيه الروح فكذلك بعد الموت لما كان روحه متصلاً بجسده فيتوجع انتهى وهذا صريح في ان روحانيات الموتى متصلة بأجسامهم التى في قبورهم وان بليت أجسامهم وصارت تراباً ولهذا جاء الشّرع باحترام قبورهم كما ذكرناه فيما تقدم فكيف لا ينبغي للمؤمنين احترام قبورهم وتعظيمها وزيارتها والتبرك بها وهم يعلمون ان الروحانيات الكاملة الفاضلة متصلة بتلك الأجساد الطيبة الطاهرة كما هو مقتضى الأخبار النبوية وان صارت ترابا ولا ارى المنكر لذلك إلا جاهلاً يعتقد من جهله ان الأرواح أغراض تزول بالموت كما تزول الحركة عن الميّت، طبق ما هو مذهب بعض الفرق الضالة، حتى أنّهم يزعمون ان الأولياء إذا ماتوا صاروا تراباً والتحقوا بتراب الأرض وذهبت روحانياتهم، فلا حرمة لقبورهم. ولهذا يهينونها ويحتقرونها وينكرون على من زارها وتبرك بها حتى إني سمعت بأذني رجلاً يقول يوماً وانا أسمع وكنت ذاهباً الى زيارة قبر الشّيخ آرسلان الدمشقي[٢] رضي الله عنه: كيف تزورون تراباً؟ ما هذا إلاّ قلة عقل

---

(١) ميمون النسفي الحنفي توفي سنة ٥٠٨ هـ. [١١١٤ م.]

(٢) الشّيخ ارسلان توفي سنة ٥٤٠ هـ. [١١٤٥ م.] في الشام

فتعجبت من ذلك غاية العجب، وقلت في نفسي: ما هذا قول من يدعي الاسلام، ولا حول ولا قوة الاّ بالله العلى العظيم.

وقد ورد في الحديث (**ان القبر روضة من رياض الجنّة او حفرة من حفر النيران**) ولا معنى لذلك إلا ان روحانيات الموتى إمّا تنعم في قبورهم أو تعذب فيها وذلك باتصال الروحانيات بالأجساد البالية التى خرجت من الدّنيا وهى طاهرة بالإيمان والطاعات أو قذرة بالكفر والمخالفات فحينئذٍ قبور المؤمنين محترمة متبجلة معظمة كما كانوا قبل ذلك، وهم أحياء محترمون متبجلون فإن من احتقر عالما أو بغضه خيف عليه الكفر، كما صرّح بذلك الفقهاء.

ولا فرق بين الأحياء في ذلك والأموات أرأيت ان الأحياء والأموات كلهم مخلوقات الله تعالى لا تأثير لأحد منهم في شئ من الأشياء البتة وانما المؤثر هو الله تعالى وحده على كل حال والأحياء والاموات سواء في عدم التأثير قطعاً من غير شبهة ولكن الاحترام واجب في حق الجميع قال تعالى (**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَآئِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** * الحج: ٣٢) وشعائر الله هى الأشياء التى تشعر اي تعلم به تعالى كالعلماء والصّالحين احياء وامواتاً ونحوهم.

ومن تعظيمهم بناء القباب على قبورهم وعمل التوابيت لهم من الخشب حتى لا تحتقرهم العامة من الناس وإن كان ذلك بدعة فهى بدعة حسنة كما قال الفقهاء في تكبير العمائم وتوسيع الثياب للعلماء أنّه جائز حتى لا تستخف بهم العامة ويحترمونهم وإن كان ذلك بدعة لم يكن عليها السلف حتى قال في جامع الفتاوى في البناء على القبر: وقيل لا يكره إذا كان الميّت من المشايخ والعلماء والسادات وفي المضمرات[١] وكان الشّيخ أبو بكر محمد بن الفضل يقول لا بأس باستعمال الآجر في ديارنا وكان يجوز استعمال رفوف الخشب وذكر الامام التمرتاشي: هذا إذا كان حول الميّت وأما إذا كان فوقه فلا يكره لأنّه عصمة من السباع وهذا كما اعتادوا التسنيم باللبن

---

(١) صاحب المضمرات يوسف بن عمر الحنفي توفي سنة ٨٣٢ هـ. [١٤٢٩ م.]

صيانة عن النبش ورأوا ذلك حسناً وفي تنوير الأبصار: ولا يرفع عليه بناء وقيل لا بأس به وهو المختار وفي شرح الكنز للزيلعي وقيل لا بأس بالكتابة ووضع الحجر ليكون علامة لما روي أنّه عليه السّلام وضع حجراً على قبر عثمان بن مظعون انتهى.

واما وضع الستور والعمائم والثياب على قبور الصّالحين والأولياء فقد كرهه الفقهاء حتى قال في فتاوى الحجة: وتكره الستور على القبور انتهى ولكن نحن الآن نقول إن كان القصد بذلك التعظيم في أعين العامّة حتى لا يحتقروا صاحب هذا القبر الذي وضعت عليه الثياب والعمائم ولجلب الخشوع والأدب لقلوب الغافلين الزائرين لأن قلوبهم نافرة عن الحضور والتأدب بين يدي أولياء الله تعالى المدفونين في تلك القبور، كما ذكرنا من حضور روحانياتهم المباركة عند قبورهم فهو امر جائز لا ينبغي النّهي عنه لأن (**الأعمال بالنيات**)، و(**لكل إمرئ ما نوى**) فإنه وإن كان بدعة على خلاف ما كان عليه السلف ولكن من قبيل قول الفقهاء في كتاب الحج: أنّه بعد طواف الوداع يرجع القهقري حتى يخرج من المسجد لأن في ذلك إجلال البيت وتعظيمه، حتى قال في منهج السالك وما يفعله الناس من الرّجوع القهقري بعد الوداع فليس فيه سنة مروية ولا أثر محكى وقد فعل أصحابنا انتهى وهذا تعظيم للبيت الحرام مع أنّه جماد والأولياء أفضل منه من غير شبهة لأنّهم مكلفون بخدمة الله تعالى دون الكعبة لأن عبادها بلا تكليف وإن كانوا امواتاً فالميت كالجماد والاحترام لازم في حق الجميع وكسوة الكعبة أمر مشروع حتى ذكروا أنّه يجوز ستر الكعبة بالحرير وقبور الصّالحين والأولياء وان لم تكن كعبة ولا كالكعبة من جهة الاحكام ولكنها محترمة لأن الكعبة انما امرنا بالتوجه إليها والطواف بها وتعظيمها واحترامها مع أنها جماد ابتلاء من الله تعالى تكليفاً لنا وإلاّ فهى أحجار وكل من كان سجوده لها نفسها كان عابد اصنام فيكفر بالله تعالى ولهذا ورد ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال حين قبّل الحجر في طوافه انى أعلم انك حجر لا تضرّ ولا تنفع ولو لا إنى رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فعل ذلك ما فعلته قالوا سبب ذلك أنّه

تذكر وضع الجاهلية الاصنام حول البيت وسجودهم لها فخشي ان يظن احد ان تقبيل الحجر يشبه نوعاً من الجاهلية فقال ما قال رضي الله عنه وما سمعنا احداً من العامة ولا غيرهم يعتقد ان قبور الصّالحين كعبة يصح الطواف بها أو تصح الصّلاة اليها حتى نخاف عليهم من ذلك وإنما العامة جميعهم يعلمون ان القبلة هى الكعبة وحدها وانها في مكّة ولكنهم يبالغون في التعظيم والاحترام لتلك القبور لأنها قبور أولياء الله تعالى وقبور احبائه تعالى وأهل صفوته هذا مقدار ما نعلم من أحوالهم والمؤمن لا يظن بالمؤمنين إلا خيراً.

وقد ورد في الحديث كما اخرجه الأسيوطي رحمه الله تعالى في الجامع الصغير قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: (**حسن الظن من حسن العبادة**) وقال تعالى (**يَآ اَيُّهَآ الَّذِينَ اَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ ان بَعْضَ الظَّنِّ اِثْمٌ ولاَ تَجَسَّسُوا ولاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا** * الحجرات: ١٢) ويجب الحمل على الكمال في حق عامة المؤمنين كما كان يعاملهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مع علمه باطلاع الله تعالى له إن منهم المنافقين الذين كانوا يبطنون الكفر والجحود ويظهرون الإيمان ومع ذلك كان يعامل الجميع معاملة اهل الإيمان لانه جاء يحكم بالظاهر والله يتولى السّرائر كما قال عليه الصّلاة والسّلام (**أُمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وانّي رسول الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم واموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله**) ولا ينبغي لمسلم ان ينكر كل ما يراه حدث و لم يكن في العصر الأول ما لم يطلع على قباحته وان فاعله فعله على وجه يخالف ما هو مقصود الدّين المحمّدي أرايت ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول (**من سن سنة حسنة كان له ثوابها وثواب من عمل بها الى يوم القيامة**) فقد سمى ما تحدثه الأمة بعده مما هو غير مخالف لمقصود شرعه سنة مع أنّه لم يكن له وجود في زمنه صلّى الله عليه وسلّم فالبدعة الحسنة الموافقة لمقصود الشّرع تسمى سنة على هذا تسمية وردت على لسان الشارع صلّى الله عليه وسلم.

ومن هذا القبيل ما ذكره الفقهاء في مبحث زيارة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم

من قولهم وما يفعله بعض الناس من النزول بالقرب من المدينة والمشى الى ان يدخلها حسن وكل ما كان ادخل في الأدب والاجلال كان حسناً كما ذكره والدى رحمه الله تعالى في حاشيته على شرح الدّرر في كتاب الحج.

ويقاس على هذا إيقاد القناديل والشمع عند قبور الأولياء والصّالحين وهو أيضاً من باب التعظيم والإجلال للأولياء فالمقصد فيها مقصد حسن لا سيما إن كان لذلك الوليّ فقراء يخدمونه، يحتاجون الى ايقاد المصباح ليلاً لقراءة قرآن أو تسبيح أو تهجد وان كره الفقهاء الصّلاة عند القبور ولكن محله في غير الموضع المعد لذلك، المتباعد عن القبر وقد قال والدى رحمه الله تعالى في حاشيته على شرح الدّرر: وتكره الصّلاة في المقبرة لأنه يشبه اليهود فإن كان فيها موضع أعد للصلاة ليس فيه قبر ولا نجاسة فلا بأس به كما في الخانية وفي الحاوي فإن كانت القبور وراء المصلى لا يكره وإن كان بينه وبين القبر مقدار ما لو كان في الصّلاة ومر انسان لا يكره فهنا أيضاً لا يكره انتهى.

واما وضع اليدين على القبور والتماس البركة من مواضع روحانيات الأولياء فهو أمر لا بأس به ايضاً قال في جامع الفتاوى وقيل لا يعرف وضع اليد على المقابر سنة ولا مستحباً ولا نرى به بأساً انتهى والأعمال بالنّيّات فإن كان مقصده خيراً كان خيرا والله يتولى السّرائر.

واما نذر الزيت والشمع للأولياء يوقد عند قبورهم تعظيماً لهم ومحبةً فيهم فهو جائز في الجملة أرأيت ان الفقهاء قالوا في وقف الذّمّى الزيت على سراج بيت المقدس: أنّه صحيح لكونه قربة عندنا وعندهم وفي كتاب أوقاف الخصاف من بحث وقف الذمى فإن قال أرضى صدقة موقوفة تكون غلتها في ثمن زيت للاسراج في بيت المقدس قال: هذا جائز لأنه قربة عندنا وعندهم انتهى وبيت المقدس مسجد شريف فالإسراج فيه من جلة تعظيمه وكذلك قبور الصّالحين والأولياء المقربين.

وكذلك نذر الدراهم والدنانير للأولياء بأنّ تصرف على فقرائهم المجاورين

عند قبورهم أمر جائز في نفسه لان النذر فيه مجاز عن العطية كما قالوا في الهبة للفقراء أنّه صدقة فليس له الرّجوع بها وفي الصدقة على الاغنياء انها هبة فيثبت له الرّجوع فيها فالعبرة لمقاصد الشّرع دون الألفاظ فإن النذر انما هو مخصوص بالله تعالى فإذا استعمل في غيره كمن قال لرجل لك عليّ عشرة دراهم ان شفا الله مريضى ونحوه ثم قال نذرت لفلان كذا كان وعداً منه بذلك وهو مجاز عن الهبة إن كان ذلك الرجل غنياً وعن الصدقة إن كان فقيراً ورب انسان يقول لآخر من اهل الذمة الكافرين بالله تعالى ان شفا الله تعالى مريضى فلك عندي مائة درهم مثلاً ولا يأثم في قوله ذلك ويكون صدقةً لأن الصدقة على فقراء أهل الذمة جائزة ما عدا الزكاة، كما قرره الفقهاء في كتبهم فكيف يقول عاقل بحرمة قول الانسان لولي من الأولياء بعد الموت ان شفا الله مريضى فلك عندي مائة درهم ونحوه مع ان اهل الولاية أولى في هذا المعنى من غيرهم وان كانوا امواتاً فإن القائل يعلم ان ذلك يصرف في مصالح الخادم لذلك الوليّ وللفقراء المجاورين عنده فيجعل ذلك وعداً وعطيةً وإباحةً من ذلك القائل لكل من يأخذه، تصحيحاً لقول المؤمنين ما امكن والله ولي التوفيق.

وأما احتجاج بعض الناس علىتحريم هذه الأمور بغير دليل قطعي فموجبه عدم الحياء من الله تعالى وعدم الخوف منه فإن الحرام في النّهي في مقابلة الفرض في الأمر وكل منهما يحتاج في ثبوته الى دليل قطعي إما آية من كتاب الله تعالى أو سنة متواترة أو اجماع معتد به أو قياس يورده المجتهد لا غيره من المقلدين لانه لا عبرة بقياس المقلدين الذين لم تتوفر فيهم شروط الاجتهاد كما هو مسطر في كتب الأصول.

وأما قول بعض المغرورين: بأننا نخاف على العوام إذا اعتقدوا وليّا من الأولياء وعظموا قبره والتمسوا البركة والمعونة منه ان يدركهم اعتقاد ان الأولياء تؤثر في الوجود مع الله تعالى فيكفرون ويشركون بالله تعالى، فننهاهم عن ذلك ونهدم قبور الأولياء ونرفع البنيانات الموضوعة عليها، ونزيل الستور عنها، ونجعل الإهانة للأولياء

ظاهراً حتى تعلم العوام الجاهلون ان هؤلاء الأولياء لوكانوا مؤثرين في الوجود مع الله تعالى لدفعوا عن أنفسهم هذه الإهانة التى نفعلها معهم فاعلم ان هذا الصنيع كفر صريح مأخوذ من قول فرعون على ما حكاه الله تعالى لنا في كتابه القديم بقوله تعالى: (**وَقَالَ فِرْعَوْنَ ذَرُونِي اَقْتُلْ مُوسَى ولْيَدْعُ رَبَّهُ اِنِّي اَخَافُ اَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ اَوْ اَنْ يُظْهِرَ فِي اْلاَرْضِ الْفَسَادَ** * المؤمن: ٢٦) وكذلك هؤلاء المغرورون لم يكمل إيمانهم بعد بأن الله تعالى يحب أولياءه وأنّه يخلق على ايديهم في حياتهم جيع ما قدر ان يريدوه مما لم يخالف الشّرع وجميع ما تريده روحانياتهم بعد موتهم بأمره تعالى الذي روحانياتهم منه من الأمور الخارقة للعادة وكأنهم لم يعلموا بعد ان الإيمان حق وأنّه منج عند الله تعالى فقلوبهم مملؤة من ظنون وشكوك واوهام وتحيرات وزيغ وقد عموا وصموا وختم الله تعالى علىقلوبهم حتى لم يقدروا على الفرق بين الحق والباطل ومن يضلل الله فما له من هادٍ ولو أنّهم صدقوا في خوفهم ذلك علىعامة المسلمين لقرروا لهم أحكام العقائد والتوحيد وعلموهم البراهين والحجج القطعية من غير منازعة ولا جدال وحملوهم على الفهم في العقائد والنظر في الفضائل وشدّوا عليهم في ذلك غاية التّشديد، فإن العامة متى تحققوا في نفوسهم ان الفاعل واحد على كل حال ولا تأثير لشئ البتة تحولت خواطرهم عن اعتقاد التاثير في غيره تعالى وعلموا ان كل ما سواه تعالى بيده تعالى، فتن وتحيرات تسمى أسبابا يضل الله بها من يشاء ويهدي من يشاء قال تعالى: (**وَاللهُ مِنْ وَرَآئِهِمْ مُحِيطٌ** * البروج: ٢٠) يعني من وراء جميع الأشياء المحسوسات والاشياء المعقولات على معنى أنّه لا يشبهها ولا تشبهُهُ البتة وعلى فرض ان يكون غرضهم ذلك المذكور فكيف يجوز انتهاك حرمات الله تعالى في حق أوليائه واهل خاصته بهدم قبابهم وتحقير قبورهم في عيون العامة وهتك ستورهم الموضوعة احتراماً لهم من أجل هذا الأمر الموهوم وهو خوف الضّلال على العامة وكيف يجوز الظن السوء في حق العامة و لم يكن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولا أصحابه يفعلون ذلك لأن الظن السوء بالمسلمين حرام محقق كما قدمناه.

وأما اعتقاد شيخ بعينه والانتماء إليه والسلوك على طريقته الخاصة فهو أمر مطلوب فإن العمل بالجوارح كما يحتاج المقلد فيه إلى سلوك مذهب مخصوص ان لم يكن مجتهدا كالحنفي يقلد أبا حنيفة والشّافعي يقلد الشّافعي ونحو ذلك، كذلك سلوك الطريق إلى الله تعالى يحتاج الى تقليد شيخ مخصوص في البداية لتتصل البركة والامداد بواسطة محبة ذلك الشّيخ واعتقاده من الله تعالى الى ذلك الانسان، كما ان الشّيخ إذا كان حيّاً تتصل بركته بخادمه ومعتقده والمستمد منه فكذلك الشّيخ إذا كان ميتاً مدفوناً في قبره فإن المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى ولا فرق في الاستمداد بين الشّيخ الحي والميّت بعد معرفة انهما لا يؤثران في شئ من الاشياء مع الله تعالى قطعاً، فإن المريد الصادق إذا صدق في طلب المدد من الله تعالى على يد شيخ حي او ميّت مما هو سبب من جملة الأسباب، فالله تعالى لا يخيبه البتة فإن المرشد الكامل إذا كان حيّاً ليس في وسعه إيصال المريد إلى الله تعالى بتأثيره وإنما الموصل هو الله تعالى وحده ولكن المرشد سبب كما قال تعالى لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم الذي هو أعظم مرشد للامّة: (**اِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ اَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَآءُ وهُوَ اَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** * القصص: ٥٦) وقال له: (**لَيْسَ لَكَ مِنَ الاَمْرِ شَيْءٌ** * آل عمران: ١٢٨).

ونقل قدوتنا الشّيخ الاكبر محي الدّين ابن العربي قدس الله سرّه: ان من جملة مشايخه الذين انتفع بهم في طريق الله تعالى ميزاب رآه في مدينة فاس في حائط يترل منه ماء السطح فانتفع به ومن مشايخه ظله الممتد من شخصه وذكر نحو ذلك في كتابه روح القدس وهذه الأولياء الذين في قبورهم أليس أنّهم أعلى من الميزاب والظل اللذين كان يستمد منهما الشّيخ الاكبر رضي الله عنه بسبب صدقه في طلبه فكيف ينكر عاقل استمداد انسان من ولي ميّت من أولياء الله تعالى وهو يعلم ان روحانيات الأولياء متصلة بأجسامهم في قبورهم كما سبق بيانه وكيف يستبعد انسان مسلم هذا الاستمداد من الأموات الذين هم أفضل من هؤلاء الأحياء الغافلين عن معرفة رب العالمين بيقين ومع ذلك تراه إذا عرضت له حاجة إلى ظالم أو فاسق

أو كافر جاء اليه متذللاً خاضعاً ويداهنه، ويطلب منه قضاء حاجته ويستمد منه ثم يقول: فلان قضى حاجتى ونفعنى بل إذا جاع استمد الشبع من المأكل، وإذا عطش استمد الري من الماء وإذا عرى استمد ستر العورة من الثوب، ونحو ذلك استمداداً طبيعياً مع علمه ان المأكل والماء والثوب جمادات لا روح فيها ولو صرح بهذا الاستمداد وقال: أنا أطلب الشبع من المأكل ونحوه على المعنى المجازي مع اعتقاده ان الله تعالى هو الممدّ الحقيقي فلا خطأ عليه ولا اثم ولا عار وكذلك يقول هذا الغافل الدواء الفلاني مسهل والشئ الفلانى قابض والمعجون الفلان نافع من كذا، ولا يبالي في هذا القول ولا يظهر منه الانتقاد والاحتراز إلاّ في حق نسبة التاثير والاستمداد إلى أولياء الله تعالى الذين هم أفضل عند الله تعالى من كل دواء وكل معجون وما ذلك إلاّ من انطماس البصيرة والعماء عن الصواب.

ومما يحث المريد على اتخاذ الشّيخ الحيّ مسترشدا منه او الميّت مستمدا منه ما نقله الشّيخ عبد الوهاب الشّعراوي رحمه الله تعالى في كتابه العهود المحمدية ان معروف الكرخي كان يقول لأصحابه إذا كان لكم الى الله تعالى حاجة فاقسموا عليه بي ولا تقسموا عليه به تعالى فقيل له في ذلك فقال هؤلاء لا يعرفون الله تعالى فلم يجبهم، ولو أنّهم عرفوه لأجابهم وكذلك وقع لسيدى محمّد الحنفي الشّاذلي أنّه كان يعدى من مصر إلى الروضة ماشياً على الماء هو وجماعته فكان يقول لهم قولوا يا حنفي وامشوا خلفي وإياكم ان تقولوا يا الله! تغرقوا فخالف شخص منهم وقال يا الله فزلقت رجله فترل الى لحيته في الماء فالتفت اليه الشّيخ وقال يا ولدي انك لا تعرف الله تعالى حتى تمشى باسمه على الماء، فاصبر حتى اعرفك بعظمة الله تعالى ثم اسقط الوسائط انتهى.

وفي الجملة فاتخاذ الشّيخ الحي ان وجد، وإلا فالميت أولى والكل أموات لما قدمناه من اشارة قوله تعالى (**اِنَّكَ مَيِّتٌ وِاِنَّهُمْ مَيِّتُون** * الزمر: ٣٠) فافهم ترشد ان شاء الله تعالى ولا تعترض تكن من الهالكين فإن الله تعالى يغار لاوليائه إذا انتهكت

حرماتهم أشد غيرة ولا إله غيره (**اِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * ومَا هُوَ بِالْهَزْلِ * اِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * واَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ اَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا** * الطارق: ١٣-١٧)

وأما هذه الطبول والنايات وهذه الأعلام والرايات التي تتقيد بها الفقراء اليوم وهذه الأوقات التي اخترعتها مشايخ هذا الزمان فإن جميعها جهل ولهو وبطالة لا ينبغي للشيخ المرشد ان يعملها ولا ان يقرّ عليها لما يترتب عليها من مفسدة الغرور بغير الله تعالى والاعراض عن طلب العلم النافع والاجتهاد في سنن سيد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم وان كنا نحن لا ننكرها على الكاملين العارفين إذا صدرت منهم (**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعلَمُونَ والَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ اِنَّمَا يَتَذَكَّرُ اُولُوا الْاَلْبَابِ** * الزمر: ٩).

واما الاجتماع وذكر الله تعالى الصّحيح الخالي من اللحن مع الادب والخشوع بعد معرفة الواجب من الاعتقاد الموافق والواجب من كيفية الأعمال الصّالحة في العبادات والمعاملات فهو أمر جائز مندوب إليه ولا التفات لمن رده من تعصبه وجهله فقد نقل الشّيخ المناوي رحمه الله تعالى في الشرح الكبير على الجامع الصغير عن الشّيخ الاسيوطي رحمه الله تعالى أنّه اخذ من قوله عليه الصّلاة والسّلام: (**أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون**) ونحو هذا الحديث ان ما اعتاده الصّوفية من عقد حلق الذكر والجهر به في المساجد ورفع الصوت بالتهليل لا كراهة فيه ذكره في فتاواه الحديثية، قال وقد وردت أخبار تقتضى ندب الجهر بالذكر وأخبار تقتضى الاسرار به والجمع بينهما ان ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص كما جمع النووي رضي الله عنه به بين الأحاديث الواردة بندب الجهر بالقراءة والواردة بندب الأسرار بها انتهى كلامه.

وأما خصوص هذا الصعق والزعق والصياح والاضطراب والتواجد عند سماع اقوال المغنّين واحتباك اصوات الذاكرين جهراً فلا نطلق القول فيه وإنما نفصل فإن كان بحق بأن قام للتواجد قومة المضطر الذي استغرته المعانى الالهية الواردة على قلبه وخاطره في ذلك الوقت، فإنّا لا ننكر ذلك ولكن نسلمه لفاعله على أنّه ليس كمالاً له والكمال في السكون كما قال الشّيخ ارسلان رضي الله عنه في رسالته في علم

التوحيد إذا عرفته سكنت وإذا جهلته تحركت واما إذا كان قيامه وتواجده مجرد شهوة نفسية بعثته فحركته عمدا وهيّمته واطربته وحملته على فعل ذلك الصياح والاضطراب، فهو شيطان مريد يجب منعه وطرده واخراجه من بين الجماعة حتى لا يفسد بقية الذاكرين ويشتت قلوبهم ويزيل خشوعهم وادبهم.

فان قال قائل: من اين يعرف المريد المحق من المبطل؟ نقول له من شرب الخمرة لابد ان يتقاياها او تنفح رائحتها من فمه وبيان ذلك انّا نسأله ما الذي حملك حتى صحت وزعقت واضطربت؟ فإن بيّن معنى الهياً يحمل ذلك وشرح لنا شيئاً من المعاني الواردة على قلبه عند السّماع بحيث نستدل بالثمرة على الأغصان وبالزهرة على البستان سلمنا له ذلك واعتقدنا فيه الصّلاح. واما إذا سألناه فوجدناه من جملة الثيران لا يزيد على قوله همت في محبة ربي واهاجنى ذكري حقائق الوجود وهو متعرٍ من كل فضيلة فهو شيطان عنيد يجب طرده واخراجه وتأديبه.

واما إنشاد الأشعار التى تكلم بها العارفون كأشعار الشّيخ شرف الدّين ابن الفارض والشّيخ الاكبر ابن العربي وعفيف الدّين التلمساني[١] والشّيخ عبد الهادي السودي[٢] ونحوهم من السادة الصّوفية رضي الله عنهم فهي جملة المهيجة القلبية الى الحضرة الإلهية فكل من كان يفهم الحقائق يجوز له سماعها وإنشادها وكل من الهته واوقعته في الطرب النفساني ولم ينتفع منها بوارد يرد على قلبه فلا يجوز له سماعها، لأن سماعه حينئذٍ مجرد لهو وبطالة، كما قال الشاعر:

لقد اسمعت لو ناديت حياً * ولكن لا حياة لمن تناوي

ويجب علينا ان لا نسيئ الظنون في احد من العالمين الاّ لمجاهر بكفره ومتهتك بفسقه إذا اخبر عن نفسه او اطلعنا عليه من فلتات كلامه وتحققنا عدم فهمه وعدم تحققه بربه، والجميع عندنا محمولون على الكمال ولكن هذا مقدار الواجب علينا في

---

(١) عفيف الدّين سليمان التلمساني توفي سنة ٦٩٠ هـ. [١٢٩١ م.] في الشام

(٢) عبد الهادي الحمصي توفي سنة ١١٩٣ هـ. [١٧٧٩ م.]

البيان ويجب على كل مسلم ان لا يخون نفسه ويغالطها فإن وجد لها قوة على المعرفة والانتفاع بحضور حلق الذكر المشتمل على السّماع والوجد والإنشاد فليحضر، وإلاّ فاشتغاله بطلب العلوم النافعة اولى كما قال القائل شعرا:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه * وجاوزه إلى ما تستطيع

وليحذر كل الحذر ان يكون منافقاً في الطريق فإن الناقد بصير (**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** * البقرة: ٢٣٤).

واما هذا الزيّ المخصوص الذي اتخذه كل فريق من الصّوفية كلبس المرقعات وميازر الصوف والميلويات فهو امر قصدوا به التبرك بمشايخهم الماضين، فلا ينهون عنه ولا يؤمرون به فإن غالب ملابس هذا الزمان من هذا القبيل كالعمائم التى اتخذها الفقهاء والمحدثون والعمائم التي اتخذها العساكر والجنود والملابس التى تتخذها عوام الناس وخواصهم فإنّها جميعها مباحة، وليس فيها شئ يوافق السّنّة الاّ القليل ولا نقول انها بدع ايضاً لأن البدعة هى الفعلة المخترعة في الدّين على خلاف ما كان عليه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وكانت عليه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم وهذه الهيئات والملابس والعمائم ليست مبتدعة في الدّين بل هي مبتدعة في العادة ولا هي مخالفة للسنة ايضاً على حسب ما عرف الفقهاء السّنّة بانها كل فعلة فعلها النبي صلّى الله عليه وسلّم على وجه العبادة لا العادة ولم يكن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يلبس العمامة على سبيل العبادة ولا لبس الثياب المخصوصة على طريق العبادة وانما القصد بذلك ستر العورة ودفع اذية الحر والبرد ولهذا ورد عنه لبس الصوف والقطن وغير ذلك من الثياب العالية والسافلة فليس مخالفته في ذلك مخالفة سنة وإن كان الاتباع في جميع ذلك افضل لأنه مستحب والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلّى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحابته اجمعين. آمين.

وكان الفراغ من تصنيفها نهار الاربعاء السادس والعشرين من شعبان سنة اربع وثمانين بعد الالف ١٠٨٤ من الهجرة النبوية.

النابلسي – عبد الغني بن اسماعيل بن عبد الغني بن اسماعيل بن أحمد بن ابراهيم النابلسي الدمشقي العارف بالله الحنفي الصّوفي النقشبندي القادري ولد بدمشق سنة ١٠٥٠ وتوفي بها سنة ١١٤٣. من تصانيفه: ابانة النص في مسئلة القص اي اللّحية. الابتهاج في مناسك الحاج. الابيات النورانية في ملوك الدولة العثمانية. اتحاف الساري في زيارة الشّيخ مدرك القزاري. اتحاف من بادر الى حكم النوشادر. الاجوبة الانسية عن الاسئلة القدسية. الاجوبة البتة عن الاسئلة الستة. الاجوبة المنظومة عن الاسئلة المعلومة. احترام الخبز وشكر النعمة عليه وعدم اهانته بنحو دوسه بقدميه. ارشاد المتملي في تبليغ غير المصلي. ازالة الخفا عن حلية المصطفي صلّى الله عليه وسلم. اسباغ المنة في انهار الجنة. اشتباك الاسنّة في الجواب عن الفرض والسّنّة. اشراق المعالم في احكام المظالم. اطلاق القيود شرح مرآة الوجود. انس الحافر في معنى من قال انا مؤمن فهو كافر. الانوار الالهية شرح مقدمة السنوسية. انوار السلوك في اسرار الملوك. انوار الشموس في خطب الدروس. ايضاح الدلالات في سماع الآلات. ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود. بداية المريد ونهاية السعيد. بذل الاحسان في تحقيق معنى الانسان. بذل الصّلات في بيان الصّلاة. برهان الثبوت في تبرئة هاروت وماروت. بسط الذرا عين بالوصيد في بيان الحقيقة وانجاز في التوحيد. بقية الله خير بعد الفناء في السير. بغية المكتفي في جواز الخف الحنفي. بواطن القرآن ومواطن العرفان. تثبت القدمين في سؤال الملكين. تحرير الحاوي بشرح تفسير البيضاوي. تحرير عين الاثبات في تقرير عين الاثبات. تحريك الاقليد في فتح باب التوحيد. تحريك سلسلة الوداد في مسئلة خلق العباد. تحصيل الاجر في اذان الفجر. تحفة الراكع الساجد في جواز الاعتكاف في فناء المساجد. تحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية. تحفة الناسك في بيان المناسك. تحقيق الانتصار في اتفاق الاشعري والماتريديي على الاختيار. تحفة الذوق والرشف في معنى المخالفة

الواقعة بين اهل الكشف. تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية. تحقيق معنى المعبود في صورة كل معبود. تحقيق النظر في تحقيق النظر. تخبير العباد في سكن البلاد. تشحيذ الاذهان في تطهير الادهان. تشريف التقريب في تنزيه القرآن عن التعريب. تطييب النفوس في حكم المقادم والرؤس. تعطير الانام في تعبير المنام مطبوع. تفوه الصور شرح عقد الدّرر فيما يفتى به على قول زفر. تقريب الكلام على الافهام في معنى وحدة الوجود. تكميل النعوت في لزوم الثبوت. تنبيه الافهام على عدة الحكام. شرح منظومة الحموى. تنبيه من النوم في مواجيد القوم. تنبيه من يلهو عن صحة الذكر بالاسم هو. توريث المواريث في الدلالة على موضع الأحاديث في اطراف الكتب السبعة. التوفيق الحلّي بين الاشعري والحنبلي. توفيق الرتبة في تحقيق الخطبة. ثواب المدرك لزيارة الست زينب والشّيخ مدرك. جمع الاسرار ومنع الاشرار عن الطعن في الصوفية الاخيار. جمع الاشكال ومنع الاشكال عن عبارة تفسير البغوي. الجواب التام عن حقيقة الكلام. الجواب الشّريف للحضرة الشّريفة ان مذهب أبي يوسف ومحمّد هو مذهب أبي حنيفة. الجواب العليّ عن حال الوليّ. الجواب عن الاسئلة المائة واحدى وستين. الجواب المعتمد عن سؤالات اهل صفد. الجواب المنثور والمنظوم عن سؤال المفهوم. جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص. الجوهر الكلّي في شرح عمدة المصلّي. الحاصل في الملك والمحمول في الفلك في اخلاق النّبوّة والرسالة والخلافة والملك. الحديقة الندية شرح الطريقة المحمّدية. حق اليقين وهداية المتقين. الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز. حلاوة الآلاء في التعبير اجمالا. حلّة الذهب الابريز في رحلة بعلبك وبقاع العزيز. حلية العاري في صفات الباري. الحوض المورود في زيارة الشّيخ يوسف والشّيخ محمود. الخضرة الانسية في الرحلة القدسية. خلاصة التحقيق في حكم التقليد والتلفيق. خمرة بابل وغنية بلابل في الغزليات. خمرة الحان ورنّة الالحان. شرح رسالة الشّيخ ارسلان. دفع الاختلاف من كلام القاضي والكشّاف. دفع الايهام ورفع

الايهام في الجواب والسؤال. ديوان الحقائق وميدان الرقائق. ديوان الالهيات. ديوان المدائح المطلقة في المراسلات والالغاز. ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث. رائحة الجنة شرح اضاءة الدجنة. ربع الافادات في ربع العبادات. ردّ التعنيف على المعنف واثبات جهل المصنف. ردّ الجاهل الى الصواب في جواز اضافة التأثير الى الاسباب. ردّ الحجج الداحضة على عصبة الغى الرافضة. ردّ المتين على المنقص [لعله (منقص)] العارف محيى الدّين. ردّ المفتري على الطعن للششتري. الرد الوفي على جواب الحصكفي في الخف. الرسوخ في مقام الشّيوخ. رشحات الاقلام شرح كفاية الغلام. رفع الاشتباه عن علمية اسم الله. رفع الريب عن حضرة الغيب. رفع الستور عن متعلق الجار والمجرور. رفع الضرورة عن حجّ الصيرورة. رفع العناد عن حكم التفويض والاسناد. رفع الكسا عن عبارة البيضاوي في سورة النسا. ركوب التقييد بالاذعان في وجوب التقليد في الإيمان. رنّة النسيم وغنة الرخيم. روض الانام في بيان الاجازة في المنام. روض المعطار بروائق الاشعار. زبدة الفائدة في الجواب عن الاسئلة الواردة. زهر الحديقة في ترجمة رجال الطريقة. زيادة البسطة في بيان العلم نقطة. السائحات النابلسية والسارحات الانسية. السر المختبي في ضريح ابن العربي. سرعة الانتباه لمسئلة الاشتباه. سلوى النديم وتذكرة العديم. الشمس على جناح الطائر في مقام الواقف السائر. صدح الحمامة في شروط الامامة. الصراط السوي شرح ديباجة المثنوي. صرف الاعنة الى عقائد اهل السّنّة. صرف العنان الى قراءة حفص بن سليمان. صفوة الاصفياء في بيان الفضيلة بين الانبياء. صفوة الضمير في نصرة الوزير. الصلح بين الاخوان في حكم اباحة الدخان. الطلعة البدرية في شرح القصيدة المضرية. طلوع الصباح على خطبة المصباح. الظل الممدود في معنى وحدة الوجود. العبير في التعبير. عذر الائمة في نصح الامة. العقد النظيم في القدر العظيم. شرح بيت من بردة المديح. العقود اللؤلؤية في طريق المولوية. علم الملاحة في علم الفلاحة. عيون الامثال لعديم الامثال. غاية الاجازة في تكرار الصّلاة

على الجنازة. غاية المطلوب في محبّة المحبوب. غيث القبول هما في معنى جعلا له شركاء فيما آتاهما. الغيث المنبجس في حكم المصبوغ بالنجس. فتح الاغلاق في مسئلة على الطلاق. الفتح الرّبّاني والفيض الرحماني. فتح العين عن الفرق بين التسميتين اعنى المسلمين والنصارى. فتح الكبير بفتح راء التكبير. فتح المعيد المبدي شرح منظومة سعدي افندي. الفتح المكي واللمح الملكي. فتح الكريم الوهاب في العلوم المستفادة من الناى والشاب. الفتوحات المدنية في الحضرات المحمّدية. قطرة السماء الوجود ونظرة العلماء الشهود. قلائد الفرائد في موائد الفوائد في الفروع. قلائد المرجان في عقائد الإيمان. القول الابين في شرح عقيدة أبي مدين. القول السديد في جواز خلف الوعيد والرد على الرجل العنيد. القول القاصم في قراءة حفص عن عاصم. القول المختار في الرد على الجاهل المحتار. القول المعتبر في بيان النظر. الكتابة العلية على الرسالة الجنبلاطية. كتاب الوجود والحق والخطاب والصدق. كشف الستر عن فريضة الوتر. كشف السّر الغامض شرح ديوان ابن الفارض. كشف النور عن اصحاب القبور. الكشف عن الاغلاط التسعة من بيت الساعة. الكشف والتبيان عما يتعلق بالنسيان. كفاية الغلام في اركان الاسلام. كفاية المستفيد في علم التجويد. الكشف والبيان عن اسرار الاديان. كتز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين. الكوكب الساري في حقيقة الجزء الاختياري. الكواكب المشرقة في حكم استعمال المنطقة من الفضة. كوكب الصبح في ازالة القبح. كوكب المباني وموكب المعاني. شرح صلوات سيدي عبد القادر الكيلاني. كوكب المتلالى شرح قصيدة الغزالي. الكوكب الوقّاد في حسن الاعتقاد. لطائف الانسية على عقيدة السنوسية. لمعات الانوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار. لمعات البرق النجدي شرح تجليات محمود افندي. لمعة النور المضيئة شرح الابيات السبعة الزائدة من الخمرية الفارضية. اللؤلؤ المكنون في حكم الأخبار انما سيكون. المجالس الشامية في مواعظ أهل البلاد الرومية. مخرج المتقي ومنهج المرتقي. المطالب الوفيّة شرح

الفوائد السنية. المعارف الغيبية شرح عينية الجيلية. مفاتيح القلوب في علم الحضور والغيوب. مفتاح الفتوح في مشكاة الجسم وزجاجة النفس ومصباح الروح. مفتاح المعية شرح الرسالة النقشبندية. المقاصد الممحصة في بيان كي الحمصة. المقامات الاسمى في امتزاج الاسما. مليح البديع في مديح الشفيع بديعية. مناعاة القديم ومناجاة الحكيم. نتيجة العلوم ونصيحة علماء الرسوم. نخبة المسئلة شرح التحفة المرسلة. نبذة القدمين في سؤال الملكين. نزهة الواجد في الصّلاة على الجنازة في المساجد. نسمات الاسحار في مدح النّبيّ المختار. نسيم الربيعي في التجاذب البديعي. النظر المشرف في معنى قول الشّيخ عمر بن الفارض عرفت ام لم تعرف. النعم السوابغ في احرام المدني من رابغ. نفحات الازهار على نسمات الاسحار. النفحات المنتشرة في الجواب عن الاسئلة العشرة. نفحة القبول في مدحة الرسول. نفخة الصور ونفحة الزهور في شرح قبضة النور. نقود الصرر شرح عقود الدّرر فيما يفتى به من اقوال الامام زفر للسيد أحمد الحموي. النوافح الفائحة بروائح الرؤيا الصالحة. نور الافئدة في شرح المرشدة لابي الليث. نهاية السول في حلية الرسول صلّى الله عليه وسلم. نهاية المراد شرح هدية ابن العماد في الفروع. وسائل التحقيق في رسائل التدقيق في مكاتبات العلمية. هدية الفقير وتحية الوزير. يوانع الرطب في بدايع الخطب. شرح منظومة القاضي محبّ الدّين. رسالة في تعبير رؤيا سئل عنها. رسالة في جواب سؤال ورد من بيت المقدس. رسالة في جواب سؤال ورد من مكّة المشرفة. رسالة في جواب سؤال ورد من بطريق النصارى في التوحيد. رسالة في سؤال عن حديث نبوي. رسالة في الحث على الجهاد. رسالة في حكم المستعير من الحكام. رسالة في حل نكاح المتعة على الشريعة. رسالة في قوله صلّى الله عيله سلم (**من صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه عشراً**) رسالة في كي الحمصة. (٢١٤) رسالة في معنى بيتين رأت قمر السماء وذكرتني. وغير ذلك.

هذه الكرّاسة تنوير الحلك

في إمكان رؤية النّبيّ جهاراً والملك

للشّيخ العلامة جلال الدّين السّيوطي
رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه آمين

المتوفى سنة ٩١١ هـ. [١٥٠٥ م.] في مصر

تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي جهارًا والملك

بســـم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فقد كثر السؤال عن رؤية ارباب الاحوال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في اليقظة وان طائفة من اهل العصر من لا قدم لهم في العلم بالغوا في انكار ذلك والتعجب منه وادّعوا أنّه مستحيل فألفت هذه الكراسة في ذلك وسميتها (**تنوير الحلك في امكان رؤية النّبيّ والملك**) ونبدأ بالحديث الصّحيح الوارد في ذلك اخرج البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**من رآنى في المنام فسيرانى في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي**) واخرج الطبراني مثله من حديث ابي قتادة قال العلماء اختلف في معنى قوله فسيراني في اليقظة فقيل معناه فسيراني في القيامة وتعقب بأنّه لا فائدة في هذا التخصيص لأن كل أُمته يرونه في القيامة من رآه منهم ومن لم يره وقيل المراد من آمن به في حياته ولم يره لكونه غائباً عنه فيكون مبشراً له انه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته وقال قوم هو على ظاهره فمن رآه في النوم فلا بدّ ان يراه بعيني رأسه وقيل بيقين في قلبه حكاهما القاضي أبو بكر بن العربي[١] وقال الامام أبو محمّد بن ابي جمرة في تعليقه على الاحاديث التى انتقاها من البخاري هذا الحديث يدل على انه من رآه صلّى الله عليه وسلّم في النوم فسيراه في اليقظة وقيل هذا على عمومه في حياته وبعد مماته او هذا كان في حياته وهل ذلك لكل من رآه مطلقاً او خاص بمن فيه الاهليّة والاتباع لسنته صلّى الله عليه وسلّم اللفظة تعطى العموم ومن يدّعي الخصوص فيه بغير مخصص منه صلّى الله عليه وسلّم فمتعسف قال وقد وقع من بعض الناس عدم التصديق بعمومه وقال على ما اعطاه عقله وكيف يكون من قد مات يراه الحي في عالم الشاهد قال وفي هذا القول من المحذور وجهان خطيران

---

(١) محمّد أبو بكر ابن العربي المالكي توفي سنة ٥٤٣ هـ. [١١٤٨ م.] في فاس

احدهما عدم التصديق بقول الصادق الذي لا ينطق عن الهوى صلّى الله عليه وسلّم والثانى الجهل بقدرة القادر وبتحيره كأنه لم يسمع في سورة البقرة قصة البقرة وكيف قال الله تعالى (**اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللهُ الْمَوْتَى** * البقرة: ٧٣) وقصة ابراهيم عليه السّلام في الاربع من الطير وقصة عزير عليه السّلام فالذى جعل ضرب الميت ببعض البقرة سببا لحياته وجعل دعاء ابراهيم عليه السّلام سببا لإحياء الطيور وجعل تعجب عزير سببا لموته وموت حماره ثم لإحيائهما بعد مائة سنة فمن قدر على ذلك قادر على ان يجعل رؤيته صلّى الله عليه وسلّم في النوم سببا لرؤيته صلّى الله عليه وسلّم في اليقظة وقد ذكر عن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم اظنه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّه رأى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في النوم فتذكر هذا الحديث وبقى يفكر فيه ثم دخل على بعض ازواج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم اظنها ميمونة رضي الله تعالى عنها فقص عليها قصته فقامت واخرجت له مرآته صلّى الله عليه وسلّم قال رضي الله تعالى عنه فنظرت في المرآة فرأيت صورة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولم ار لنفسي صورةً وقد ذكر عن السلف والخلف وهلم جرا عن جماعة ممن كانوا رأوه صلّى الله عليه وسلّم في النوم وكانوا ممن يصدقون هذا الحديث فرأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن اشياء كانوا منها متشوشين فاخبرهم بتفريجها ونص لهم على الوجوه التى منها يكون فرجة فجاء الامر كذلك بلا زيادة ولا نقص قال والمنكر لهذا لا يخلو اما أن يصدق بكرامات الأولياء او يكذب بها فإن كان ممن يكذب بها فقد سقط البحث معه فإنّه يكذب ما اثبته السّنّة بالدلائل الواضحة وإن كان مصدقا بها فهذه من ذلك القبيل لأن الأولياء يكشف لهم بخرق العادة عن اشياء في العالمين العلوي والسفلي عديدة فلا ينكر هذا مع التصديق بذلك انتهى كلام ابن ابي جمرة وقوله ان ذلك عام وليس بخاص بمن فيه الاهليّة والاتباع لسنته صلّى الله عليه وسلّم مراده وقوع الرؤية الموعود بها في اليقظة على الرؤية في المنام ولو مرةً واحدةً تحقيقاً لوعده الشّريف الذي لا يخلف واكثر ما يقع ذلك للعامة قبل الموت

عند الاحتضار فلا تخرج روحه من جسده حتى يراه وفاء بوعده واما غيرهم فتحصل لهم الرؤية في طول حياتهم اما كثيرا واما قليلا بحسب اجتهادهم ومحافظتهم على السّنّة والاخلال بالسنّة مانع كبير واخرج مسلم في صحيحه عن مطرف قال قال لي عمران بن حصين رضي الله عنه قد كان يسلم عليّ حتى اكتويت فترك ثم تركت الكي فعاد واخرج مسلم من وجه آخر عن مطرف قال بعث الى عمران بن حصين رضي الله عنه في مرضه الذي توفي فيه فقال اني محدثك فإن عشتُ فاكتم عني وان مت فحدث بها ان شئت أنّه قد سلم قال النووي في شرح مسلم معنى الحديث الاول ان عمران بن حصين رضي الله عنه كانت به بواسير فكان يصبر على ألمها وكانت الملائكة تسلّم عليه واكتوى فانقطع سلامهم ثم ترك الكي فعاد سلامهم عليه قال وقوله في الحديث الثاني فإن عشتُ فاكتم عني اراد به الاخبار بالسلام عليه لانه كره أن يشاع عنه ذلك في حياته لما فيه من التعرض للفتنة بخلاف ما بعد الموت وقال القرطبي[١] في شرح مسلم يعني ان الملائكة كانت تسلم عليه اكراماً له واحتراماً الى أن اكتوى فتركت السّلام عليه ففيه اثبات كرامات الأولياء واخرج الحاكم في المستدرك[٢] وصحّحه من طريق مطرف بن عبد الله عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال اعلم يا مطرف إنّه كان يسلم عليّ الملائكة عند رأسي وعند البيت وعند باب الحجرة فلما اكتويت ذهب ذاك قال فلما برأ كلمه قال اعلم يا مطرف أنّه عاد اليّ الذي اكتم عليّ حتى اموت فانظر كيف حجب عمران عن سماع تسليم الْملائكة لكونه اكتوى مع شدة الضرورة الى ذلك لأن الكيّ خلاف السّنّة قال البيهقي[٣] في شعب الإيمان لو كان النّهي عن الكيّ على طريق التحريم لم يكتو عمران رضي الله عنه مع علمه بالنّهي غير أنّه ركب المكروه ففارقه ملك كان

---

(١) ابو العباس أحمد القرطبي توفي سنة ٦٥٦ هـ. [١٢٥٨ م.]

(٢) محمّد الحاكم النيشاپوري توفي سنة ٤٠٥ هـ. [١٠١٤ م.]

(٣) أحمد البيهقي الشّافعي توفي سنة ٤٥٨ هـ. [١٠٦٦ م.] في نيشاپور

يسلم عليه فحزن على ذلك وقال هذا القول ثم قد قدر وكأنه عاد اليه قبل موته انتهى وقال ابن الاثير[١] في النهاية يعني ان الملائكة كانت تسلم عليه فلما اكتوى لسبب مرضه تركوا السّلام عليه لأن الكي يقدح في التوكل والتسليم الى الله تعالى والصبر على ما يبتلى العبد وطلب الشفاء من عنده وليس ذلك قادحاً في جواز الكي ولكنه قادح في التوكل وهو درجة عالية وراء مباشرة الاسباب واخرج ابن سعد في الطبقات عن قتادة ان الملائكة كانت تصافح عمران بن حصين رضي الله عنه حتى اكتوى فتنحت واخرج ابو نعيم في الدلائل عن يحيى بن سعيد القطان قال ما قدم علينا البصرة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين افضل من عمران بن حصين رضي الله عنه أتت عليه الملائكة ثلاثون سنة تسلّم عليه من جوانب بيته واخرج الترمذى في تأريخه وابو نعيم والبيهقي في دلائل النّبوّة عن عدالة قال كان عمران بن حصين رضي الله عنه يأمرنا ان نكنس الدار ونسمع السّلام عليكم السّلام عليكم ولا نرى احداً قال الترمذى هذا تسليم الملائكة وقال حجّة الاسلام ابو حامد الغزالي في كتاب المنقذ من الضّلال ثم اني لما فرغت من العلوم اقبلت بهمتى على طريق الصّوفية والقدر الذي اذكره لينتفع به انني علمت يقيناً ان الصّوفية هم السالكون لطريق الله تعالى وان سيرهم وسيرتهم احسن السير والسير وطريقتهم احسن الطريق واخلاقهم أزكى الاخلاق بل لو جمع عقول العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على اسرار الشّرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم واخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا الى ذلك سبيلا فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظواهرهم وبواطنهم متلبسة من نور مشكاة النّبوّة وليس وراء انوار النّبوّة على وجه الارض نور يستضاء به الى ان قال حتى أنّهم وهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وارواح الانبياء ويسمعون منهم اصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والامثال الى درجات يضيق عنها نطاق النطق هذا كلام الغزالي وقال

---

(١) ابن الاثير عز الدّين علي الجزري توفي سنة ٦٣٠ هـ. [١٢٣٣ م.] في الموصل

تلميذه القاضي ابو بكر بن العربي احد الأئمة المالكية في كتابه قانون التأويل ذهبت الصّوفية الى أنّه اذا حصل للانسان طهارة النفس وتزكية القلب وقطع العلائق وحسم مواد اسباب الدنيا من الجان والمال والخلطة بالجنس والاقبال على الله تعالى بالكلية علماً دائماً وعملاً مستمراً كشفت له القلوب ورأى الملائكة وسمع اقوالهم واطلع على ارواح الانبياء وسمع كلامهم قال ابن العربي من عنده ورؤية الانبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكن للمؤمن كرامةً وللكافر عقوبةً قال الشّيخ عز الدّين بن عبد السّلام[١] في القواعد الكبرى.

وقال ابن الحاج[٢] في المدخل رؤية النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في اليقظة باب ضيق وقل من يقع له ذلك الا من كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان بل عدمت غالبا مع اننا لا ننكر من يقع له هذا من الاكابر الذين حفظهم الله تعالى في ظواهرهم وبواطنهم قال وقد انكر بعض علماء الظاهر رؤية النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم في اليقظة وعلل ذلك بأن قال العين الفانية لا ترى العين الباقية والنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في دار البقاء والرائي في دار الفناء وقد كان سيدى ابو محمّد بن ابي جمرة يحلّ هذا الاشكال ويرده بأن المؤمن إذا مات يرى الله تعالى وهو لا يموت والواحد منهم يموت في كل يوم سبعين مرة انتهى وقال القاضي شرف الدّين هبة الله بن عبد الرحيم البارزي في كتاب الاعتقاد الانبياء عليهم السّلام بعد ما قبضوا ردت اليهم ارواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء وقد رأى نبينا صلّى الله عليه وسلّم جماعة منهم واخبره وخبره صدق ان صلواتنا معروضة عليه وان سلامنا يبلغه وان الله تعالى حرم على الارض ان تأكل لحوم الانبياء عليهم السّلام قال البارزي وقد سمع من جماعة من الأولياء في زماننا وقبله أنّهم رأوا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في اليقظة حيّاً بعد وفاته قال وقد ذكر ذلك الشّيخ الامام شيخ الاسلام أبو البيان نباء بن محمّد

(١) عز الدّين بن عبد السّلام توفي سنة ٦٦٠ هـ. [١٢٦٢ م.]

(٢) ابن الحاج محمّد المالكي توفي سنة ٧٣٧ هـ. [١٣٣٧ م.]

ابن محفوظ الدمشقي[١] في نظيمته انتهى وقال الشّيخ اكمل الدّين البابرتي الحنفي[٢] في شرح المشارق في حديث من رآني الاجتماع بالشخصين يقظة ومناما لحصول مائية الاتحاد وله خمسة اصول كلية الاشتراك في الذات او في صفة فصاعدا او في حال فصاعدا او في الأفعال او في المراتب وكل ما يتعقل من المناسبة بين شيئين او اشياء لا يخرج عن هذه الخمسة وبحسب قوته على ما به الاختلاف وضعفه يكثر الاجتماع ويقل وقد يقوى على ضده فتقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان وقد يكون بالعكس ومن حصل الاصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين ارواح الكمل الماضين اجتمع بهم متى شاء وقال الشّيخ صفيّ الدّين ابن ابي المنصور في رسالته والشّيخ عفيف الدّين اليافعي في روض الرياحين قال الشّيخ الكبير قدوة الشّيوخ العارفين وبركة اهل زمانه أبو عبد الله القرشي لما جاء الغلاء الكبير الى ديار مصر توجهت لأن ادعو فقيل لي لا تدع فما يسمع لاحد منكم في هذا الامر دعاء فسافرت الى الشام فلما قربت الى خريج الخليل عليه السّلام تلقاني الخليل فقلت يا رسول الله اجعل ضيافتي عندك الدعاء لاهل مصر فدعا لهم ففرج الله تعالى عنهم قال اليافعي وقوله تلقاني الخليل قول حق لا ينكره الا جاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الاحوال التي يشاهدون فيها ملكوت السماء والارض وينظرون الانبياء أحياء غير أموات كما نظر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الى موسى عليه السّلام في الارض ونظره ايضاً في السماء هو وجماعة من الانبياء في السّموات وسمع منهم مخاطبات وقد تقرر ان ما جاز للانبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي خاتمة اخرج أحمد في مسنده والخرائطي في مكارم الاخلاق من طريق أبي العالية عن رجل من الانصار قال خرجت من اهلي اريد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فإذا به قائم ورجل معه مقبل عليه وظننت ان لهما حاجة قال الانصاري لقد قام رسول الله صلّى الله

---

(١) نباء بن محمّد ابن الحوراني توفي سنة ٥٥١ هـ. [١١٥٦ م.] في الشام

(٢) محمّد البابرتي توفي سنة ٧٨٦ هـ. [١٣٨٤ م.]

عليه وسلّم حتى جعلت ارثي له من طول القيام فلما انصرف قلت يا رسول الله لقد قام بك هذ الرجل حتى جعلت ارثي لك من طول القيام قال صلّى الله عليه وسلّم **(ولقد رأيته)** قلت نعم قال صلّى الله عليه وسلّم **(أتدري من هو)** قلت لا قال صلّى الله عليه وسلّم **(ذلك جبرئيل ما زال يوصيني بالجار حتى ظننت أنّه سيورثه)** ثم قال صلّى الله عليه وسلّم **(اما انك لو سلّمت ردّ عليك السّلام)** واخرج المدني في المعرفة عن تميم بن سلمة رضي الله تعالى عنه قال بينا انا عند النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إذا انصرف من عنده رجل فنظرت اليه مولىً معتماً بعمامة قد ارسلها من ورائه قلت يا رسول الله من هذا قال **(هذا جبرئيل)** واخرج أحمد والطبراني والبيهقي في الدلائل عن حارثة بن النعمان رضي الله تعالى عنه قال مررت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه جبرئيل عليه السّلام فسلّمت عليهما ومررت فلما رجعا وانصرف النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال **(هل رأيت الذي كان معي)** قلت نعم قال صلّى الله عليه وسلّم **(فإنّه جبرئيل وقد ردّ عليك السّلام)** واخرج ابن سعد عن حارثة رضي الله تعالى عنه قال رأيت جبرئيل من الدهر مرتين واخرج أحمد والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كنت مع ابي عند رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وعنده رجل يناجيه فكان كالمعرض عن ابي فخرجنا فقال لي ابي يا بني الم تر الى ابن عمك كالمعرض عني قلت يا ابت إنّه كان عنده رجل يناجيه فرجع فقال يا رسول الله قلت لعبد الله كذا وكذا فقال إنّه كان عندك رجل يناجيك فهل كان عندك احد قال **(فهل رأيت يا عبد الله)** قلت نعم قال **(ذلك جبرئيل هو الذي منعني عنك)** واخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال رأيت جبرئيل مرتين واخرج الطبراني والبيهقي والضبّاء في المختارة قال عاد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم رجلاً من الانصار فلما دنى من مترله سمعه يتكلم في الداخل فلما وصل لم ير احدا فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم **(من كنت تتكلم)** قال يا رسول الله دخل عليّ داخل ما رأيت رجلاً قط بعدك اكرم مجلسا ولا احسن حديثا

منه قال صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**ذلك جبرئيل وان منكم لرجالا لو ان احدهم يقسم على الله لابرّه**) وقال الشّيخ سراج الدّين بن الملقن[١] في طبقات الأولياء قال الشّيخ عبد القادر الكيلاني رأيت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قبل الظهر فقال لي يا بني لم لا تتكلم قلت يا ابتاه انا رجل اعجم كيف أتكلم على فصحاء بغداد فقال افتح فاك ففتحته فتفل فيه سبعاً فقال تكلم على الناس وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فصليت الظهر وجلست وحضرني خلق كثير فارتجّ عليّ فرأيت عليّا رضي الله تعالى عنه قائماً بإزائي في المجلس فقال لي يا بني لم لا تتكلم قلت يا ابتاه قد ارتج عليّ فقال افتح فاك قال ففتحته فتفل فيه ستاً فقلت لم لا تكملها سبعاً قال ادبا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ثم توارى عني فقلت غواص من الفكر يغوص في بحر القلب على ذرّ العارفين فيخرجها الى ساحل الصدر فينادي عليها سمسار ترجمان اللسان فتشتري بنفائس اثمان حسن الطاعة في بيوت اذن الله ان نرفع وقال ايضاً في ترجمة الشّيخ خليفة بن موسى الهذيلكي كان كثير الرؤية لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقظة ومناما وكان يقال ان اكثر افعاله متلقاة منه صلّى الله تعالى عليه وسلّم بأمر منه اما يقظة واما مناما ورآه في ليلة واحدة سبع عشرة مرة قال له في احداهن يا خليفة لا تضجر منى كثير من الأولياء مات بحسرة رؤيتي وقال الكمال الادفوى في الطالع السعيد في ترجمة الصفي ابن عبد الله محمّد بن يحيى الاسواني نزيل اخميم من اصحاب ابي يحيى بن شافعي كان مشهورا بالصّلاح وله مكاشفات وكرامات كتب عنه ابن دقيق العيد وابن النعمان والقطب القسطلاني وكان يذكر أنّه يرى النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ويجتمع به وقال الشّيخ عبد الغفّار بن نوح القوصي في كتابه الوحيد من اصحاب الشّيخ ابي يحيى ابي عبد الله الاسواني المقيم باخميم كان يخبر انه يرى النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم في كل ساعة حتى لا يكاد يكون ساعةً الا ويخبر عنه ساعةً وقال في الوحيد ايضاً كان للشيخ

(١) ابن الملقن سراج الدّين عمر توفي سنة ٨٠٤ هـ. [١٤٠١ م.]

ابي العباس المرسي[١] وصلة بالنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم إذا سلّم على النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم ردّ عليه السّلام ويجاوبه إذا تحدث معه وقال الشّيخ تاج الدّين ابن عطاء الله[٢] في لطائف المنن قال رجل للشيخ ابي العباس المرسي يا سيدي صافحني بكفك هذه فانك لقيت رجالاً وبلادا فقال والله ما صافحت بكفي هذه الا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وقال الشّيخ لو حجب عني رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين وقال الشّيخ صفيّ الدّين بن ابي المنصور في رسالته والشّيخ عبد الغفّار في الوحيد حكي عن الشّيخ ابي الحسن الوناني قال اخبرني الشّيخ أبو العباس الطبخي قال وردت على سيدى أحمد بن الرفاعي فقال ما انا شيخك شيخك عبد الرّحيم بقنا قال فسافرت بقنا فدخلت على الشّيخ عبد الرّحيم فقال لي عرفت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قلت لا قال رُحْ الى بيت المقدس حتى تعرف رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فرحْتُ الى بيت المقدس فحين وضعت رجلي وإذا بالسماء والارض والعرش والكرسي مملؤة من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فرجعت الى الشّيخ فقال لي عرفت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قلت نعم قال الآن كمّلْتَ طريقتك لم تكن الاقطاب اقطاباً والاوتاد اوتادا والأولياء أولياء الاّ بمعرفة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وقال في الوحيد وممن رأيته بمكة الشّيخ عبد الله الدلاّصى اخبرني أنّه لم تصح له صلوة في عمره الاّ صلوة واحدة قال وذلك إني كنت بالمسجد الحرام في صلوة الصبح فلما احرم الامام واحرمت اخذتني أخذةٌ فرأيت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يصلي إماما وخلفه العشرة فصليت معهم وكان ذلك في سنة ثلث وسبعين وستمائة فقرأ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم في الركعة الاولى سورة المدثر وفي الثانية عم يتساءلون فلما سلّم دعا بهذا الدعاء (**اللهم اجعلنا هداة مهديّين**

---

(١) ابو العباس احمد المرسي المالكي الشّاذلي توفي سنة ٦٨٦ هـ. [١٢٨٧ م.] في الاسكندرية

(٢) تاج الدّين أحمد بن عطاء الله المالكي الشّاذلي توفي سنة ٧٠٩ هـ. [١٣٠٩ م.] في مصر

غير ضالّين ولا مضلّين لا طمعا في برّك ولا رغبة فيما عندك لأن لك المنّة علينا بايجادنا قبل ان لم نكن فلك الحمد على ذلك لا اله الا انت) فلما فرغ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم سلّم الامام فعقلت تسليمه فسلّمت وقال الشّيخ صفيّ الدّين في رسالته قال لي الشّيخ ابو العباس الحرّار دخلت على النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فوجدته يكتب مناشير للاولياء بالولاية وكتب لأخى محمّد منهم منشورا قال وكان اخو الشّيخ كبيرا في الولاية كان على وجهه نور لا يخفى على احد انه وليّ فسألنا الشّيخ عن ذلك فقال نفخ النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم في وجهه فاثرت النفخة هذا النور قال الشّيخ صفيّ الدّين ورأيت الشّيخ الكبير ابا عبد الله القرطبي اجل اصحاب الشّيخ القرشي وكان اكثر اقامته بالمدينة النبوية وكان له بالنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وصلة واجوبة وردّ سلام وحمّله رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم رسالة للملك الكامل وتوجه بها الى مصر وادّاها وعاد الى المدينة قال وممن رأيت بمصر الشّيخ ابو العباس القسطلاني اخص اصحاب الشّيخ القرشي زاهدا مصر في وقته وكان اكثر اوقاته في آخر عمره بمكة فقال أنّه دخل مرة على النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقال له النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم **(اخذ الله بيدك يا أحمد)** وقال اليافعي في روض الرياحين اخبر في بعضهم أنّه يرى حول الكعبة الملائكة والانبياء والأولياء واكثر ما يراهم ليلة الجمعة وكذلك ليلة الاثنين وليلة الخميس فعدّد لي جماعة كثيرة من الانبياء وذكر أنّه يرى كل واحد منهم في موضع معين يجلس فيحول الكعبة ويجلس معه اتباعه من اهله وقرابته واصحابه وذكر ان نبينا صلّى الله تعالى عليه وسلّم يجتمع معه من أولياء الله خلق كثير لا يحصى عددهم الاّ الله تعالى ولم يجتمع على سائر الانبياء كذلك وذكر ان ابراهيم واولاده عليهم السّلام يجلسون بقرب باب الكعبة بحذاء مقامه المعروف وموسى وجماعة من الانبياء بين الركنين اليمانيين وعيسى وجماعة منهم في جهة الحجر ونبينا جالس عند الركن اليماني مع اهل بيته واصحابه وأولياء امته انتهى وحكي عن بعض الأولياء أنّه حضر

مجلس فقيه فروى ذلك الفقيه حديثا فقال له الوليّ هذا الحديث باطل فقال له الفقيه ومن اين لك هذا فقال هذا النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم واقف على رأسك يقول إني لم اقل هذا الحديث وكشف للفقيه فرآه وفي كتاب المخ الالهية في مناقب السادة الوفائية لأبن فارس[١] قال سمعت سيدي عليّا يقول كنت وانا ابن خمس سنين اقرأ القرآن على رجل يقال له الشّيخ يعقوب فأتيته يوماً فرأيت النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقظة لا مناما وعليه قميص ابيض قطن ثم رأيت القميص عليّ فقال لي اقرأ فقرأت عليه سورة والضحى والم نشرح لك ثم غاب عني فلما ان بلغت احدى وعشرين سنة احرمت بصلوة الصبح بالقرافة فرأيته صلّى الله تعالى عليه وسلّم قبالة وجهي فعانقني وقال لي (**واما بنعمة ربك فحدث**) فاوتيت لسانه من ذلك الوقت انتهى وفي بعض المجاميع حجّ سيدى أحمد الرفاعي[٢] فلما وقف تجاه الحجرة الشّريفة انشد **شعر**:

في حالة البعد روحي كنت ارسله * تقبل الارض عني فهي نائبتي

وهذه نوبة الاشباح قد حضرت * امدد يمينك كي تحظي به شفتي

فخرجت اليد الشّريفة من القبر الشّريف فقبّلها وفي معجم الشّيخ برهان الدّين البقاعي حدثني الامام أبو الفضل بن أبي الفضل النويري ان السيّد نور الدّين الأسجبيني والد الشّريف عفيف الدّين لما ورد الى الروضة الشّريفة وقال السّلام عليك ايها النّبيّ ورحمة الله وبركاته سمع من كان بحضرته قائلاً من القبر وعليك السّلام يا ولدي وقال الحافظ محبّ الدّين بن النجار[٣] في تاريخه اخبرني أبو أحمد داود بن علي بن محمد بن هبة الله بن المسلمة انا ابوالفرج المبارك بن عبد الله بن محمد بن النقور قال حكى شيخنا أبو نصر عبد الواحد بن عبد الملك بن محمّد بن

---

(١) أحمد بن فارس الرازي المالكي توفي سنة ٣٩٥ هـ. [١٠٠٥ م.]

(٢) السيد أحمد الرفاعي توفي سنة ٥٧٨ هـ. [١١٨٢ م.] في القاهرة

(٣) محمّد ابن النجار توفي سنة ٦٤٣ هـ. [١٢٤٥ م.]

أبي سعيد الصّوفي الكرخي قال حججت وزرت النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فبينا انا جالس عند الحجرة إذ دخل الشّيخ أبو بكر الدياربكري ووقف بإزاء وجه النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وقال السّلام عليك يا رسول الله فسمعت صوتا من داخل الحجرة وعليك السّلام يا ابا بكر وسمعه من حضر وفي كتاب (مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام) للامام شمس الدّين محمّد بن موسى بن النعمان[١] قال سمعت يوسف بن عليّ الرقاشي يحكي عن إمرأة هاشمية كانت مجاورة بالمدينة وكان بعض الخدّام يؤذيها قالت فاستغثت بالنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فسمعت قائلا من الروضة أما لك في اسوة فاصبري كما صبرت او نحو هذا قالت فزال عني ما كنت فيه ومات الخدّام الثلاثة الذين كانوا يؤذونني وقال ابن السمعاني في كتاب الدلائل انا أبو بكر هبة الله بن الفرج انا أبو القاسم يوسف بن محمّد بن يوسف الخطيب انا أبو القاسم عبد الرّحمن بن عمر بن تميم المؤدّب ثنا عليّ بن ابراهيم بن علان انا عليّ بن محمّد بن على ثنا أحمد بن الهيثم الطائي حدثني أبي عن ابيه ابن سلمة بن كعسل عن أبي صادق عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال قدم علينا اعرابي بعد ما دفنّا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم بثلاثة ايام فرمى بنفسه على قبر النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وحثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله تعالى فوعينا عنك وكان فيما انزل الله تعالى عليك (**وَلَوْ اَنَّهُمْ اِذْ ظَلَمُوا اَنْفُسَهُمْ جَآؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** * النساء: ٦٤) وقد ظلمت نفسي وجئتك لتستغفر لي فنودي من القبر أنّه قد غفر لك ثم رأيت في كتاب مزيل الشبهات في اثبات الكرامات للامام عماد الدّين بن اسماعيل بن هبة الله بن باطيش[٢] ما نصّه ومن الدليل على اثبات الكرامات آثار منقولة عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم منهم أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

---

(١) محمّد بن موسى المراكشي توفي سنة ٦٨٣ هـ. [١٢٨٤ م.]

(٢) عماد الدّين اسماعيل الموصلي توفي سنة ٦٥٥ هـ. [١٢٥٧ م.]

قال لعائشة لما حضرته الوفاة انما هما اخواك واختاك قالت رضي الله تعالى عنها هذان أخواي محمّد وعبد الرّحمن فمن اختاى فليس لي الاّ اسماء فقال رضي الله تعالى عنه زوابط ابنة خارجة وقد القى في روعى انها جارية فولدت ام كلثوم ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في قصة سارية حيث نادى وهو في الخطبة يا سارية الجبل الجبل فاسمع الله تعالى سارية كلامه وهو بنهاوند وقصته مع نيل مصر ومراسلته اياه وجريانه بعد انقطاعه ومنهم عثمان بن عفان قال عبد الله بن سلام اتيت عثمان رضي الله تعالى عنه لاسلمه عليه وهو محصور فقال مرحباً يا صبي رأيت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم من هذه الخوخة [الخوخة كوّة في الجدار تؤدي الضوء] فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطّشوك قلت نعم فادلى لي دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى اني لأجد برده بين ثدييّ وبين كتفيّ فقال ان شئت نصرت عليهم وان شئت افطرت عندنا فاخترت ان افطر عنده صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقتل ذلك اليوم انتهى وهذه القصة مشهورة عن عثمان رضي الله تعالى عنه مخرجة في كتب الحديث اخرجها ابن أبي اسامة في مسنده وغيره وقد فهم المصنف منها انها رؤية يقظة والاّ لم يصلح عدّها في الكرامات ولا ينكرها من ينكر كرامات الأولياء ومما ذكره ابن باطيش في هذا الكتاب قال ومنهم أبو الحسين محمّد بن سمعون البغدادي الصوفي[١] قال أبو طاهر محمد بن علي العلاة حضرت ابا الحسين بن سمعون يوماً في مجلس الوعظ وهو جالس على كرسيه يتكلم وكان أبو الفتح القواس جالسا الى جنب الكرسي فغشيه النعاس ونام فامسك أبوالحسين ساعةً عن الكلام حتى استيقظ أبو الفتح ورفع رأسه فقال له أبوالحسين رأيتَ النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم في نومك قال نعم قال أبوالحسين لذلك امسكت عن الكلام خوفا ان تترع وينقطع ما كنت فيه انتهى فهذا يشعر بأن ابن سمعون رأى النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقظة لما حضر ورآه أبو الفتح في نومه وقال أبوبكر بن أبي أبيض في جزئه سمعت

---

(١) محمّد ابن سمعون توفي سنة ٣٨٧ هـ. [٩٩٧ م.] في بغداد

ابا الحسين نبأنا الجمال يقول حدثني بعض اصحابنا قال بمكّة رجل يعرف بابن ثابت قد خرج من مكّة الى المدينة ستين سنة ليس الا للسّلام على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ويرجع فلما كان بعض السنين تخلف لشغل او سبب فقال بينا هو قاعد في الحجر بين النائم واليقظان اذ رأى النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وهو يقول أيا ابن ثابت لم تزرنا فزرناك.

تنبيّهات: الاول اكثر ما يقع رؤية النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم في اليقظة بالقلب ثم يترقّى الى ان يرى بالبصر وقد تقدم الامر ان في كلام القاضي أبي بكر بن العربي لكن ليست الرؤية البصرية كالرؤية المتعارفة عند الناس من رؤية بعضهم لبعض وانما هى جمعية حاليّة وحالة برزخية وامر وجدانيّ لا يدرك حقيقته الاّ من باشره وقد تقدم عن الشّيخ عبد الله الدلاصي فلما احرم الامام احرمت اخذتني اخذة فرأيت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فاشار بقوله اخذتني اخذة الى هذه الحال.

الثاني هل الرؤية لذات المصطفى صلّى الله تعالى عليه وسلّم بجسمه وروحه او لمثاله الذين رأيتهم من ارباب الاحوال يقولون بالنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وبه صرح الغزالي فقال ليس المراد أنّه يرى جسمه وبدنه بل مثالاً له صادق بذلك المثال آلة تكون تارة حقيقية وتارة تكون خيالية والنفس غير المثال المتخيل فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى ولا شخصه بل هو مثال له على التحقيق قال ومثل ذلك من يرى الله تعالى في المنام فإن ذاته منزهة عن الشكل والصورة ولكن منتهى تعريفاته الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور او غيره ويكون ذلك المثال حقاً في كونه واسطة في التعريف فيقول الرائي رأيت الله في المنام لا يعني اني رأيت ذات الله تعالى كما يقول في حق غيره انتهى وفصّل القاضي أبو بكر بن العربي فقال رؤية النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم بصفته المعلومة ادراك على الحقيقة ورؤيته على غير صفته ادراك للمثال وهذا الذي قاله في غاية الحسن ولا يمتنع رؤية ذاته الشّريف بجسده وروحه وذلك لانه صلّى الله تعالى عليه وسلّم وسائر الانبياء عليهم السّلام

أحياء ردّت اليهم ارواحهم بعد ما قبضوا واذن لهم في الخروج من قبورهم والتصرف في الملكوت العلوي والسفلي وقد الّف البيهقي جزء في حياة الانبياء وقال في دلائل النّبوّة الانبياء أحياء عند ربهم كالشهداء وقال الاستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي[١] المتكلمون المحققون من اصحابنا ان نبينا صلّى الله تعالى عليه وسلّم حيّ بعد وفاته وأنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم يبشر بطاعات امته ويحزن بمعاصى العصاة منهم وأنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم يبلغه صلوة من يصلّي عليه من امته وقال ان الانبياء عليهم الصّلاة والسّلام لا يبلون ولا تأكل الارض منهم شيئاً وقد مات موسى عليه السّلام في زمانه واخبر نبينا صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه رآه في قبره مصلّيا وذكر في حديث المعراج أنّه رآه في السماء الرابعة ورأى آدم وابراهيم وإذا صح لنا هذا الاصل قلنا نبينا صلّى الله تعالى عليه وسلّم قد صار حيّاً بعد وفاته وهو على نبوّته انتهى قال القرطبي في التذكرة في حديث الصعقة عن شيخه الموت ليس بعدم محض وانما هو انتقال من حال الى حال ويدل على ذلك ان الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء يرزقون فرحين مستبشرين وهذه صفة الأحياء في الدّنيا وإذا كان هذا في الشهداء فالانبياء احق بذلك وقد صح ان الارض لا تأكل اجساد الانبياء عليهم السّلام وأنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم اجتمع بالانبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء ورأى موسى عليه السّلام قائما يصلّي في قبره واخبر صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه يردّ السّلام على كل من يسلم عليه الى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الانبياء عليهم السّلام انما هو راجع الى ان غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وان كانوا موجودين أحياء ولا يراهم احد من نوعنا الاّ من خصّه الله تعالى بكرامته انتهى واخرج أبو يعلى في مسنده والبيهقي في كتاب حياة الانبياء عليهم السّلام عن انس رضي الله تعالى عنه ان النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال (**الانبياء أحياء في قبورهم يصلّون**) واخرج البيهقي عن انس رضي الله تعالى عنه عن النّبيّ صلّى

---

(١) أبو منصور عبد القاهر الشّافعي توفي سنة ٤٢٩ هـ. [١٠٣٨ م.] في اسفرائين

الله تعالى عليه وسلّم قال (**إنّ الانبياء لا يتركون في قبورهم بعد اربعين ليلة ولكنهم يصلّون بين يدى الله حتى ينفخ في الصّور**) وروى سفيان في الجامع قال قال شيخ لنا عن سعيد بن المسيب قال ما مكث نبيّ في قبره اكثر من اربعين ليلة حتى يرفع قال البيهقي فعلى هذا يصيرون كسائر الأحياء حيث يترلهم الله تعالى وروى عبد الرزاق في مصنفه عن الثوري عن أبي المقدام عن سعيد بن المسيب قال ما مكث نبيّ في الارض اكثر من اربعين يوماً وأبو المقدام عن ثابت بن هرمز الكوفي شيخ صالح واخرج أبن حبان في تأريخه والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية عن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**ما من نبيّ يموت فيقيم في قبره الاّ اربعين صباحاً**) وقال امام الحرمين في النهاية والرافعي في الشرح روي ان النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال (**انا اكرم على ربي من ان يتركنى في قبري بعد ثلث**) زاد امام الحرمين وروى اكثر من يومين وذكر أبو الحسن بن الراغوتي الحنبلي في بعض كتبه حديث (**إنّ الله لا يترك نبيا في قبره اكثر من نصف يوم**) وقال الامام بدر الدّين بن الصاحب في تذكرته فصل في حياته صلّى الله تعالى عليه وسلّم بعد موته في البرزخ وقد دلّ على ذلك تصريح الشارع وايماؤه ومن القرآن قوله تعالى (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اَمْوَاتًا بَلْ اَحْيَآءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** * آل عمران: ١٦٩) فهذه الحالة وهي الحياة في البرزخ بعد الموت حاصلة لآحاد هذه الامة من السعداء وحالهم اعلى وافضل ممن يكون له هذه الرتبة لا سيما في البرزخ ولا يكون رتبة أحد من الامة اعلى من رتبة النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم بل انما حصل لهم هذه الرتبة ببركته وتبعيته واتصافاً بما استحقوا هذه الرتبة بالشهادة والشهادة حاصلة للنبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم على اتم الوجوه وقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**مررت على موسى ليلة اسرى بي عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلّي في قبره**) وهذا صريح في اثبات لحياة لموسى عليه السّلام فإنّه وصفه بالصلوة وإنّه كان قائما ومثل هذا لا يوصف به الروح وانما يوصف به الجسد وفي تخصيصه بالقبر دليل على هذا

فإنّه لو كان من اوصاف الروح لم يحتج لتخصيصه بالقبر فإن احداً لم يقل ان ارواح الانبياء مسجونة في القبر مع الاجساد وارواح السعداء والمؤمنين في الجنّة وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّه لم يصح له صلوة في عمره الاّ صلوة واحدة وذلك اني كنت بالمسجد الحرام في صلوة الصبح فلما احرم الامام واحرمت اخذتني اخذة ثم سرنا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم بين مكّة والمدينة فمررنا بواد فقال اي واد هذا فقالوا وادي الازرق فقال كأني انظر الى موسى واضعا اصبعيه في اذنيه له جؤار الى الله بالتلبية مارّاً بهذا الوادي ثم سرنا حتى اتينا على سرية ثنية قال كأني انظر الى يونس على ناقة ضمراء عليه جبة صوف مارّاً بهذا الوادي ملبياً سئل هنا كيف ذكر حجهم وتلبيتهم وهم أموات واجيب بان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد ان يحجوا ويصلّوا ويتقربوا بما استطاعوا وان كانوا في الاخرى فإنهم في هذه الدّنيا التي هي دار عمل حتى إذا فنيت مدتها واعقبتها الاخرى التي هي دار الجزاء انقطع العمل هذا لفظ القاضي عياض فإذا كان القاضي عياض يقول إنّهم يحجّون بأجسادهم ويفارقون قبورهم فكيف يستنكر مفارقة النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم لقبره فإن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم إذا كان حاجّا وإذا كان مصلّيا وإذا كان يسرى به بجسده الى السماء فليس مدفونا في القبر انتهى فحصل من مجموع هذه النقول والاحاديث ان النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم حي بجسده وروحه وأنّه يتصرف ويسير حيث شاء في اقطار الارض وفي الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيئ وأنّه مغيب عن الابصار كما غيبت الملئكة مع كونهم أحياء بأجسادهم فإذا اراد الله رفع الحجاب عمن اراد اكرامه برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها لا مانع من ذلك ولا داعي الى التخصيص برؤية المثال.

الثالث سئل بعضهم كيف يراه الرّاؤون المتعددون في اقطار متعددة فأنشد

كالشمس في كبد السماء وضوؤها * يغشي البلاد مشارقاً ومغارباً

وفي مناقب الشّيخ تاج الدّين بن عطاء الله من بعض تلامذته قال حججت

فلما كنت في الطواف رأيت الشّيخ تاج الدّين في الطواف فنويت ان اسلم عليه إذا فرغ من طوافه فلما فرغ من الطواف جئته فلم اره ثم رأيته في عرفة كذلك وفي سائر المشاهد كذلك فلما رجعت الى القاهرة سألت عن الشّيخ فقيل لي طيب فقلت هل سافر قالوا لا فجئت الى الشّيخ وسلمت عليه فقال لي من رأيت فقلت يا سيدى رأيتك فقال يا فلان الرجل الكبير يملأ الكون لو دعى القطب من حجر لأجاب فإذا كان القطب يملأ الكون وسيد المرسلين صلّى الله تعالى عليه وسلّم من باب اولى وقد تقدم عن الشّيخ أبي العباس الطبخي أنّه قال وارى بالسماء والارض والعرش والكرسي مملؤة من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال قائل يلزم على هذا ان يثبت الصحبة لمن رآه والجواب ان ذلك ليس بلازم اما ان قلنا ان المرئي المثال فواضح لأن الصحبة انما تثبت برؤية ذاته الشّريف جسداً وروحاً وان قلنا المرئي الذات فشرط الصحبة ان يراه وهو في عالم الملك وهذه رؤية وهو في عالم الملكوت وهذه الرؤية لا تثبت صحبة ويؤيد ذلك ان الأحاديث وردت ان جميع امته عرضوا عليه فرآهم ورأوه ولم تثبت الصحبة للجميع لانها رؤية في عالم الملكوت فلا تفيد صحبة واخرج أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصائف عن أبي جعفر قال كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يسمع مناجاة جبرئيل للنّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم واخرج محمّد بن نصر المروزي[١] في كتاب الصلوة عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه أنه أتى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال له يا رسول الله بينما انا اصلى إذ سمعت متكلما يقول اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله واليك يرجع الامر كله علانيتة وسرّة اهل ان حمد انك على كل شئ قدير اللهم اغفر لي جميع ما مضى من ذنوبي واعصمني فيما بقي من عمري وارزقني عملاً زاكيا ترضى به عني فقال النّبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم **(ذاك ملك اتاك يعلمك تحميد ربّك)** واخرج محمّد بن نصر عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال بينما انا اصلّى إذ سمعت متكلما يقول اللهم لك

---

(١) محمّد بن نصر المروزي توفي سنة ٢٩٤ هـ. [٩٠٧ م.] في سمرفند

الحمد كله فذكر الحديث نحوه واخرج ابن أبي الدّنيا في كتاب الذكر عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال اُبي بن كعب لأدخلنّ المسجد ولاصلّينّ ولأحمدنّ الله تعالى بمحامد لم يحمده بها احد فلما صلّى وجلس ليحمد الله تعالى ويثني عليه اذ هو بصوت عال من خلف يقول اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الامر كله واليك يرجع الامر كله علانيته وسرّه لك الحمد انك على كل شئ قدير اغفر لي ما مضى من ذنوبي واعصمني فيما بقي من عمري وارزقني اعمالاً زاكيةً ترضى بها عني وتب عليّ فاتى النّبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقصّ عليه فقال (**ذاك جبرئيل**) واخرج الطبراني والبيهقي عن محمّد بن سلمة رضي الله تعالى عنه قال مررت على النّبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم واضعا خدّه على خدّ رجل فلم اسلم ثم رجعت فقال (**ما منعك ان تسلم**) قلت يا رسول الله رأيتك فعلت بهذا الرجل شيئاً ما فعلته بأحد من الناس فكرهت ان اقطع عليك حديثك فمن كان يا رسول الله قال صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**جبرئيل**) واخرج الحاكم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت رأيت جبرئيل واقفا في حجرتى هذه ورسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يناجيه فقلت يا رسول الله من هذا قال (**بمن شبهته**) قلت بدحية قال (**لقد رأيت جبرئيل**) واخرج البيهقي عن حذيفة قال صلّى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ثم خرج فتبعته فإذا عارض قد عرض له فقال لي (**يا حذيفة هل رأيت العارض الذي عرض لي**) قلت نعم قال (**ذاك ملك من الملائكة لم يهبط الى الارض قبلها استأذن ربي فسلّم عليّ وبشّرني بالحسن والحسين انهما سيّدا شبان اهل الجنّة وان فاطمة سيّدة نساء اهل الجنّة**) واخرج الطبراني عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال بت عنده صلّى الله تعالى عليه وسلّم فرأيت عنده شخصًا فقال لي (**يا حذيفة هل رأيت**) قلت نعم يا رسول الله قال (**هذا ملك لم يهبط اليّ منذ بعثت أتاني الليلة فبشرني ان الحسين والحسن سيدا شبان اهل الجنّة**) واخرج أحمد والبخاري تعليقاً ومسلم والنّسائي والبيهقي كلاهما في دلائل النّبوّة عن اُسيد بن حصين أنّه بينما هو يقرأ من سورة

البقرة وفرسه مربوطة عنده اذ جالت الفرس فسكت فسكنت ثم قرأ فجالت فسكت فسكنت ثم قرأ فجالت فسكت فسكنت فرفع رأسه الى السماء فإذا هو بمثل الظلة فيها امثال المصابيح عرجت الى السماء حتى ما يراها فلما اصبح حدث رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم بذلك فقال (**تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لاصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى منهم**) واخرج الواقدي وابن عساكر عن عبد الرّحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال رأيت يوم بدر رجلين عن يمين النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم احدهما وعن يساره احدهما يقاتلان اشد القتال ثم ثلثهما ثالث من خلفه ثم ربعهم رابع امامه واخرج اسحق بن راهويه[١] في مسنده وابن جرير في تفسيره وأبو نعيم والبيهقي في دلائل النّبوّة عن اُسيد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال بعد ما عمى لو كنت معكم ببدر لاخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشكّ ولا أتمارى واخرج البيهقي عن أبي بردة بن نيار قال رضي الله تعالى عنه جئت بثلثة ارؤس فوضعتهن بين يدىّ النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقلت يا رسول الله اما الرأسان فقتلتهما واما الثالث فاني رأيت رجلاً ابيض طويلا ضربه فاحدث رأسه فقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**ذاك فلان من الملئكة**) واخرج البيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان الملك يتصور في صورة من يعرفون من الناس يثبتونهم فيقول إني قد دنوت منهم فسمعتهم يقولون لو حملوا علينا ما ثبتنا ليسوا بشئ فذلك قوله تعالى (**اِذْ يُوحِي رَبُّكَ اِلَى الْمَلَئِكَةِ اَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ اٰمَنُوا** * الانفال: ١٢) واخرج أحمد وابن سعد وابن جرير وأبونعيم في الدلائل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان الذي اسر العباس أبواليسر كعب بن عمرو رضي الله تعالى عنه وكان أبواليسر رجلاً مجموعاً وكان عباس رجلاً جسيماً فقال النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**يا ابا اليسر كيف أسرت العباس**) قال يا رسول الله لقد اعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال صلّى الله

---

(١) اسحاق بن راهويه الحنفي توفي سنة ٢٣٣ هـ. [٨٤٨ م.]

تعالى عليه وسلّم (**لقد اعانك عليه ملك كريم**) واخرج ابن سعد والبيهقي عن عمار بن أبي عمار ان حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه قال يا رسول الله ارني جبرئيل في صورته قال (**اقعد**) فقعد فنزل جبرئيل على خشبة كانت في الكعبة فقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**ارفع طرفك فانظر**) فرفع طرفه فرأى قدميه مثل الزبرجد الاخضر واخرج ابن أبي الدّنيا في كتاب القبور والطبراني في الاوسط عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال بينا انا اسير بجنبات بدر اذ خرج رجل من حفرة في عنقه سلسلة فناداني يا عبد الله اسقني وخرج رجل من تلك الحفرة في يده سوط فناداني يا عبد الله لا تسقه فإنّه كافر ثم ضربه بالسوط حتى عاد الى حفرته فاتيت النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فاخبرته فقال لي (**اوقد رأيته**) قلت نعم قال (**ذلك عدو الله أبو جهل وذاك عذابه الى يوم القيامة**) ومحل الاستدلال رؤية الرجل الذي خرج عقبه وضربه بالسوط فإنّه الملك الموكل بتعذيبه واخرج ابن أبي الدّنيا والطبراني وابن عساكر من طريق عروة بن رويم عن العرباض بن سارية الصحابي رضي الله تعالى عنه أنّه كان يحب ان يقبض فكان يدعو اللّهمّ كبرت سني ووهن عظمي فاقبضني اليك قال فبينما انا يوماً في مسجد دمشق وانا اصلّي وادعو ان اقبض إذ انا بفتى شاب من اجمل الرجال وعليه دوّاج أخضر فقال ما هذا الذي تدعو به قال قلت وكيف ادعو قال قل اللهم حسّن العمل وبلّغ الاجل قلت من انت يرحمك الله قال انا رتابيل الذي يسلّ الحزن من صدور المؤمنين ثم التفتّ فلم أر احداً واخرج ابن عساكر في تأريخه عن سعيد بن سنان قال اتيت بيت المقدس اريد الصّلاة فدخلت المسجد فبينا انا على ذلك إذ سمعت خفيقا له جناحان قد اقبل وهو يقول سبحان الدائم القائم سبحان الحيّ القيوم سبحان الملك القدوس سبحان رب الملائكة والروح سبحان الله وبحمده سبحان الله العلي الأعلى سجانه وتعالى ثم اقبل خفيق يتلوه مثل ذلك ثم اقبل خفيق بعد خفيق يتجاوبون حتى امتلأ المسجد فإذا بعضهم قريب مني فقال آدمي قلت نعم قال لا روع عليك تذنيب ومما حكي ان يدخل هنا ما اخرجه

أبو داود من طريق ابي عمير بن انس عن عمومة له من الانصار ان عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه قال يا رسول الله اني لبين نائم ويقظان إذ أتانى آت فاراني الاذان كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قد رآه قبل ذلك فكتمه عشرين يوماً وفي كتاب الصلوة لابي نعيم الفضل بن حكين ان عبد الله بن زيد قال لولا اتهامي لنفسى لقلت اني لم اكن نائماً وفي سنن أبي داود من طريق ابن ابي ليلى[١] جاء الى النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم رجل من الانصار فقال يا رسول الله رأيت رجلاً كان عليه ثوبين اخضرين فاذّن ثم قعد قعدة ثم قام فقال مثلها الاّ أنّه يقول قد قامت الصلوة ولولا ان يقول الناس لقلت انى كنت يقظان غير نائم فقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**لقد اراك الله خيرا**) قال الشّيخ ولي الدّين العراقي في شرح سنن ابي داود قوله إني لبين نائم ويقظان مشكل لأن الحال لاتخلو عن نوم ويقظة فكان مراده ان نومه كان خفيفاً لا يخلو عن نوم قريباً من اليقظة فصار كأنه درجة متوسطة بين النوم واليقظة قال واظهر من هذا ان يحمل على الحالة التى تعتري ارباب الاحوال ويشاهدون فيها ما يشاهدون ويسمعون ما يسمعون والصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين هم رؤس ارباب الاحوال ورد في عدة أحاديث ان ابا بكر وعمر وبلالا رضي الله تعالى عنهم رأوا مثل ما رأى عبد الله بن زيد وذكر امام الحرمين في النهاية والغزالي في البسيط ان بضعة عشر من الصحابة كلهم قد رأوا مثل ذلك وفي الحديث ان الذي نادى بالأذان فسمعه عمر وبلال رضي الله تعالى عنهما جبرئيل عليه السّلام اخرجه الحارث بن أبي امامة في مسنده ويشبه هذا ما اخرجه الحارث بن ابي اسامة في مسنده ويشبه هذا ما اخرجه الحارث بن ابن اسامة في مسهده وابن عساكر في تاريخه عن محمّد بن المنكدر[٢] قال دخل النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم على ابي بكر رضي الله تعالى عنه فرآه ثقيلا فخرج من عنده فدخل

(١) عبد الرحمن ابن ابي ليلي التابعي توفي سنة ٨٣ هـ. [٧٠٢ م.]

(٢) محمّد بن المنكدر توفي سنة ١٣٠ هـ. [٧٤٨ م.] في المدينة المنورة على ساكنها افضل الصّلاة والسّلام

على عائشة رضي الله تعالى عنها وأنّه ليخبرها بوجع ابي بكر رضي الله تعالى عنه إذ دخل أبو بكر يستأذن فدخل فجعل النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم يتعجب بما عجل الله له من العافية فقال ما هو الاّ ان خرجت فغفوت فأتاني جبرئيل عليه السّلام فسعطني سعطة فقمت وقد برئت فلعلّ هذه غفوة حال لا غفوة نوم واخرج الطبراني في المعجم الكبير وأبو نعيم في المعرفة عن سهم بن خبيش وكان ممن شهد قتل عثمان رضي الله تعالى عنه قال فلما أمسينا قلت كيف تركتم صاحبكم حتى يصبح مثّلوا به فانطلقوا به الى بقيع الغرقد فأمكنا له مزرقاً لعلة ظلمة خوف الليل ثم حملناه وغشينا سواد من خلقنا كمنا فهبناهم حتى كدنا ان نتفرق عنه فنادى مناد لا روع عليكم اثبتوا فإنّا جئنا لنشهده معكم وكان ابن خبيش يقول هم والله الملائكة واخرج أبو نعيم بن حماد[١] في كتاب الفتن ثنا محمّد بن سابور عن نعمان بن المنذر عن عوف بن مالك قال دخلنا ارض الروم في غزوة الظرانة فترلنا مرجا فأخذت انا برؤس دواب اصحابي فطولت لها فانطلق اصحابي ينعلفون فبينا انا كذلك إذ سمعت السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته فالتفت فإذا انا برجل عليه ثياب بيض فقلت عليك السّلام ورحمة الله وبركاته فقال أمن امة محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم قلت نعم قال فاصبر فإن هذه الامة امة مرحومة كتب الله تعالى عليها خمس فتن وخمس صلوات قلت سمهن لي قال امسك احديهن موت نبيكم واسمها في كتاب الله فتنة الصمّاء ثم قتل عثمان واسمها في كتاب الله الصمّاء ثم فتنة ابن الاشعث واسمها في كتاب الله النغير ثم تولى وهو يقول وبقيت الصلم فلم ادر كيف ذهب تم بعون الله تعالى وحسن توفيقه.

---

(١) نعيم بن حماد المروزي توفي سنة ٢٢٩ هـ. [٨٤٤ م.]

رسالة تذكر الآثار الواردة في الاذكار التي تحرس قائلها من كيد الجن

لشيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه

أحمد ابن حجر المكي توفي سنة ٩٧٤ هـ. [١٥٦٦ م.] في مكّة المكرّمة

ولكني زدت فيه ما وجدت في مؤلفات سائر الثقات

كالامام النووي وفي سائر المؤلفات المعتبرة

كشروح المشارق وغيرها

بسم الله الرّحمن الرّحيم

اللهم لا علم لنا الاّ ما علمته ولا سهل الاّ ما سهلته وبعد فهذا جزء في ذكر الآثار الواردة في الاذكار التي تحرس قائلها من كيد الجن فمن ذلك آيات من القرآن على ترتيب السّور كحديث أبي سعيد وحديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهم في الرقية بفاتحة الكتاب وهما في الصّحيح قال الفقير اصلح الله تعالى شأنه وصانه عما شانه وهو ما روي عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أنّه قال كنا في مسير لنا فترلنا مترلا فجاءت جارية فقالت ان سيد الحيّ سليم وان نفرنا غُيّب فهل منكم راق فقام معها رجل ما لنا نأبنه برقية فرقاه فبرئ فامر له بثلثين شاةً وسقانا لبنا فلما رجع قلنا له أكنت تحسن رقية أو كنت ترقى قال ما رقيت الاّ بام الكتاب قلنا لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي او نسأل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فلما قدمنا المدينة ذكرناه لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقال (**وما كان يدريه انها رقية اقسموا واضربوا لى بسهم**) اخرجه البخاري ومسلم قوله سيد الحيّ سليم السليم اللديغ سمي به تفاؤلا له بالسلامة النفر ههنا الرجال خاصة ارادت أنّ رجالنا غيب والغيّب الغائبون عن الحيّ جمع غائب قوله نابنه برقية ابنه بكذا يأبنه ويأبُنُهُ إذا اهمه به وقد ذكر هذا الخبر في بعض شروح المشارق بوجه آخر وهو أنّ رهطا من اصحاب النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم انطلقوا في مسافرة سافروها حتى نزلوا الحيّ من أحياء العرب

فاستضافوهم فأبوا ذلك فلدغ سيد ذلك الحيّ فسعوا له بكل شئ فلم ينفعه شئ فقال بعضهم لو أتيتم هؤلاء الذين نزلوا بكم لعلّه يكون عند بعضهم شئ فأتوهم فقالوا يا ايها الرهط ان سيدنا لدغ فسعينا له بكل شئ فلم ينفعه شئ فهل عندكم شئ فقال بعضهم نعم والله انا الراقي ولكن والله بعد أن استضفناكم فلم تضيفونا فما انا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً فصالحوهم على ثلثين غنماً فانطلق فجعل يتفل عليه ويقرأ الحمد لله رب العالمين فبرئ حتى كأنه نشط من عقال عليه فانطلقوا يمشون قبله فاوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم اقسموا فقال الذي رقي لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا به فقدموا على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فذكروا له ذلك فقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم **(وما يدريك انها رقية)** ثم قال صلّى الله تعالى عليه وسلّم **(اصبتم اقسموا واضربوا لي بسهم معكم)** فقال الراقى يا رسول الله آخذ على كتاب الله تعالى أجراً فقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم **(ان احق ما اخذتم عليه أجراً كتاب الله)** وذلك سبب ورود هذا الحديث وفيه تصريح بأن فاتحة الكتاب تسمى رقية وأنّه يستحب أن يقرأ بها على اللديغ والمريض ونحوهما وأنّه يجوز اخذ الأجرة على الرقية بفاتحة الكتاب من غير كراهة ولا خلاف لاحد في ذلك فإن قيل إنّ ذلك ليس بأجرة لأنه صلّى الله تعالى عليه وسلّم امر بالقسمة ولو كان أجرة لخص الراقي بها واجيب بأن القسمة كانت من باب المروّات والتبرعات ومراعاة الاصحاب ولولا الإخاء والرحمى بينهم وقد كانا لهم لم يأمرهم صلّى الله تعالى عليه وسلّم بالقسمة وخص الراقي بها وحكي عن بعص مشايخ العراق أنّه قال كان في حال صغري على جفني الأعلى من العين اليمنى حبة كهيئة الغدة فلما جرى عليّ القلم وكبرت ثقل جفني فقيل لي ببغداد طبيب يهودى يشق الجفن ويخرجها فلم يطمئن قلبي بذلك من حيث أنّه يهودي فلما كان في بعض الايام رأيت في النوم قائلا يقول لي اقرأ عليها بفاتحة الكتاب عند ارادة الوضوء ففعلت ذلك اياماً فبينما انا اغسل وجهي وجفن

عيني إذا الغدة قد انقلعت بنفسها وذهبت اثرها فعلمت أنّ ذلك بقراءة الفاتحة وبركتها فجعلت دوائى بها في الحمايات والامراض تشفى اكثرها باذن الله تعالى انتهى كلامى وعن عبد الملك بن عمير رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء**) اخرجه الدارمى وهو مرسل جيد الاسناد قال الفقير اصلح الله تعالى شأنه وصانه عما شانه ذكر الشّيخ العلامة السّيوطي ان البيهقي اخرجه في الشعب عن ابن أبي عبد الله بن جابر رضي الله تعالى عنه مثله انتهى كلامى وعن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله احد فقد أمنت من كل شئ الاّ الموت**) اخرجه البزار وفي سنده راوٍ ضعيف وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال (**الشيطان يفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة**) رواه مسلم والنسائى والتّرمذي وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلّى تعالى عليه وسلّم (**سورة البقرة فيها آية هى سيدة آي القرآن لا يقرأ في بيت وفيه شيطان إلاّ خرج منه آية الكرسي**) اخرجه الحاكم وهذا لفظه واخرجه الترمذى بلفظ آخر واستغربه وليس فيه المقصود واخرجه الطبراني وصحّحه ابن حبان من حديث سهل بن سعد نحوه وفيه مقصود الباب وقال فيه (**من قرأها في بيته ليلا لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام**) واخرجه أبو عبيد من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه موقوفاً (**الشيطان يفر من البيت اذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه**) واخرجه الحاكم موقوفاً ومرفوعاً والطبراني من حديث ابن مغفل رضي الله تعالى عنه سند ضعيف وعن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه عن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال (**ان الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السّموات والارض بألفي عام انزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة لا تقرأ آية في دار ثلث ليال فيقرب بها شيطان**) رواه التّرمذي وحسّنه والنّسائي وصحّحه ابن حبان والحاكم واخرجه الطبراني من حديث شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه وعن ابن مسعود

رضي الله تعالى عنه قال (**من قرأ عشر آيات من سورة البقرة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح اربع آيات من اولها وآية الكرسي وآيتين بعدها وخواتيمها**) ورواه الطبراني ورواته ثقات الاّ أنّ فيه انقطاعاً وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال وكّلني رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم بزكاة رمضان الحديث وفيه قول الجنّى لأبى هريرة رضي الله تعالى عنه إذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى الله لا اله الا هو الحيّ القيوم حتى تختم الآية فإنك لن تزال عليك من حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وفيه قول النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم صدقك وهو كذوب اخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الوكالة واخرجه النّسائي[١] عن أبي ايوب الانصاري رضي الله تعالى عنه أنّه قال كانت سهوة فيها تمر وكانت تجيئ الغول فتأخذ منها الحديث وفيه قولها لابي ايوب رضي الله تعالى عنه آية الكرسي اقرأها في بيتك فلا يقربك شيطانا ولا غيره فجاء الى النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقال صدقك وهى كذوب اخرجه التّرمذي وقال حسن غريب وعن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه أنّه كان له جرين فيه تمر فذكر الحديث وفيه فإذا بدابّة كهيئة الغلام المحتلم فقال رضي الله تعالى عنه من انت قال جن وفيه فقلت ما الذي يحرزنا منكم قال هذه الآية آية الكرسي وفيه قوله النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم صدق الحديث وعن بريدة قال بلغني إنّ معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه اخذ الشيطان على عهد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فسألته رضي الله تعالى عنه فقال نعم فذكر الحديث وفيه اقبل على صورة الفيل فدخل من خلل الباب فدنا من التمر في فيه ولقد كنا في مدينتكم هذه حتى بعث صاحبكم فلما نزلت آيتان نفرنا منهما فوقعنا بنصيبين فلا تقرآن في بيت الاّ لم يلج فيه الشيطان ثلثا آية الكرسي وخاتمة سورة البقرة (**آمَنَ الرَّسُولُ**) الى آخرها فخليت سبيله وغدوت الى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقال صدق الخبيث وهو كذوب اخرجه الطبراني بسند حسن وعن ابن

---

(١) أحمد النسائي توفي سنة ٣٠٣ هـ. [٩١٥ م.] في رملة

مسعود رضي الله تعالى عنه قال خرج رجل من اصحاب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فلقى الشيطان فاضطرها الحديث وفيه سورة البقرة ليس منها آية تقرأ في وسط بيت فيه شياطين الاّ تفرّقوا ولا يقرأ في بيت فيدخل ذلك البيت شيطان اخرجه ابن أبي الدّنيا بسند حسن وعن كعب الأحبار قال ان محمداً صلى الله تعالى عليه وسلّم اعطي اربع آيات لم يعطهن موسى وان موسى عليه السّلام اعطي آية لم يعطها محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال والآيات **(لله مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي اْلاَرْضِ)** حتى ختم سورة البقرة والآية اللهم لا تولج الشيطان في قلوبنا وخلصنا منه فإن لك الملكوت والأبد والسلطان والملك والحمد والارض والسماء والدهر أبداً أبداً وقال الفقير اصلح الله تعالى شأنه وصانه عما شانه عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **(من قرأ بالآيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه)** وقال شارحه أي اغنتاه من قيام تلك الليلة أو دفعتا شيطانه أو آفاته انتهى كلامي رواه أبو عبيد مقطوعاً هكذا وخرج محمّد بن المنذر الهروي[١] في كتاب العجائب من طريق حمزة الزَيات قال بينا انا بحلوان سمعت شيطانا يقول لآخر هذا الذي يقرأ الناس القرآن تعال نعبث به فقال مردليك فلما دنا مني قرأت **(شهد الله أنّه لا اله الاّ هو** الى **الحكيم)** فقال احدهما للآخر لا ارغم الله الا انفك اما انا فلا ازال احرسه الى الصباح وعن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال كنت عند النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم فجاء اعرابيّ فقال يا نبي الله ان لي اخاً وبه وجع قال صلّى الله تعالى عليه وسلم وما وجعه قال به لمم قال صلّى الله تعالى عليه وسلّم فأتنى به فوضعه بين يديه فعوّذه بفاتحة الكتاب واربع آيات من اول البقرة الى المفلحون والهكم اله واحد الآية وآية الكرسي وثلاث آيات من آخر السورة وآية من آل عمران شهد الله الى العزيز الحكيم وآية في الاعراف ان ربكم الله وآخر سورة المؤمنون فتعالى الله الملك الحق وعشر آيات من اول الصافات وثلاث من آخر سورة الحشر وآية من سورة الجن وأنّه تعالى جدّ ربنا وقل هو الله احد

---

(١) محمّد بن المنذر توفي سنة ٣٠٣ هـ. [٩١٥ م.] في هرات

والمعوّذتين فقام الرجل كأنه لم يشكّ شيئاً قط واخرجه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند وفيه أبو خباب الكلبي وفيه ضعف وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**من قرأ آية الكرسي واوّل حم المؤمن الى قوله اليه المصير حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح**) اخرجه التّرمذي وقال حديث غريب واخرجه عليّ بن سعد العسكري في ثواب القرآن نحوه من رواية عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي وهو ضعيف قال الفقير اصلح الله تعالى شأنه وصانه عما شانه ليس المراد ان مجموع ما رقى به النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم من حيث هو هو رقية بل المراد أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم رقاه برقي شتى اذ قد ورد الرقي ببعضه وقد ذكر الامام محي السّنّة[١] في معالم التنزيل في آخر سورة المؤمنون بإسناده عن حبيش أنّ رجلاً مصابا مرّ به على ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فرقاه في أُذينه (**اَفَحَسِبْتُمْ اَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا واَنَّكُمْ اِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ** * المؤمنون: ١١٥) حتى ختم السورة فبرئ باذن الله تعالى فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**والذي نفسي بيده لو ان رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال**) وقد ذكر الامام أبو الليث السمرقندي[٢] في تنبيهه عن الحسن أنّه قال انا ضامن لمن قرأ حين امسى عشرين آية من كتاب الله تعالى أنّ يحفظه الله تعالى من سلطان جائر وذئب ضارّ ولص عاد حتى يصبح ولمن قرأ حين اصبح حتى يمسى ثم بيّن الآيات فقال آية الكرسي وثلاث آيات من الاعراف (**اِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضَ**) الى قوله (**قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**) وعشر آيات من اول الصافات الى قوله (**شهاب ثاقب**) وثلاث آيات من الرحمن (**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ**) الى قوله (**فَلاَ تَنْتَصِرَانِ**) وثلاث آيات من آخر الحشر (**هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ اِلَهَ اِلاَّ هُوَ**) الى قوله (**الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) وقد سبق الرّقى بآية الكرسي وحدها ولمثل هذا طول انتهى كلامى وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه

---

(١) محى السّنّة حسين البغوي توفي سنة ٥١٦ هـ. [١١٢٢ م.]

(٢) أبوالليث نصر السمرقندي توفي سنة ٣٧٣ هـ. [٩٨٣ م.]

قال بينما انا اسير مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم بين الجحفة والأبواء إذ غشينا ريح وظلمة شديدة فجعل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يتعوذ بالمعوذتين ويقول (**يا عقبة تعوذ بهما**) فما تعوذ متعوذ بمثلهما اخرجه أبو داود واصله من مسلم واخرجه البزار[١] من حديث عبد الله الاسلمى رضي الله تعالى عنه أنّ النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال له (**قل قل هو الله احد والمعوذتين**) هكذا فتعوذ فما تعوذ العباد بمثلهن قط ورجاله ثقات وهو عند أبي عبيد من رواية معاذ بن عبد الله بن حبيب الجهني عن أبيه بمثله وسنده جيد وهو عند النّسائي من حديث عبد الله بن حبيب قال أصابنا طشّ وظلمة فإنتظرنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يصلّي بنا فخرج وقال (**قل**) قلت ما اقول يا رسول الله قال صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**قل هو الله احد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح يكفيك كل شئ**) وعند أبي عبيد من حديث عبد الرحمن بن عائش رضي الله تعالى عنه قال قال لي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**يا ابن عائش الا اخبرك افضل ما تعوذ به المتعوذون**) قلت بلى يا رسول الله قال صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**المعوذتين**) وسنده حسن وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يتعوذ من الجان وعن الانسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا اخذ بهما وترك ما سواهما اخرجه التّرمذي ومن ذلك ما جاء في الأحاديث النبوية من الاذكار الماثورة منها عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**من قال لا اله الاّ الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب**) الحديث وفيه وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي متفق عليه وفي رواية التّرمذي (**من قال في دبر الصلوة صلوة الفجر وهو ثانى رجليه قبل أن يتكلم لا اله الا الله فذكرها عشر مرات كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه وحرس من الشيطان**) وقال

---

(١) البزار أحمد الرملي توفي سنة ٢٩٢ هـ. [٩٠٥ م.] في رملة

حسن صحيح غريب وعن الحرث بن الحرث الاشعري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**إنّ الله امر يحيى بن زكريا أن يأمر بني اسرائل**) الحديث بطوله وفيه قول النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**وآمركم بذكر الله فإن مثله كمثل رجل خرج العدو في اثره سراعا حتى اتى على حصن حصين فاحرز نفسه منهم وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان الا بذكر الله**) اخرجه التّرمذي وصحّحه قال الفقير اصلح الله تعالى شأنه وصانه عما شانه ذكر الامام الكابلي في قوله تعالى (**وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي** * طه: ٤٢) أي لا تغترا عن ذكري في حال دخولكما على فرعون وفي كل حال فإن ذلك عون لكما على مخاطبته ومجاوبته وأهدى للنصيحة اليه واقامة الحجة عليه وقد جاءَ في الحديث القدسي (**إنّ عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاق قرية**) وفي رواية (**وهو مناجز قرية**) انتهى كلامه فإنتهى ما أوردرته وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال (**رأيت ليلة اسري بي عِفْريتاً من الجن يطلبني بشعلة من نار كلما التفت رأيته فقال جبريل الا اعلّمك كلمات تقولهن فتنطفئ شعلته فقلت بلى فقال لي جبريل قل اعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات اللاتى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما نزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الارض ومن شر ما يخرج منها ومن فتن اليل والنهار الا طارقاً يطرق بخير**) اخرجه ابن أبي الدّنيا بسند فيه لين واخرجه أحمد من طريق أبي التياجى قال قلت لعبد الرحمن بن حنيش التميمي وكان كبيراً أأدركت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال نعم قال قلت كيف صنع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ليلة كادته الشياطين فقال رضي الله تعالى عنه ان الشياطين تحدرت تلك الليلة على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم من الاودية والشعاف وفيهم شيطان بيده شعلة من نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فهبط اليه جبريل فقال يا محمّد قل قال صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**ما اقول**) قال قل اعوذ بكلمات الله التامة من شرما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما نزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها

ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق الاّ طارقاً يطرق بخير يا رحمن قال رضي الله تعالى عنه فطفئت نارهم وهرمهم الله تعالى واخرجه النّسائي بسند آخر الى ابن مسعود رضي الله تعالى عنه بنحوه وهو من رواية محمّد بن جعفر بن أبي كثير عن يحيى ابن سعيد الانصاري عن محمّد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش الشامي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وعياش بمهملة ثم تحتانية ثقيلة وآخره معجمة مجهول وقد رواه مالك عن يحيى بن سعيد معضلاً قال حمزة الكتاني هذا هو المحفوظ والله تعالى اعلم وعن عليّ رضي الله تعالى عنه عن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال (**ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل احدكم الخلاء أن يقول بسم الله**) اخرجه الترمذي وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم كان يقول إذا دخل المسجد (**اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم**) قال صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**من قالها قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم**) اخرجه أبو داود وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (**إذا خرج الرجل من بيته فقال باسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الاّ بالله يقال له هديت وكفيت ووقيت فيتنحى له الشيطان فيقول له شيطان آخر كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى**) اخرجه أبو داود وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رفع الحديث الى النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال (**هذه الكلمات دواء من كل داء اعوذ بكلمات الله التامة واسمائه كلها العامة من شر السامة والهامة وشر العين اللامة وشر حاسد إذا حسد ومن شر أبي قترة وما ولد**) الحديث اخرجه البزار وأبويعلى[١] وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال (**إذا تخوف احدكم السلطان فليقل اللهم رب السّموات السبع ورب العرش العظيم كن لي جاراً من شر فلان ومن شر الجن واتباعهم أن يفرط عليّ احد منهم عز جارك وجل ثناؤك**

---

(١) أبو يعلى أحمد توفي سنة ٣٠٧ هـ. [٩١٩ م.] في الموصل

ولا اله غيرك) رواه الطبراني بسند حسن وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال **(إذا أتيت سلطانا تخاف أن يسطوك فقل الله اكبر الله اعزّ من خلقه جَمِيعاً الله اعزّ مما اخاف واحذر اعوذ بالله الذي لا اله الا هو الممسك للسماوات ان يقعن على الارض الا باذن الله من شر عبدك فلان وجنوده واتباعه واشياعه من الجن والانس اللهم كن لي جاراً من شرهم جل ثناؤك وعز جارك وتبارك اسمك ولا اله غيرك ثلث مرات)** رواه ابن أبي شيبة[١] والطبراني موقوفاً ورجاله رجال الصّحيح قال الفقير اصلح الله شأنه وصانه عما شانه قد ذكر الامام النووي أن أبا موسى رضي الله تعالى عنه قال إن النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا خاف قوماً قال **(اللهمّ إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم)** رواه أبو داود بإسناد صحيح انتهى كلامي وعن عطاء بن أبي مروان عن ابيه أن كعباً حلف له أن صهيباً رضي الله تعالى عنه حدّثه أن محمّدا صلّى الله تعالى عليه وسلّم لم ير قرية يريد دخولها الاّ قال حين يراها **(اللهم رب السّموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين فإنّا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرّها وشرّ اهلها وشر ما فيها)** أخرجه النّسائي وصحّحه ابن حزيمة[٢] وابن حبان وعن خولة بنت حكيم رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم **(من نزل منزلا فقال اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرّه شئ حتى يرتحل من منزله ذلك)** اخرجه مسلم والتّرمذي والنّسائي وعن الوليد بن الوليد بن المغيرة رضي الله تعالى عنه أنّه قال يا رسول الله اني اجد وحشة فقال صلّى الله عليه وسلّم **(إذا أخذت مضجعك فقل اعوذ بكلمات الله التّامة من غضبه وعقابه وشرّ عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنّه لا يضرك)** اخرجه أحمد من رواية شعبة عن يحيى ابن سعيد عن محمّد بن يحيى بن حبان عنه رضي الله تعالى عنه ورجاله ثقات الاّ اني

---

(١) ابن أبي شيبة عبد الله الكوفي أبو بكر توفي سنة ٢٣٥ هـ. [٨٥٠ م.]

(٢) ابن حزيمة محمّد توفي سنة ٣١١ هـ. [٩٢٣ م.]

اظن فيه انقطاعاً واخرجه مالك في الموطّأ عن يحيى بن سعيد معضلاً لم يذكر فوقه احداً ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن سليمان عن يحيى بن سعيد عن محمّد بن يحيى بن حبان بن الوليد ورواه ابن عيينة[١] عن ايوب بن موسى عن محمّد ابن يحيى بن حبّان ان خالد بن الوليد وهذا اضطراب لكن أخرجه أبوداود من طريق محمّد بن اسحاق عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كان الوليد بن الوليد يفزع في يومه فذكر نحوه وزاد وكان عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما يعلمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل كتبها فاعلقها عليه وهو شاهد جيد وله شاهد آخر مرسل من طريق عبد الله بن عبد الله بن عتبة ان الوليد بن الوليد شكى فذكر نحوه اخرجه ابراهيم الحربي في غريب الحديث وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم إذا سافر فاقبل الليل قال (**يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما نزل عليك اعوذ بالله من اسد واسود ومن حيّة وعقرب ومن ساكن البلد ومن شر والد وما ولد**) اخرجه ابو داود والنّسائي وصحّحه الحاكم وعن الاسمر العبدرى قال خرج رجل الى ظهر الكوفة فذكر قصة فيها أنّه سمع هاتفا من الجن يقول ما على عروة يعني ابن الزبير سبيل لانه يقول كلاما حين يصبح وحين يمسي فرحل الى المدينة فسأله فقال اقول آمنت بالله وحده وكفرت بالجبت والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم اخرجه ابن أبي الدّنيا في كتاب الهواتف قال الفقير أصلح الله شأنه وصانه عما شانه ذكر الإمام الكابلي في قوله تعالى لموسى عليه السلام (**وَاضْمُمْ اِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ** * القصص: ٣٢) قيل معناه اذا خفت فضع يدك على فؤادك يسكن جأشك ثم قال ذلك الإمام وهذا وإن كان خاصا به إلاّ أنّ بركة الإمام به حق وذلك ينفع من استعمل ذلك على وجه الإقتداء بالأنبياء عليهم السلام تم كلامه وانتهى ما أوردته.   تم بعون الله تعالى.

---

(١) ابن عيينة أبو محمّد سفيان توفي سنة ١٩٨ هـ. [٨١٤ م.] في مكّة المكرمة زادها الله شرفا وكرما

تنبيه الغبيّ بتبرئة ابن العربي[١]

مسئلة في حق محي الدّين ابن العربي سئل عنها
الشّيخ العلاّمة جلال الدّين السّيوطي[٢] بالقاهرة
اعزه الله تعالى في الدّنيا والآخرة ونفعنا الله تعالى بعلومه

بسم الله الرّحمن الرّحيم

اللّهمّ لا علم لنا الاّ ما علمته ولا فهم لنا الاّ ما فهّمته ولا سهل الاّ ما سهّلته وبعد فمسئلة سئل عنها الشّيخ الامام العلامة شيخ عصره وفريد دهره الشّيخ جلال الدّين السّيوطي بالقاهرة اعزه الله تعالى في الدّنيا والآخرة وهى ما تقول في ابن عربي وما حاله وفي رجل امر بإحراق كتبه وقال أنّه اكفر من اليهود والنصارى ومن ادعى لله تعالى ولدا فما يلزمه في ذلك فأجاب بأنّه اختلف الناس قديما وحديثا في ابن عربي ففرقة تعتقد ولايته وهى المعينة المصيبة المحقة ومن هذه الفرقة الشّيخ تاج الدّين بن عطاء الله من الأئمة المالكيّة والشّيخ عفيف الدّين اليافعي من الأئمة الشّافعيّة فإنهما بالغا في الثناء عليه ووصفاه بالمعرفة وفرقة تعتقد ضلالته منهم طائفة كثيرة من الفقهاء وفرقة تسكت في أمره ومنهم الحافظ الذهبى في الميزان وعن الشّيخ عز الدّين بن عبد السّلام فيه كلامان الحط عليه ووصفه بأنّه القطب والجمع بينهما ما اشار اليه الشّيخ تاج الدّين بن عطاء الله في لطائف المنن ان الشّيخ عز الدين كان في اول أمره على طريقة الفقهاء من المسارعة الى الانكار على الصّوفية فلما حجّ الشّيخ أبو الحسن الشّاذلي[٣] ورجع جاء الى الشّيخ عز الدين قبل أن يدخل بيته وأقرأه السّلام من النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فخضع الشّيخ عز الدين لذلك ولزم مجلس الشّاذلي من حينئذٍ وصار يبالغ في الثناء على الصّوفية لما فهم طريقتهم على وجهها

(١) محمّد أبو بكر ابن العربي المتوفي سنة ٦٣٨ هـ. [١٢٤٠ م.] في الشام

(٢) جلال الدّين عبد الرّحمن السّيوطي الشّافعي توفي سنة ٩١١ هـ. [١٥٠٥ م.] في القاهرة

(٣) أبو الحسن الشّاذلي نور الدّين علي توفي سنة ٦٥٤ هـ. [١٢٥٦ م.] في مكّة المكرمة زادها الله شرفا

وصار يحضر معهم مجالس السّماع ويرقص فيها وقد سئل شيخنا شيخ الاسلام بقية المجتهدين شرف الدّين المناوي[١] عن ابن عربي فاجاب بما حاصله أنّ السكوت عنه اسلم وهذا هو اللائق بكل ورع يخشى على نفسه من الله تعالى الغضب لأجل الاجلال قال الله تعالى (**وعلمناه من لدنا علماً**) فإذا كنت يا مدعي بأنّه عالم وما عنده علم من لدنا غير محظوظ من حظوظه فما لك والانكار على ابن عربي وغيره فسلّم تسْلَمْ والاّ فتهلك قال الله تعالى (**وفوق كل ذى علم عليم**) والقول الافضل عندي في ابن عربي طريقة لا يرضاها فرقتنا من اهل العصر لا من يعتقده ولا من يحيط بعلمه ولا من يحط عليه وهى اعتقاد ولايته وتحريم النظر في كتبه الاّ الراسخون في العلم فقد نقل عنه أنّه قال نحن قوم يحرم النظر في كتبنا وذلك ان الصّوفية تواضعوا على الفاظهم على معانيها المتعارفة من اهل العلم الظاهر كفرا وكفراً نص على ذلك الغزالى في بعض كتبه وقال أنّه شبيه بالمتشابه في القرآن والسّنّة من حمله على ظاهره كفر وله معنى سوى المتعارف منه فمن حمل آيات الوجه واليد والعين والاستواء على معانيها المتعارفة كفر قطعاً والمتصدي لاكفار ابن عربي لم يخف من سوء الحساب يقال له هل ثبت عندك أنّه كافر فإن قال كتبه تدل على كفره يقال أفمن أن يقال له هل ثبت عندك الطريق المقبول في نقل الأخبار أنّه قال هذه الكلمة بعينها وأنّه قصد بها معناها المتعارف والاول لا سبيل اليه لعدم مرشد يعتمد عليه في مثل ذلك ولا غيره بالاستفاضة الآن وعلى تقدير ثبوت اصل الكتاب عنه فلا بدّ من ثبوت أن كل كلمة قالها لاحتمال ان يدسّ في الكتاب مما ليس من كلامه من بعض عدوّ او ملحد ولقد رأيت ان شرح التنبيه للجيلى مشحون بغرائب لا تعرف في المذهب وقد اعتذر بأنّه لعل بعض الأعداء دسّ فيه ما أفسده حسدا له والثانى وهو أنّه قصد بهذه الكلمة كذا لا سبيل اليه ايضاً ومن اعداه كفر لأنه من امور القلب التى لا يطّلع عليه الاّ الله تعالى وقد سأل بعض اكابر العلماء بعض الصّوفية في عصره فقال ما حملكم على أن اصطلحتم على هذه

(١) عبد الرؤف المناوي الشّافعي توفي سنة ١٠٣١ هـ. [١٦٢٢ م.] في القاهرة

الالفاظ التي يستشنع ظاهرها فقال غيرة على طريقتنا هذه أن يدعيه من لا يحسنه ويدخل فيه من ليس من اهله والمتصدي للنظر في كتب ابن عربي او اقرانها لم ينصح نفسه ولا غيره بل أضرّ نفسه وأضرّ المسلمين كل الضرر لا سيّما إن كان من القاصرين في علوم الشّرع والعلوم الظاهرة فإنّه يضل ويضلّ وعلى تقدير أن يكون المقري لها عارفا فليس من طريق المريدين إقراء كتب التصوف ولا يؤخذ هذا العلم من الكتب وما احسن قول بعض الأولياء لرجل وقد سأله أن يقرأ عليه تائية ابن الفارض[١] فقال له دع عنك هذا من جاع جوع القوم وسهر سهرهم رأى ما رأوا فاجاب بعضهم بأن على الشابّ المستفتي عنه التوبة والاستغفار والتضرع الى الله تعالى والانابة اليه حذراً من أن يكون اذى واماء لله تعالى فيؤذنه الله تعالى بحرب وأن امتنع من ذلك وصمّم فتكفيه عقوبة الله تعالى عن عقوبة المخلوقين وما ذا عسى ان يصنع فيه الحاكم او غيره هذا جوابي والله تعالى اعلم ربنا لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين امنوا اللهمّ حبّبنا في اهل ولايتك واهل عنايتك الذين كشفت حجاب الرين عن قلوبهم حتى اطّلعوا على معاني الملكوت واسرار الجبروت وقال الشّيخ الامام العارف صفيّ الدّين بن أبي المنصور[٢] في رسالته رأيت بدمشق الشّيخ الامام الوحيد العالم العامل بحر الحقائق محيالدين بن عربي وكان من اكبر علماء الطريق جمع بين سائر العلوم الكسبية وبين ما وفّر من العلوم الوهبية وشهرته عظيمة وتصانيفه كثيرة وكان قد غلب عليه التوحيد علماً وخَلْقاً وخُلُقاً لا يكترث بالوجود مقبلا او مدبرا وله اتباع علماء ارباب مراقبة وتصانيف وكان بينه وبين سيدى أبي العباس الحذّاء اخاء ورفقة في السياحات وقال في موضع آخر من الرسالة كتب الشّيخ محي الدّين بن عربي كتاباً من دمشق الى الشّيخ أبي العباس الحذاء قال فيه يا اخى اخبرني مما يجدّد لك من الفتح فقال لي الشّيخ اكتب اليه اكتب اليّ جرى امور غريبة النظر

---

(١) عمر ابن الفارض توفي سنة ٦٣٦ هـ. [١٢٣٩م.] في القاهرة

(٢) صفيّ الدّين حسين بن علي توفي سنة ٦٨٢ هـ. [١٢٨٣م.] في القاهرة

عجيبة الخبر فكتب اليه ابن عربي توجه اليّ بها بباطنك اجيبك عنها بباطني فعرض ذلك على الشّيخ امرء وقال لي اكتب له أشهدت الأولياء دائرة مستديرة في وسطها اثنان احدهما الشّيخ أبو الحسن بن الطّحان والآخر رجل اندلسي وانا قد شهدتهم فقيل لي احد هذين هو الغوث فبقيت متحيراً لا اعلم من هو منهما فظهرت لهما آية فخرّا ساجدين فقيل لي الذي يرفع رأسه اولا هو القطب الغوث فرفع الاندلسي رأسه اولا فتحققته فوقفت عليه فسألته سؤالا بغير حرف ولا صوت فأجابني وسودت لسائر دائرة الأولياء فاخذ منها كل وليّ بقسطه فإن كنت يا اخى بهذه المثابة تحدثت معك من مصر فلم يعد ما يكتب له من ذلك شيئاً وقال الشّيخ عبد الغفّار القرطي[١] في كتاب التوحيد حدّثني الشّيخ عبد العزيز المنوفي[٢] عن خادم الشّيخ محي الدّين بن عربي قال كان الشّيخ يمشي وانسان يسبّه وهو ساكت لا يردّ عليه فقلت له يا سيّدى ما تنظر الى هذا قال ولمن يقول قلت يقول لك فقال ما سبّني فأنا قلت كيف قال هذا تصورت له صفات ذميمة فهو يسبّ تلك الصفات وما انا بموصوف بها وقال الشّيخ عبد الغفّار لقد حكى لي الشّيخ عبد العزيز عن ابن عربي حكايات من هذا الجنس وغيره مما يتكلم الناس فيه وينسبونه الى الكفر بالفاظ وجدوها في الكتب ما تأوّلوها قال الشّيخ عبد العزيز ان شخصًا كان بدمشق فرض على نفسه أن يلعن ابن عربي كل يوم عقيب كل صلوة عشر مرّات فأتفق أنّه مات وحضر ابن عربي مع الناس جنارته ثم رجع وجلس في بيت مع اصحابه وتوجه الى القبلة فلما جاء وقت الغذاء احضر اليه الغذاء فلم يأكل شيئاً ولم يزل على حاله متوجها يصلّي الصلوات ويتوجه الى ما بعد العشاء الآخرة فالتفت وهو مسرور وطلب الطعام فقيل له في ذلك فقال التزمت مع الله تعالى أن لا آكل ولا اشرب حتى يغفر لهذا الذي كان يلعنني فبقيت كذلك وذكرت له سبعين الفاً لا اله الا الله

---

(١) عبد الغفّار القرطي توفي سنة ٧٠٨ هـ. [١٣٠٨م.] في مصر

(٢) عبد العزيز المنوفي الشّافعي العارف بالمواقيت للصلاة توفي سنة ٧٠٣ هـ. [١٣٠٤ م.]

ورأيته قد غفر له قال الشّيخ عبد الغفّار وحكى الشّيخ عبد العزيز حكايات تدل على عظم شأنه وكشفه واطلاعه قال وحكى الامام محبّ الدّين الطبري[١] شيخ الحرم بمكة المشرّفة عن والدته وكانت من الصّالحات انها ربما أنكرت على ابن عربي كلاما قاله في معنى الكعبة المشرّفة قالت فرأيت الكعبة تطوف بابن عربي وقد كان بين الشّيخ عز الدين بن عبد السّلام وبين الشّيخ محي الدّين بن عربي اخاء وصحبة اخبره الشّيخ عبد العزيز بذلك لأن الشّيخ عز الدين كان منكرا بظاهر الحكم وحكي عن خادم الشّيخ عز الدّين أنّه دخل مع الشّيخ الى الجامع بدمشق وقال الخادم للشّيخ عز الدّين انت وعدتنى انك تريني القطب فقال له ذلك القطب واشار الى ابن عربي وهو جالس والحلقة عليه وقال يا سيدى فانت تقول فيه ما تقول فقال هو القطب فكرر عليه القول وهو يقول له ذلك فإن يكن القطب فلا معارضة في قول الشّيخ عز الدين لانه انما يحكم عليه بما يبدو من الأمور الظاهرة وحفظ شياح الشّرع الشّريف والسّرائر امرها الى الله تعالى يفعل فيها ما يشاء فقد يكون يطلع على محله ورتبته فلا ينكرها وإذا بدا في الظاهر شيئ مما لا يعهده الناس في الظاهر أنكره حفظاً لقلوب الضعفاء ووقوفاً مع ظاهر الشّرع وما كلف به فيعطى هذا المقام حقه وهذا حقه والله تعالى اعلم هذا كلام الشّيخ عبد الغفّار في جمعه بين مقالتى الشّيخ الامام عز الدّين في حق ابن عربي وعندي في الجمع احسن من ذلك وهو ما اشار اليه الشّيخ تاج الدّين بن عطاء الله أن الشّيخ عز الدين كان اولا على طريقة الفقهاء في المسارعة الى الانكار على الصّوفية فلما حجّ الشّيخ أبو الحسن الشّاذلي ورجع واقرأه السّلام من النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم حسن اعتقاده في الصّوفية ولزم مجالسهم بعد ذلك والظاهر ان انكاره على ابن عربي كان في اول أمره لما كان الشّيخ عز الدين اولا بدمشق وثناؤه عليه كان بعد ذلك في آخر عمره قال الشّيخ عبد الغفّار وقد حكى الثقة عن ابن عربي ان شخصًا طلع له وهو بغرفة بدمشق وكان الشّيخ عز الدين حاضراً

---

(١) محبّ الدّين أبو العباس الطبري أحمد توفي سنة ٦٩٤ هـ. [١٢٩٥ م.]

عنده فقال له ذلك الشخص إني اقصد الجهة الفلانية فقال الشّيخ محي الدّين بمآخذك العرب فقال لابد لي من السفر فترل فذهب فإذا الشّيخ يقول هذا البدوى خرج عليه واخذ ثيابه وها هو قد رجع وجعل يقول ها هو الى أن قال فلان قال نعم فطلع لنا عرياناً ونحن جلوس بمكاننا قال الشّيخ عبد الغفّار هذا كشف صريح قال وقد اشتبه الحال على الحاكي هل هو القاضي جلال الدّين بن السبكي عن قاضي القضاة وجيه الدّين البهنسى ام هو الشّيخ عبد العزيز قال كلاهما إذا حكيا سواء قال الشّيخ عبد الله بن اسعد اليافعي في الارشاد اجتمع الشّيخان العارفان الامامان المحققان الرّبّانيان الشّيخ شهاب الدّين السهرودى والشّيخ محي الدّين بن عربي فأطرق كل واحد منهما ساعةً ثم افترقا من غير كلام فقيل لابن عربي ما تقول في الشّيخ شهاب الدّين السّهروردي قال مملوء سنّة من فوقه الى قدمه وقيل للسهروردي ما تقول في الشّيخ محي الدّين بن عربي فقال بحر الحقائق والقطب الكبير وهو الغوث وبلغني عن بعض الشّيوخ الكبار العارفين أنّه كان يقرأ عليه اصحابه كلام ابن عربي ويشرحه لهم فلما حضرته الوفاة نهاهم عن مطالعة كتب ابن عربي وقال انتم ما تفهمون مراده ومعاني كلامه وسمعت أنّ الشّيخ الامام الفقيه عز الدّين بن عبد السّلام كان يطعن في ابن عربي ويقول هو زنديق فقال له يوماً بعض اصحابه يا سيدى اريد أن تريني القطب فأشار الى ابن عربي وقال ها ذاك هو القطب فقيل له انت تطعن فيه فقال حتى اصون ظاهر الشّرع أوْكَمَ قال اخبرني بذلك غير واحد ما بين مشهور بالصّلاح والفضل ومعروف بالدين وثقة عدل من اهل الشام ومن اهل مصر الاّ أنّ بعضهم روى أن تريني وليّاً وبعضهم روى أن تريني القطب وقد مدحه وعظمه طائفة من شيوخ الطريقة وعلماء الحقيقة كالشيخ الحريري والشيخ نجم الدّين الاصبهانى والشّيخ تاج الدّين بن عطاء الله وغيرهم ممن يكثر عددهم ويعلو مجدهم واثنوا عليه وطعن فيه طائفة لا سيما من الفقهاء الذين زيغ الله تعالى قلوبهم وتبعوا قشر العلم وتركوا باطنه لاجل الدّنيا وطلب الرياسة حتى تميل الناس الى قولهم وطعنوا في أولياء

الله تعالى وائمة الهدى الذين اشتغلوا بالله تعالى وتوقفت طائفة فقالوا ان كان ما نقله الطاعن ونسبه الى المشايخ مما يخالف العلم الظاهر فله محامل الاول انا لا نسلم نسبته اليهم حتى يصح عنهم الثاني بعد الصحة يلتمس له تأويل موافق وإن لم يوجد له تأويل قيل لعل له تاويلاً عند اهل العلم الباطن العارفين الثالث صدور ذلك عنهم في حال السكر والغيبة والسكران سكراً مباحاً غير مؤاخذ لانه غير مكلف في ذلك الحال فسوء الظن لهم بعد هذه المخارج من عدم التوفيق نعوذ بالله تعالى من الخذلان وسوء القضاء من جميع انواع البلاء وقال ايضاً في موضع آخر من الارشاد ما نصّه شيخ الطائفة وبحر الحقيقة محي الدّين بن عربي كنت انا وصاحب لي في المغرب الاقصى لساحل البحر المحيط وهناك مسجد يأوي اليه الابدال فرأيت انا وصاحبى رجلاً قد وضع حصيرا في الهوى على مقدار اربع اذرع من الارض وصلّى عليه فجئت انا وصاحبي حتى وقفت تحته وقلت شعر:

شغل المحبّ عن الحبيب بسرّه * في حب من خلق الهواء وسخره

والعارفون عقولهم معقولة * عن كل كون ترتضيه مطهره

فهم لديه مكرمون وعنده * اسرارهم محفوظة ومحرّره

فأوجز في صلوته وقال انما فعلت هذا لأجل المنكر الذي معك وأنا أبوالعباس الخضر وانت يا محي الدّين علمك من بحر علمى والمنكرون محرومون لقلة معرفتهم في العلم في الله تعالى قال الشّيخ محي الدّين و لم أكن أعلم ان صاحبي ينكر كرامات الأولياء فالتفت اليه وقلت يا فلان أكنت تنكر كرامات الأولياء قال نعم قلت فما تقول الآن قال بعد العيان ما يقال وقال ايضاً دعانا بعض الفقراء الى دعوة بزقاق القناديل بمصر فاجتمع لها جماعة من المشايخ فقدّم الطعام وعجزت الاوعية وهناك وعاء زجاج جديد قد اتخذ للبول و لم يستعمل بعد ففرق ربّ المترل فيه الطعام فبينا الجماعة ياكلون وإذا الوعاء يقول فقد اكرمنى الله تعالى بأكل هؤلاء السادة مني فلا ارضى لنفسى بعد ذلك أن اكون محلا للأذى ثم انكسر نصفين قال فقلت للجمع

سمعتم ما يقول الوعاء قالوا نعم قلت ما سمعتم فأعادوا القول الذي تقدم قلت قال قولاً غير ذلك قالوا وما هو قلت قال كذلك قلوبكم قد اكرمها الله تعالى بالإيمان فلا ترضوا بعد ذلك أن تكون محالا لنجاسة المعصية وحبّ الدّينا اورد هاتين الحكايتين ايضاً اي كالشّيخ الامام الفقيه عز الدين بن عبد السّلام عن ابن عربي الشّيخ تاج الدّين بن عطاء الله في لطائف المنن والحكام قاضي القضاة شرف الدّين البارزي في كتابه توثيق عرى الإيمان قال الحافظ محبّ الدّين بن البحار في ذيل تأريخ بغداد هو محمّد بن عليّ بن محمّد بن العربي أبوعبد الله الطائى من اهل الاندلس ذكر لي فيها أنّه ولد في ليلة الاثنين سابع عشر من رمضان سنة ستين وخمسمائة ونشأ بها وانتقل الى اشبيلية في سنة ثمان وسبعين فأقام بها الى سنة ثمان وتسعين ثم دخل بلاد الشرق وطاف بلاد الشام ودخل بلاد الروم وكان قد صحب الصّوفية وارباب القلوب وسلك طريق الفقه وحجّ وجاور وصنّف كتبا في علم القوم في اخبار مشايخ الغرب وزهّادها وله اشعار حسنة وكلام مليح اجتمعت به بدمشق وكتبت عنه شيئاً ومن شعره ونعم الشّيخ دخل بغداد وحدّث بها بشئ من مصنّفاته وكتب عنه الحافظ أبو عبد الله الرّشيني ومن شعره وانشدنى لنفسه:

ايا حائراً ما بين علم وشهوة * ليتصلا ما بين ضدين من وحل

ومن لم يكن منتشق الريح لم يكن * يرى الفضل للمسك العتيق على الزّبل

كتب أبو الحافظ ضياء الدّين المقدسي أن ابن العربي توفي ليلة الجمعة الثانى والعشرين من ربيع الاوّل سنة ثمان وثلاثين وستمائة فيكون عمره سبعة وسبعين سنة ونصفاً وستة ايام ومنهم قاضي القضاة العلامة سراج الدّين الهندي الحنفي[١] أحد الأئمة الحنفيّة وقاضي الحنفيّة بالديار المصريّة وصاحب المصنفات كشرح الهداية وشرح المغنى كان يتعصب لابن العربي وابن الفارض والّف شرحاً على تائية ابن الفارض وعند ابن أبي حجلة لكلامه فيه ومنهم الشّيخ ولي الدّين محمّد بن أحمد الملوي أحد العلماء

---

(١) سراج الدّين عمر الهندي توفي سنة ٧٧٣ هـ. [١٣٧١ م.] في مصر

الشافعية كان عارفا بالتفسير والفقه والاصول والتصوّف الف عدة تصانيف على طريقة ابن عربي ومات في ربيع الاوّل سنة اربع وسبعين وسبعمائة وحضر جنازته ثلاثون الفا وحكي أنّه قال عند موته حضرت ملائكة ربي وبشّرونى واحضروا لي ثيابا من الجنّة فاعروا عنى ثيابي فترعوها فقال ارحتمونى ثم زاد سروره ومات في الحال ومنهم الشّيخ أبوذرّ أحمد بن عبد الله العجمي أحد من كان ينقل للناس من الفصوص ذكر الحافظ ابن حجر في انباء الغمر أنّه كان يدرّس من كتب ابن عربي وأنّه كان للناس فيه اعتقاد مات سنة ثمانين وسبعمائة ومنهم الشّيخ بدرالدّين أحمد بن الشّيخ شرف الدّين محمّد بن فخر الدّين بن الصاحب بهاء الدّين بن جشاء المشهور بالبدر بن الصاحب قال ابن حجر تفقه وشهر بالعلم والف تواليف وكان يحسن الظن بتصانيف ابن عربي وبالفصوص بالنقل منها مات سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ومنهم شمس الدّين محمّد بن ابراهيم بن يعقوب المعروف بشيخ الوضوء قال ابن حجر كان يقرأ القراآت السبع ويشارك البدر بن الصاحب في الفضائل وينظر في كلام ابن عربي وقال ابن حجر تفقه وافتى ودرّس واذن له ابن الخطيب بيروت للافتاء وكان التاج السبكي يثنى عليه وكان حسن الفهم جيد المناظرة وسلك طريق التصوف وكان يعتقد ابن عربي مات سنة سبعين وسبعمائة ومنهم الشّيخ أبو عبد الله محمّد بن سلامة التوزي المغربي قال ابن حجر كان فاضلاً في الاصول والفقه داعيا الى مقالة ابن عربي يناضل عنها ويناظر عليها مات سنة ثمانمائة ومنهم الشّيخ شمس الدّين محمّد بن أحمد الصّوفي المعروف بابن نجيم نزيل مكّة قال ابن حجر سلك على طريقة الشّيخ يوسف العجمي وتجرّد للعبادة وكان كثير العبادة قال ابن حجر كان على طريقة ابن عربي مات سنة إحدى وثمانمائة ومنهم الشّيخ نجم الدّين الماهى قال ابن حجر كان افضل الحنابلة بالدّيار المصرّية واحقهم بولاية القضاء قال ابن حجر وكان له نظر في كلام ابن عربي وقد درس وافتى مات سنة اثنتين وثمانمائة ومنهم الشّيخ اسماعيل بن ابراهيم بن الجرت الجرتى ثم الزبيدى قال ابن حجر تعانى الاشتغال ثم تصوّف وكان خيّراً عابداً حسن السمت محبا في مقالة

ابن عربي مات سنة ست وثمانمائة ومنهم العلامة مجد الدّين الشيرازي[١] صاحب القاموس قال ابن حجر لما اشتهر باليمن مقالة ابن عربي ودعا اليها الشّيخ اسماعيل الجرتي وغلب على علماء تلك البلاد صار الشّيخ مجد الدّين يدخل في شرح البخاري من كلام ابن عربي ومنهم الشّيخ علاء الدّين أبو الحسن بن سلام الدمشقي الشّافعي احد الأئمة الشافعية بالشّام ومصنفيهم قال ابن حجر كان ينسب الى نصرة مقالة ابن عربي ويتحمل لها تأويلات كانت وفاته سنة تسع وعشرين وثمانمائة ومنهم العلامة قاضي القضاة شمس الدّين الشباطي المالكى ذكر ابن حجر في حوادث سنة احدى وثلاثين وثمانمائة أنّه حضر معه عند الشّيخ علاء الدّين البخاري فجرى ذكر ابن عربي فبالغ الشّيخ علاء الدّين في ذمّه واكفار من يقول بمقالته فانتصر له الشباطي وقال انما ينكر الناس على ظاهر الفاظه التى نقولها والاّ فليس في كلامه ما ينكر إذا حمل لفظه على مراده على ضرب من التأويل وكان من جملة كلام الشّيخ علاء الدّين الانكار على من يعتقد الوحدة المطلقة وكان من جملة كلام الشباطي انتم تعترفون الوحدة المطلقة فاستشاط البخاري غضباً واقسم بالله تعالى أن لم يعزل السلطان الشباطي من القضاء ليخرجنّ من مصر والتمس من كاتب السر ان يسأل السلطان في ذلك فهم السلطان أن يوافقه واراد ان يقرّب الشهاب بن تقي مكان الشباطي فاحضر واحضرت خلعة ثم بطل ذلك المجلس قلت هذا من تركه الانتصار للأولياء انتهى واستمر الشباطي في منصبه و لم يتفق له عزل الى أن مات بعد احد عشر سنة من هذه الوقعة وذكر البرهان البقاعي[٢] في معجمه حكي أنّ الشّيخ معز الدّين بن أبي الوفاء المقدسي يشير على انظارها بقراءة كتب ابن عربي ونحوها من رُها وبعض يمنع من ذلك فاستشرت الشيخ يوسف الامام الصفدي في ذلك فقال اعلم يا ولدي وفقك الله تعالى إنّ هذا العلم المنسوب لابن عربي ليس بمخترع له وانما هو كان ماهرا فيه وقد ادعى اهله أنّه لا يمكن معرفتها الاّ

---

(١) محمّد الفيروز آبادي الشيرازي صاحب القاموس توفي سنة ٨١٧ هـ. [١٤١٤ م.]

(٢) ابراهيم بن عمر برهان الدّين البقاعي الشّافعي توفي سنة ٨٨٥ هـ. [١٤٨٠م.]

بالكشف فإذا صح مدعاهم فلا فائدة في تقريره لانه إن كان المقرّر له مطلعاً فالتقرير تحصيل الحاصل وإن كان المطلع احدهما فتقريره لا ينفع الآخر والاّ فهما يخبطان خبط عشواء فسبيل العارف عدم البحث عن هذا العلم وعليه السلوك فيما يوصل الى الكشوف عن الحقايق ومتى كشف له عن شئ علمه ويمشي في اعلامه قال ثم استشرت الشّيخ زين الدّين الحافي[١] بعد أن ذكرت له كلام الشّيخ يوسف فقال الشّيخ حسن وازيدك أنّ العبد إذا تخلق ثم تحقق ثم جذب اضمحلّت ذاته وذهبت صفاته وتخلص من السؤال فعند ذلك يلوح له بروق الحق بالحق فيطلع على كل شئ ويرى الله تعالى عند كل شئ ويغيب بالله تعالى عند كل شئ ولايرى شيئاً سواه فيظن أنّ الله تعالى عين كل شئ وهذا اول المقامات فإذا ترقّى عن هذا المقام وأشرق عليه من مقام هو أعلى منه وعضّده التأييد الالهيّ رأى أنّ الأشياء كلها فيض وجوده تعالى لا عين وجوده فالناطق حينئذٍ بما ظنه في اول مقام امّا محروم ساقط واما نادم تائب وربك يفعل ما يشاء انتهى فإن قلت فهذا الشّيخ ولي الدّين العراقي قد قال في فتاواه قد بلغني عن الشّيخ الامام علاء الدّين القونوي[٢] أنّه قال في مثل ذلك انما يؤوّل كلام المعصومين قلت هذا منقوض بأمرين احدهما ان القونوي قد فعل ذلك في كتابه شرح التعرف فنقل عن ابن عربي وغيره كلمات ظاهرها المنافاة للشرع الشّريف ثم تأوّلها وخرّجها على احسن المحامل فهذا منه امّا دليل على بطلان ما نقل عنه من عدم التأويل او رجوعه عنه والثانى أنّ كلام القونوي لو ثبت أنّه قال و لم يقل خلافه في شرح التعرف معارض بقول من هو اجل منه وهو شيخ الاسلام وولي الله تعالى الشّيخ محي الدين النووي فإنّه نصّ في كتابه بستان العارفين خلاف قول القونوي فقال بعد أن حكي عن أبي الخير اليوناني حكاية ظاهرها الانكار قلت قد يتوهم من يتشبه بالفقهاء ولا فقه عنده أن ينكر على أبي الخير هذا وهذه جهالة وغباوة ممن يتوهم ذلك وخسارة منه على ارسال الظنون في أفعال

---

(١) أبو بكر زين الدّين الحافي توفي سنة ٨٣٨ هـ. [١٤٣٤ م.]

(٢) علاء الدّين علي التبريزي ثم القونوي الشّافعي توفي سنة ٧٢٩ هـ. [١٣٢٩ م.]

أولياء الرّحمن فليحذر العاقل من التعرض لشئ من ذلك بل حقه إذا لم يفهم حكمهم المستفادة والطافهم المستجادة أن يفتشهما ممن يعرفهما وكل شئ رأيته من هذا النوع مما يتوهم من لا تحقيق عنده أنّه مخالف ليس مخالفا بل يجب تأويل أفعال أولياء الله تعالى هذا كلام النووي بحروفه ولابن عربي هذا ولد مشهور أديب فقيه يسمى سعد الدّين محمد بن محمّد بن عربي شعره مشهور في تذكرة الصّلاح الصفدي وغيره وقد روى عنه من شعره الحافظ شرف الدّين الدمياطي في معجمه وقال محمّد بن محمّد بن عربي بن محمّد بن أحمد أبي عبد الله بن عبد الله الطائي الحاتمي المغربي المجيد في رأيه الدمشقي المولد الشّافعي الفقيه الأديب المعروف بابن ابن العربي والمنعوت بالسعدي توفي بدمشق في جمادي الآخرة سنة ست وخمسين وستمائة وقال في كتابه الانسان الكامل الشّيخ محي الدّين بن عربي امام من ائمة علماء لدنّييّن فمن طعن فيه فهو دجّال خارجيّ دعيّ. تمّ بعون الله تعالى وحسن توفيقه.

قال الامام الرّبّاني مجدّد الالف الثاني أحمد الفاروقي السرهندي في المكتوب التاسع والثمانين من المجلد الثالث: ولما وصلت النوبة الى الشّيخ الأجل محي الدّين ابن العربي قدس سره شرح مسئلة التوحيد الوجودي من كمال المعرفة وبوّبها وفصّلها ودوّنها تدوين الصّرف والنّحو ومع ذلك لم يفهم جمع من هذه الطائفة مراده فخطّؤه وطعنوا فيه واطلقوا عليه لسان الملام والشّيخ محقّ في اكثر تحقيقات هذه المسئلة والطاعنون فيه بعيدون عن الصواب ينبغي أن يعرف جلالة شأن الشّيخ ووفور علمه من تحقيق هذه المسئلة لا أن يردّه ويطعن فيه وقال في المكتوب التاسع والسبعين من تلك المجلد ونحن المتأخرون العاجزون استفضنا من بركاته ونلنا حظاً وافراً من علومه ومعارفه جزاه الله سبحانه عنا خير الجزاء وقال عروة الوثقى محمّد معصوم ابن الامام الرّبّاني (قدّس سرّهما) في المكتوب التاسع والعشرين من المجلد الاول: الشّيخ محي الدّين ابن العربي قدّس سرّه كان صاحب الاسناد في علم الحديث والمجتهد في علم الفقه.

فهرست الكتاب

دُعَاءُ التَّوْحِيدِ

يَا اَللهُ يَا اَللهُ لاَ اِلَهَ اِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ يَا عَفُوُّ يَا كَرِيمُ فَاعْفُ عَنِّي وَارْحَمْنِي يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَاَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلآبَائِي وَأُمَّهَاتِي وَلآبَاءِ وَاُمَّهَاتِ زَوْجَتِي وَلأَجْدَادِي وَجَدَّاتِي وَلأَبْنَائِي وَبَنَاتِي وَلإِخْوَتِي وَأَخَوَاتِي وَلأَعْمَامِي وَعَمَّاتِي وَلأَخْوَالِي وَخَالاَتِي وَلأُسْتَاذِي عَبْدِ اْلحَكِيمِ اْلآرْوَاسِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ اَلاَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَاْلاَمْوَاتِ «رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ» بِرَحْمَتِكَ يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَاْلحَمْدُ للهِ رَبِّ اْلعَالَمِينَ

دُعَاءُ اْلاِسْتِغْفَارِ

اَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لاَ اِلَهَ إِلاَّ هُوَ اْلحَيَّ الْقَيُّومَ وأَتوُبُ إِلَيْهِ

إن ناشر كتب - **دار الحقيقة للنشر والطباعة** - هو المرحوم حسين حلمي ايشيق عليه الرحمة والرضوان المتولد عام ١٣٢٩ هـ. [١٩١١ م] بمنطقة - **أيوب سلطان إستانبول**- وأعداد الكتب التي نشرها ثلاث وستون مصنفا من العربية وأربع وعشرون مصنفا من الفارسية وثلاث مصنفات أوردية وأربع عشرة من التركية ومقدار الكتب التي أمر بترجمتها من هذه الكتب إلى لغات فرنسية وألمانية وإنجليزية وروسية وإلى لغات أخر بلغت مائة وتسعة وأربعين كتابا وجميع هذه الكتب طبعت في -**دار الحقيقة للنشر والطباعة**- وكان المرحوم عالما طاهرا تقيا صالحا وتابعا لمشيئة الله وقد تتلمذ للعلاّمة الحبر البحر الفهامة الولي الكامل المكمل ذي المعارف والخوارق والكرامات عالي النسب السيد عبد الحكيم الاورواسي عليه رحمة الباري وأخذ منه وظهر كعالم إسلامي فاضل وكامل مكمل وقد لبى نداء ربه المتعال وتوفي ليلة ٢٥ على ٢٠٠١/١٠/٢٦ (الثامن على التاسع من شهر شعبان المعظم سنة إثنتين وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية) ودفن في محل ولادته بمقبرة أيوب سلطان تغمده الله برحمته الواسعة واسكنه فسيح جناته آمين

اسماء الكتب العربية التي نشرها مكتبة الحقيقة

اسماء الكتب	عدد صفحاتها